أسرار القلعة

رياض حلايقه

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : أسرار القلعةِ
المؤلف : رياض حلايقه
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج عام : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٣٥٨ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 532 - 9

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

لمحة

(جوفيان) ولد ليكون سيدا لكن الأعراف والقوانين خذلته ليبقى خادما عند مورغان. ويبدو أن جينات السيرتونين المسئول عن السعادة أبى إلا أن يعيد له أمجاده.

لم يكن يحلم يوما أن يدخل قصر الحاكم حتى خادما، الآن يدخله برفقة زوجته كاثي كرجل نبيل، يخالط أشراف القوم ويجله الكثيرون وهر بدهائه وخبثه ومكره استطاع إتقان اللعبة.

روما ـ إيطاليا ـ ١٩٨٦م

بعد ست سنوات من الضياع وما عاناه سام وسوزي لاستجلاء الحقيقة وعودة سام لشخصه وعقله، والانتهاء من تصوير فيلم رجل من الماضي (مائة عام في الفضاء) الذي يخلد ذكرى جو مارتن ويلسون توج بحفل زفاف مدهش.

اختار سام و سوزي قضاء شهر العسل في إيطاليا. أقاما في فندق جميرا جراند في قلب روما الأثرية في منطقة فيا فينيتو، والفندق عبارة عن فيلتين مجددتين من القرن التاسع عشر. هما يستمتعان في منتجع إكوا سيتي الذي صمم لتترك خلفك مشاغل الحياة وتدخل في عالم جميل من الاسترخاء والهدوء. كانا حقًّا بحاجة ماسة لفترة نقاهة بعد سنوات من الشقاء والتعب.

أفاق سام من غفوته والتفت نحو سوزي المنهمكة في قراءة كتاب ما، لكنه حملق بعينيه واعتدل في جلسته عندما قرأ عنوان الرواية «مئة عام في الفضاء». زاد ذلك من حيرته، سألها متعجبا: ـ لماذا تقرئين هذه الرواية وأنت من كتبها؟

– هل أفقت حبيبي؟

- نعم، كانت لحظات رائعة، كنت مستمتعا بأشعة الشمس الدافئة!

- أما أنا فلم أستطع النوم، سيطر على فكري أمر غريب. تذكرت رسالة أصدقائك من كوكب سيراتا، هل تتذكرها سام؟

- أجل، لكن ليس تماما.

- هل تتذكر أنهم قالوا إن فتاة من أحفاد جو تزوجت ذلك الإيطالي وعادا إلى روما؟

- نعم، هذا ما قالوه في رسالتهم لكن ما المهم في الأمر؟

- هل نسيت أن صلة قرابة تجمعنا بتلك الفتاة؟

- ماذا تعنين؟

- ذكرت الرسالة أنها مراقبة تماما كما كنا مراقبين، وأيضا لها قصة أخرى، وأنا أعتقد أن اختيارنا لروما ليس عن طريق الصدفة وكأنه مخطط لسبب ما.

- لم أفهم، إلى ماذا ترمين من كلامك هذا؟! ماذا تقصدين بالضبط؟

- ربما كانت إشارة للبحث عنها، أقصد عن أحفادها، ألا يخطر ببالك شيء ما؟ ألم يذكروا لك عنوانها أو تلميحا عنها؟

- لا أبدا.

– هل تستطيع التواصل معهم؟

– تعلمين أنني كنت في عالم آخر، كان حلما واختفى.

– عزيزي، أنا أبحث عن مغامرة جديدة تكون موضوعا لروايتي الجديدة، حتى الآن لا أعرف عما أكتب.

– لنعد للنوم في هذا الجو الرائع ونستمتع؛ فنحن هنا للراحة وليس للعمل عزيزتي.

فيما كانا في المدينة القديمة، معجبين بمنازلها الرفيعة الطراز وشوارعها الضيقة ومتاجرها الأثرية، وبينما هما يتجولان في شارع فيا فراتينا **Via Frattina** أدهش سوزي جمال الحقائب والأحذية والإكسسوارات المتلألئة. وكان الجوع والتعب قد بلغ مبلغه فيهما فتوقفا عند مطعم شعبي وتناولا السباغيتي الشهيرة بالجبن وعادا للفندق.

ما زال حلم المغامرة الجديدة يسيطر على عقل سوزي، لكنها بحاجة لمعجزة حتى تقنع سام بالعمل معها، حاولت أن تحاوره لعله يسير في ركابها.

– عزيزي، ألا يخطر ببالك القيام بمغامرة جديدة؟

– لا، أرجوك، يكفي ما عشته من ألم!

– ليس بالضرورة أن كل مغامرة فيها ألم، الممكن أن تكون مثيرة وشيقة ومفيدة أيضا.

– لست مهتما عزيزتي. نحن هنا للسياحة والاستجمام ثم العودة للوطن.

استسلم سام للنوم، فقد أرهقه المشي في شوارع روما. كانت سوزي تحلم بمغامرة تخوضها كتلك التي عاشتها مع سام، وبقيت تخطط كيف تبدأ مهمتها حتى لحقت بسام إلى عالم الأحلام، لكنها أفاقت مذعورة على صوت سام الذي يصرخ كالمجنون. أنارت المصباح فوجدته يرتجف كعصفور بلله القطر. احتضنته: لا بأس حبيبي إنه مجرد حلم! عندما هدأ سألته: ما بك؟

قال: رأيت مخلوقات غريبة كادت أن تخطفني.

قالت له : حمدا لله أنه حلم، عد للنوم أنت بأمان الآن.

فرحت سوزي واعتقدت أن تلك إشارة من الغرباء للمساعدة في البحث عن أقاربهما.

في اليوم التالي غادرا الفندق لاكتشاف معالم روما الأثرية، وفيما كانت سوزي تشاهد نافورة بياتسا دي تريفي والتماثيل الضخمة، رمت قطعة نقدية وتمنت أن تلتقي بأقربائها، أما سام فقد انتابه شعور بالرهبة وهو يتأمل تلك التماثيل وتذكر حلم الليلة الماضية، وخيل إليه أنهم هنا في مكان ما يراقبونه فآثر الابتعاد عن المكان، كان هناك مجموعة من السياح على وشك المغادرة فانضما إليه وأخذهما الدليل السياحي المرافق إلى متاحف الفاتيكان وزيارة كنيسة السيستين، أو ما يعرف بغرف رافاييل، وهي أكبر معلم

سياحي في روما والعالم، وبالرغم من جمال المتاحف والكنيسة وما تضم من أضخم التماثيل في أوروبا بأكملها، إلا أن سام كان مضطربا ومتعبا وحالته النفسية لا تساعده على الاستمرار، فطلب من سوزي العودة للفندق وهو يتمتم: يا له من شهر عسل !

– أنا آسف عزيزتي أفسدت عليك هذا اليوم.

– لا بأس حبيبي، المهم أنك بخير.

– لا لست بخير سوزي، عندما كنا عند النوافير ورأيت التماثيل تذكرت حلم الليلة الماضية، خيل إلي أن هناك من يراقبني، وفي المتحف زادت شكوكي كلما نظرت لتمثال أرى شبحا يمر طيفه أمامي.

– هل تشبه المخلوقات أصدقاءك في كوكب سيرتا؟

– لم أعد أذكر شيئا، لكنها تخيفني حقا.

– أعتقد أن ذلك إشارة للمساعدة في العثور على أقربائنا هنا.

– أرجوك لا تذكري ذلك لي مرة أخرى، علينا العودة لأمريكا، لم أعد أحتمل هذه الترهات سوزي.

– كما تريد حبيبي، فقط أمهلنا ليوم غد. علينا زيارة الكولسيوم، من غير المعقول أن نصل هنا ولا نشاهد تلك المعالم الخالدة، وأعتقد أنه لا وجود للتماثيل هناك!

– كما تريدين، لكن علينا المغادرة بعد ذلك.

بدا سام متزنا بشوشا، وهذا ما أسعد سوزي التي تمنت أن يدوم حاله حتى تكتشف المزيد من معالم روما، وربما تجد شيئا يقربها إلى ما تصبو إليه. أخبرهم الدليل السياحي أنهم سيتوجهون إلى المنتدى الروماني والقصر الملكي ومعبد فيستا وهم من أشهر معالم روما الأثرية. كان سام منبهرا بما يشاهد وتابع مع سوزي الجولة السياحية وسط تعجب سوزي من تغير حاله، ثم عرج بهم الدليل على مجمع العذراوات الفستاليات و والكوميتيوم حيث كان مقرا لاجتماع مجلس الشيوخ، ثم ختم جولته بزيارة الكوليسيوم، المدرج الروماني الذي بني عام ٧٢ للميلاد، وهو أعجوبة لارتفاعه واتساعه فهو يتسع لـ ٤٥٠٠٠ متفرج وشاهدا الساحة التي كانت مسرحا للمصارعة بين الحيوانات وبين السجناء والوحوش المفترسة في تلك الحقبة، أرهقت الجولة سام وشعر وكأن المدرج يدور به كالإفعوانية في مدينة الملاهي، وانتابه إحساس بالقيء فخافت عليه سوزي وعادت به للفندق وخلد للنوم. جلست سوزي تشاهد فيلما خياليا.

ألقت سوزي نظرة على سام فقطبت حاجبيها ووضعت الكتاب جانبا وجلست على السرير. كان العرق يتصبب من جبينه ويتلوى كالأفعى فارتبكت وترددت فيما تفعل، لكنها حسمت أمرها، قررت إيقاظه فقام فزعا يكاد يركض في الغرفة وراحت سوزي تهدئ من روعه وهو يتنفس بسرعة كعداء في نهاية السباق يلهث ويصرخ: الوحوش، الوحوش، وهي تربت على كتفه وتقبل رأسه حتى أسلم نفسه للنوم كطفل صغير في أحضان سوزي.

مخلوقات غريبة، أطياف تلاحقه، والآن وحوش تركض خلفه- ما علاقة كل ذلك بسام؟ تفكر سوزي.

فيما كانت تشاهد الفيلم ورأت كيف انتقل الممثل عبر الزمن ليكتشف أحداث الماضي.

إنها فكرة مدهشة! قالت تحدث نفسها.

أخذت تبحث في الشبكة العنكبوتية عن أماكن يمكن أن تحقق لها مرادها، حتى أفاق سام من نومه كئيبا تلاحقه أوهام وأحلام الليلة الماضية، وعرضت سوزي عليه أفكارا تراودها عن السفر عبر الزمن واكتشاف الماضي، صعق سام من الأفكار التي تطرحها وشعر أنها تريد الخلاص منه بفكرتها التي لا يؤمن بها أصلا، وأقنعها بالعودة للوطن وأن لا فائدة ترجى من العثور على أقرباء لهما في إيطاليا.

الساعات الأخيرة من اليوم الأخير، كانا يشاهدان روما من على شرفة من على سطح الفندق، أرادت أن تجري اتصالا وعندما أخرجت هاتفها النقال من حقيبتها ودقت الرقم المطلوب سقط الهاتف نحو الأسفل وصادف مرور سيارة فكان نسيا منسيا، اكفهرت سوزي وغضبت؛ فكل المعلومات والأرقام ذهبت أدراج الرياح.

بعد تناول وجبة العشاء في الفندق، أرادا أن يتوجا نهاية الزيارة في المسبح والاسترخاء على شاطئه وترك كل شيء خلفهما، لكن سوزي

افكرها مشغول إذ أنها أعجبت بفكرة البحث عن أحفاد أقربائهما، فهي تعشق المغامرات! عسى أن تكون قصة مغرية لرواية جديدة، لكنها لم تعرف من أين تبدأ، فعائلة زوج قريبتها غير معروفة، وهي كمن يبحث عن إبرة في عمق البحر، وعلمت أن سام لا يشاركها ذلك الشغف حتى استسلمت للنوم.تنهدت، تمددت على كرسي البحر تحاول الاسترخاء، تنظر للسماء الزرقاء، تراقب بضع غيمات بيضاء تتحرك ببطء شديد، أغمضت عينيها.

كان ثمة من يلعب الكرة وآخرون يلعبون الريشة، صوت ضحكات تنم عن فرح وسعادة أطفال يركضون.

مهمة فضائية من كوكب سيراتا - عام ١٩٨٦ م

في عام ٥٠ للميلاد بدأت المعارك بين كوكب سيراتا وكوكب مارتون. استمرت قرونا طويلة وفي إحدى المعارك لم تعد إيزابيلا الضابطة في الجيش ومن معها من الجنود للقاعدة الحربية وأكدت الأنباء أنهم وقعوا في الأسر. وعندما استلم الإمبراطور خادوش حكم كوكب سيراتا، وفي معركة حامية الوطيس انتهت المعارك لصالح كوكب سيراتا وتم إحلال السلام بين الكوكبين عام ١٨٦٤، وأفرج عن الأسرى من كلا الجانبين، ولم تكن إيزابيلا من ضمنهم. وبعد التحقيق تبين أن قائد كبيرا في جيش كوكب مارتون وقع في حب إيزابيلا ولأن قوانين الكوكب تمنع الزواج من الأسرى والأعداء فكر في وسيلة للزواج منها. كان يستجوبها بحجة أخذ معلومات تساعد قواته في القتال، طرح عليها الزواج لتحريرها من الأسر فرفضت، وهي تعلم أنه كاذب لأنها على اطلاع على قوانين الكوكب. وعندها علم أنها مخطوبة لجندي أسير معها. عرفت ايزابيلا أنه يخطط للهرب فاحتاطت للأمر، كانت الخطوة الأولى له قتل خطيبها علها تقتنع بالزواج منه، لكنها رفضت وحقدت عليه واتهمته بخرق قوانين الكواكب بقتل أسير أعزل، فنفذ خطته وسرق مركبة فضائية وخطف إيزابيلا ومن معها من الجند واصطحب معه عددا من الجند المخلصين وهرب لكوكب الأرض.

هـدأت الأمورعـلى كوكـب سـيراتا وتـم اعـمار البنيـة التحيتـة، وكل مـا دمـر لـكلا الكوكبـين. وبعـد أن عـادت الأمـور لطبيعتهـا، وفي عـام ١٩٨٦م، أرسـلت القيـادة مركبـة فضائيـة لكوكـب الأرض للبحـث عـن المخطوفـين فنزلـت المركبـة في منطقـة مقفـرة مـن أراضي أمريـكا في منطقـة نيفـادا، وتـم تشـكيل فـرق للبحـث عنهـا والجنـد المخطوفـين في أنحـاء العـالم مزوديـن بعربـات سريعـة جـدا وأجهـزة اتصـالات متطـورة. توجهـت فرقـة منهـا إلى البحـر الأبيـض المتوسـط ونزلـت في جزيـرة كابـري، وعندمـا دخلـوا القلعـة وتـم تمشـيط المـكان عثـروا عـلى جهـاز اتصـال فضائـي وبواسـطته اسـتطاعوا تحديـد الأجهـزة الأخـرى فوجدوهـا في قلـب رومـا.

كان الفضائيـون يظهـرون بشـكل آدمـي لكنهـم يكونـون عـلى حقيقتهـم في أعـين بنـي جنسـهم. وصلـت الفرقـة وشـاهدت الفضائيين في أحـد المطاعـم. كانـا عجوزيـن تعـرف عليهـما عنـاصر الفرقـة وعنـد التحقيـق معهـما عرفـوا مـا جـرى للجميـع، وأن المركبـة الفضائيـة لا تـزال مفقـودة. اتصلـوا بالقيـادة عـلى كوكـب سـيراتا وقدمـوا لهـم تقريرا وطلبـوا منهـم البحـث عـن المركبـة وإرسـال الإحداثيـات لهـم. بعـد البحـث الدقيـق، بواسـطة الأقـمار الاصطناعيـة، عـن المركبـة وجدوهـا في أعـماق البحـر بالقـرب مـن الجزيـرة التـي تعـرف اليـوم بالمغـارة الزرقـاء، وهـي مغلقـة بطيـف خـاص لعـدم تعقبهـا مـن الآخريـن، فتـم إبطـال مفعولـه وإرسـال الإحداثيـات لهـم، فتـم إخراجهـا وإعـادة المخطوفـين إلى الكوكـب.

تلقى أحد أعضاء الفريق أمرا من كبير العلماء على الكوكب وكان صديقا لجو مارتن ويلسون، للذهاب للاطمئنان على سام، وأمره بنقله وهو نائم إلى روما في مكان حدده له في خطوة للمساعدة على تحقيق حلم سوزي وحتى يتعرفا على أقربائهم هناك.

مدينة بومبي- إيطاليا- ٥٥م

كانت مدينة بومبي تعج بالمتناقضات بالرغم من أنها مدينة تنعم بكل الخيرات ومزدهرة جدا، حتى أن المياه تتدفق داخل المنازل والحمامات، وأن فيها ميناء بحريا كبيرا، وهناك المسارح، وخاصة المسرح البيضاوي الكبير، والذي يقع بين تقاطع شارع كاردو ماكسيموس وشارع ديكيو ماني وهما شارعان رئيسيان في المدينة والمنتدى الرئيسي في الركن الجنوبي الغربي، والأماكن الترفيهية المنتشرة في المدينة والأسواق الكبيرة، إلا أن السجن يعج بالناس لأتفه الأسباب، ولا توجد محاكمة عادلة ويستمتع الحاكم وكبار القوم بمصارعة السجناء مع الوحوش فإما أن يقتل أو يقتل، والعبيد يعاملون بوحشية لا مثيل لها.

كان الحاكم رومان يقيم حفلا موسيقيا كل ليلة أحد يحضره الأشراف والأغنياء والمسئولون والمقربون من الحاكم، وكان قائد الحرس جودعان يلازم الحاكم كظله، فيما الجند المسئولون عن الأمن يجوبون شوارع المدينة لتأمين السلامة للجميع. هناك أيضا عدد من الفرسان يتفقدون الطرق خارج المدينة كل ليلة خوفا من المتسللين أو العابثين ولتأمين حركة التجارة إلى المدينة.

جودعـان رجـل يخافـه الجميـع، يحـب القتـل ولا يرحـم أحـدا. جسـمه الضخـم وقوتـه الفريـدة وحرصـه الشـديد عـلى تنفيـذ أوامـر الحاكـم جعلـوا منـه رجـلا يخشـاه الجميـع.

كانـت الشـوارع خاليـة تمامـا إلا مـن بعـض عربـات السـادة المتوجهة لقـصر الحاكـم. الشـباب والصبايـا يسـتمتعون بالرقـص والموسـيقى تصـدح بلحـن عـذب. الحاكـم والمقربـون منـه في مـكان خـاص يتحدثـون في أمـور شـتى ويراقبـون المحتفلـين، أمـا الخـدم فيجوبـون السـاحة بالـشراب والفاكهـة.

في زاويـة تـكاد تكـون مخفيـة عـن الأنظـار تجلـس كاثـي كئيبـة حزينـة كعادتهـا تراقـب الصبايـا والسـعادة تغمرهـن بالرقـص مـع الشـباب، هـذه الحفـلات تصيبهـا بالغثيـان وقلبهـا ينفطـر ألمـا. حاولـت عـدم الحضـور كالعـادة إلا أن والدهـا كان يـصر عـلى أن ترافقـه إلى القـصر ليبقيـا تحـت نظـر الحاكـم. الزمـن كأنـه توقـف والوقـت بطـيء، وهـي تنتظـر انتهـاء الحفـل بمـرارة.

في يـوم ربيعـي مـن شـهر نيسـان، كان الجـو جميـلا. الطيـور المغـردة وزقزقـة صغارهـا عـلى الأشـجار اليانعـة كسـمفونية تطـرب لهـا الآذان. كاثـي مـع مربيتهـا في جولـة كالعـادة إلى مـزارع والدهـا لتقتـل الروتـين المصاحـب لهـا. الجميـع يكـن لهـا الاحـترام لعطفهـا عليهـم والاسـتماع لهـم. وكان العبيـد يسـكنون كعائـلات في بركسـات بالقـرب منهـا.

حملقـت كاثـي وهـي تشـاهد أحـد العبيـد يرافـق والدهـا كظلـه في المزرعـة لأول مـرة دون قيـود ! فالعبيـد مقيـدون بسلاسـل مـن الحديـد

أثناء عملهم ومعظم حياتهم - وهو يحدثه عن سير العمل في المزرعة. تأملته جيدا. هو شاب مفتول العضلات، قوي البنية وجميل المحيا. حاولت ألا يراها والدها أو ذلك العبد القوي.

في المساء، تجلس كاثي كالعادة مع والدها لتناول العشاء، ومربيتها سيليا تقف خلفهما تنتظر أية أوامر لتلبيها. كان والدها يلتهم الطعام بنهم شديد. وحينما ألقى نظرة خاطفة على ابنته، رأى أنها لا تشاركه الطعام وثمة كلمات حيرى على شفتيها تنتظر الوقت المناسب.

- ابنتي الجميلة مالي أراك حزينة؟
- جميلة؟ أتهزأ بي أبتي؟
- حاشا لله. من قال ذلك؟ أنت أجمل فتاة في العالم.
- ولأجل ذلك الشباب يتوددون لي كل ليلة وأنا محتارة مع أيهم سأرقص!
- الشباب أغبياء بنيتي. لا يعرفون مصلحتهم. أنت كنز حبيبتي.
- أرجوك أبتي، لا تضحك علي بكلماتك المعسولة.

تركته وانصرفت إلى غرفتها. تحطم قلب والدها. ذكرته بأيام شبابه عندما كان في أوج عظمته تاجرا ناجحا يحبه الجميع ويتعامل معهم بكل حب. تذكر آخر صفقة تجارية وضع فيها كل رأس ماله. كان يعد للزواج من سولفان ابنة صديق له. كانت رائعة الجمال،

والترتيبات على قدم وساق وكان العرس قاب قوسين أو أدنى. غرقت الباخرة في البحر وغدا فقيرا لا حول له ولا قوة، تفرق عنه الأصدقاء. كان وحيدا مهموما يائسا. لحظات قاتلة كاد يفكر حينها في الانتحار بأن يلقي بنفسه من فوق ذلك الجبل الذي كان يلجأ إليه غالبا في وقت الشدة لو لم يفوجئ بجالموس يقف فوق رأسه.

– أراك حزينا مورغان. لقد بحثت عنك كثيرا عندما سمعت أن صديقك العزيز قد تخلى عنك وزوج حبيبتك لصديقك موري.

قلت في نفسي إنه رجل عديم الضمير ليس في قلبه رحمة ولكنني بعد أن فكرت عميقا وجدت له عذرا. كيف سيزوج ابنته الجميلة والغنية من رجل فقير؟ ألست معي مورغان؟

– معه حق بالطبع .

لم ينبس مورغان ببنت شفة وبقي صامتا يتأمل الأفق الممتد مد البصر، ولكن قلبه كاد يتمزق وكلام جاليموس يقطع أوصاله.

– عزيزي مورغان، ما زلت أعتبرك صديقا، وأحب لك الخير، لذا فكرت طويلا وأحببت أن أنقذك من الهاوية التي وصلت إليها. أريد منك التفكير مليا قبل أن ترد لي جوابا. سأعطيك مالا لتبدأ به تجارتك من جديد .

عندما سمع عرض جاليموس، فوجئ بهذا الرجل الغني والمعروف يبحث عنه لينقظه من الفقر والضياع. يا ترى لمَ يخطط؟ إلامَ يهدف من وراء كرمه هذا؟

– سأكون كفيلا لك عند كل التجار. سأعيد لك اعتبارك عند الحاكم أيضا. كل ما أريده منك هو الزواج من ابنتي صافيناز.

عندما سمع اسمها، كاد يتقيأ وتغيرت ملامح وجهه وعبس فوق عبوسه.

فقط هناك شرط صغير وهو أن تكتب لي وثيقة بالمبلغ لأضمن سعادة ابنتي، وألا تتخلى عنها بعد ذلك. هو مجرد روتين، صديقي، أعلم جيدا أنك رجل صاحب موقف وتحترم كلمتك. إن وافقت، أنتظرك على العشاء هذه الليلة. وداعا عزيزي، لا تنسَ على العشاء.

صافيناز ابنة جاليموس فتاة دميمة الخلق، قاربت الثلاثين من عمرها و منطوية على نفسها. منزل والدها هو كل عالمها الذي تعرف، لكنها مثقفة بحيث تقضي معظم وقتها في القراءة والرسم.

تبدد حلم مورغان بالاقتران بتلك الفتاة التي أحبها. فكر مليا وعرف أن فتاته تزوجت، وأنه فقير لا يملك إلا منزله ومحل تجارته الخاوي على نفسه. عرف أنه ليس أمامه من خيار إلا الزواج من تلك الفتاة لاستعادة مكانته بين كبار رجال البلدة. لن يخسر شيئا، سيعتبرها كخادمة أو ضيفة ثقيلة الظل، وفي النهاية كل النساء متشابهات إلا ما كان من الشكل. ربما كانت تحمل عقلا رزينا وقلبا وديعا محبا. نعم هو يقضي معظم وقته في العمل والسهر مع الأصدقاء وعند الحاكم، ولذا قرر الموافقة.

كان مورغان رجلا صادقا ولطيفا وله عزة نفس تضاهي الأمراء،

لكـن نكسـته تلـك حطمتـه تمامـا وأفقدتـه ثقتـه بنفسـه ومـن حولـه ممـن أنكـروه وتخلـوا عنـه. عندمـا أفـاق مـن شروده، كانـت دموعـه تنهمـر بسـخاء - فحـدث نفسـه.

- أنـا كنـت أنانيـا بالـزواج مـن أمـك بنيتـي. أنـت تدفعين الثمـن الآن ـ لكـن أعـدك أن أعمـل المسـتحيل لسـعادتك. نعـم، سـأضحي بكل غـال ونفيـس حتـى كرامتـي وغـروري لتكـوني سـعيدة. أعـدك يـا ابنتـي أن الأيـام القادمـة سـتضحك لـك، وتعوضـك عـن أيـام الحـزن واليـأس.

كاثـي فتـاة طيبـة ورثـت طيبـة والدهـا وذكاء ودمامـة والدتهـا وثقافتهـا، فكانـت تحـب الفقـراء وتعطـف عليهـم وتمـد لهـم يـد العـون فكسـبت حبهـم.

اكتشـف مورغـان مواهـب عـدة في إدوارد، أحـد العبيـد الذيـن يعملـون في مزارعـه والـذي يحبـه لأمـر مـا في نفسـه، فهـو عـدا أنـه شـاب قـوي البنيـة إلا أنـه ذكـي وسريـع الفهـم ويكـن لـه زمـلاؤه كل الاحـترام. مورغـان رفـع مـن مسـتوى إدوارد ليكـون مراقبـا في مزارعـه ومرافقـا لـه عنـد زيارتـه للمزرعـة، الأمـر الـذي رحـب بـه كل عبيـده. عرفـت كاثـي كيـف تصـون نفسـها بـين عليـة القـوم. كانـت كثـيرا مـا تعـرج عـلى مـزارع والدهـا وتتفقدهـا وتراقـب الجميـع وهـم يعملـون بجـد ونشـاط، لكنهـا متعجبـة بـما يقـوم بهـا والدهـا مـن ثقتـه بذلـك العبـد الـذي يرافـق والدهـا كظلـه، يـشرح لـه أمـور العمـل ويبتسـم والدهـا لـه كثـيرا معجبـا ومشـجعا.

– لماذا يفعل والدي ذلك؟ ما سر اهتمامه به؟

راقبته كثيرا ومرارا وتعجبت من احترام الآخرين له وطاعته كسيد وكيف يتنقل من مكان لآخر ببراعة ويعطي أوامره لهم، فيسمعون ويطيعون. حزمت أمرها وقالت في نفسها: إن سعادتها فوق كل اعتبار وفكرت كيف تبدأ ومتى.

مدينة ترنتون ـ أمريكا ـ عام ١٩٨٦م

فوجئ سام بوجوده في مكان غريب. عندما التفت حوله شاهد قبة كاتدرائية القديس بطرس تلوح في الأفق..... إذا أنا في روما.... قال سام ... متعجبا كيف ذلك وقد غادرت روما منذ أيام!

أصابه الذهول، يتحسس جسده، ما زال يرتدي لباس النوم، هل يحلم حقا؟! كان في مقهى على الشارع الرئيسي وسط روما يجلس مع آخرين على طاولة في ساحة أمامية للمقهى يشربون الليمون. دار نقاش بينهم وعرفوا أنه من أمريكا، فضحك أحد الشباب وقال لسام: هل تعلم أن جدتي أمريكية؟

- لا، كيف ذلك؟
- كان جدي في زيارة عمل لأمريكا فأحب فتاة هناك وتزوجها.
- إذا نحن أقارب، أليس كذلك؟
- بلى، لكنكم أي الأمريكان تحبون الخيال وتؤمنون بالأساطير!
- لم أفهم، ماذا تقصد؟
- كانت جدتي تقول لنا إن جدها جو ويلسون على ما أعتقد

عـاش مائتـي سـنة. ليـس هـذا فحسـب، قالـت أنـه اختفـى بصـورة غريبـة وعـاد بعـد مئـة وخمسـين عامـا ومـا زال شـابا !!... هـل سـمعت بهـذه الأسـطورة؟

– ربما، فيما مضى!

– لم أسمع في حياتي عن إنسان عاش أكثر من مئة وثلاثين عاما.

اندهش سام. إذا هذا ليس حلما؟

قال له الشاب: أرجوك تفضل بزيارتنا.

وأعطاه كرت تعريف وافترقا.

غـرق سـام في عالم الأحـلام من جديـد، وخيل لـه بأنـه رأى الفضائيين يحومـون حولـه ويراقبونـه فقـام فزعـا ينظـر حولـه. قامـت سـوزي مندهشـة حـين رأتـه مرتبـكا فاحتضنتـه وقالـت: الأحـلام مـرة أخـرى!

– أجل.

ثـم تذكـر قبـة الكاتدرائيـة فقـال: عجبـا، لمـاذا تلاحقنـي رومـا حتـى في أحلامـي؟

– روما من جديد؟

– نعم. كنت في روما!

تغـير لونهـا. لم يقـل حلمـت بـأني في رومـا وإنـما قـال كنـت في رومـا! سـوزي حللـت تلـك الشـيفرة وتنبهـت أن هنـاك سرًّا في هـذا الـكلام.

– ماذا تقول؟ وماذا تفعل في روما؟

– تناولت الليمون مع أقربائنا هناك!

ما كادت تسمعه حتى حملقت فيه من جديد. إنه يؤكد ذلك! اقتربت منه حتى لامس وجهها شفتيه.

– تقول أقرباءنا في روما؟ أرجوك أخبرني عن ذلك بالتفصيل؟

بعد أن أخبرها عن حلمه والحوار الذي دار بينهم، فغرت فاها وقالت: حسبتك تتكلم بجدية، إذا لا شك أنهم أقرباءنا. هل عرفت عنوانهم؟

أخذ يتحسس ثيابه وسوزي مندهشة.

– عمَ تبحث سام؟

لكنه لم يجب وأخرج من جيب البيجاما كرت التعريف، فحملق مندهشا و قال : مستحيل! إذا أنا كنت في روما هذه الليلة؟

وقفت سوزي فاغرة فاها وقرأت كرت التعريف، ونظرت لسام مصدومة: – أنا لم أفهم. من أين لك هذا الكرت؟

– لن تصدقي يا سوزي. لقد طلب مني الإيطالي زيارته في بيته وأعطاني هذا الكرت!

– أي إيطالي؟ لا تقل لي من كان في الحلم هذه الليلة؟

– أجل. هذا ما حدث معي!

- لا...لا يمكن أن أصدق! أنت.... ثم صمتت برهة، وفكرت: أيعقل أن يكون رجال الفضاء هم الذين نقلوه إلى روما ثم أعادوه مساعدة منهم؟ ونظرت لسام واحتضنته بقوة.

- إذا إلى روما حبيبي!

لم ترق لسام فكرة السفر مرة أخرى لروما، لكنه لم يمانع من ذهاب سوزي والتحقق من الأمر. في اليوم التالي، طارت إلى روما يحدوها الأمل بلقاء أقربائها لعلها تجد ما يشد انتباهها لأمر جديد تبدأ منه مغامرتها الثانية. عند وصولها مطار روما، اتصلت بالرقم الموجود على كرت التعريف فسمعت صوتا شابا، وشعرت بالنصر عندما عرفت أنه يعرف زوجها سام، وأن الأمر حقيقي فأخذت منه موعدا.

يوم دامٍ - بومبي ٥٥م

تجري ألعاب الغلاديات برعاية الأمبراطور أو الحاكم، غلاديات (**gladiator**) هي كلمة لاتينية الأصل مشتقة من غلاديوس (**gladius**) وتعني السيف. فالغلاديات هو رجل السيف، المصارع الشرس الذي يخوض لعبة الموت مع أشرس الحيوانات المفترسة وأقوى المقاتلين لإمتاع الجمهور. وهو مقاتل محترف ليس لديه ما يخسره، فقتاله داخل الحلبة قتال حتى الموت. كان معظم الغلاديات من العبيد وأسرى الحرب الأشداء والأقوياء، يتم تدريبهم داخل مدارس أشبه بسجون، على يد محترفين من الجيش الروماني.وبعد معزوفة موسيقية، يتمّ عرض الحيوانات المدرّبة، فيبدو المسرح أشبه بسيرك. يلي ذلك إعدام المجرمين بصورة مهينة ومؤلمة على مرأى من الجمهور للعبرة، المسرح يعج بالمتفرجين، الحاكم وزمرته يجلسون في مقصورة خاصة، بجانبها مقصورة أخرى لكبار رجال المدينة، الساحة خالية تماما، موسيقى تصدح بانتظار بدء اللعبة الدموية، الناس متشوقون للحدث الجديد.

ظهر المقاتل تترايتس بعضلاته المفتولة نصف عار يحمل سيفا، فصفق الجمهور؛ فهو من المقاتلين الأشاوس الذين لم يهزموا من قبل، ثم ظهر سجين ضخم الجثة يحمل سيفا، كان هذا السجين عبدا لأحد السادة لكنه كان يفر كلما سنحت له الفرصة، ومن سوء حظه يلقى القبض عليه فيعذب بالضرب الشديد، هذه المرة تبرع به سيده للقتال.

بدأت اللعبة وصالا وجالا في الحلبة بكل خفة ورشاقة وعنف، جرح تترايتس في عضده فنزف الدم، تأمل جرحه الطفيف فغضب غضبا شديدا فزمجر كالأسد وانقض على خصمه بكل قوة وشجاعة فجرحه في صدره، الدماء تنزف، الجمهور يهتف لتترايتوس، فيزداد عنفا وقوة، فيهجم على خصمه فيجرحه في أنحاء متفرقة، نزف كثيرا انهارت قواه، وفي الجولة الأخيرة ضربه ضربة سببت له جرحا عميقا فهوى على الأرض، ألقى بسيفه رفع إبهامه إيذانا بالهزيمة.

الحاكم مندهش من قوة السجين، تترايتوس ينتظر أمر الحاكم، فلا يحق له قتله إلا بأمره، الحاكم ينظر للجمهور ليعلن موقفه، تترايتوس يتمنى قتله لئلا يعاود منازلته من جديد لما رأى قوته وتحمله، السجين يأمل العفو عنه، شاهد الحاكم أصابع الجمهور تشير للأسفل وهي إشارة لقتل المهزوم، أعطى الحاكم أمرا فهوى السيف على عنقه فهوى على الأرض، انسحب المقاتل رافعا سيفه يقطر دما، هاج الجمهور وماج يصفق ويصرخ، دخل رجل يحمل

مطرقة فهوى بها على رأس السجين ليتأكد من موته. دخل رجلان سحبا الجثة للداخل، ظهر المصارع في مكان خاص وقدم له الطعام والشراب، جائزة لفوزه.

الموسيقى تصدح بانتظار الفقرة الثانية، دخل رجلان مقيدان بالسلاسل شبه عاريين إلا ما يستر العورة، كانا يصرخان ويبكيان، يطلبان الرحمة من الحاكم، الجمهور يهتف بقتلهما، فتحت بوابات من الطرف المقابل، انطلق منها بسرعة البرق، أسد ونمر يزأرن بوحشية أنيابها تلمع تحت أشعة الشمس الملتهبة، كانا قد حرمت من الطعام لثلاثة أيام، هجما على الرجلين فمزقاهما شر تمزيق وفي لحظات التهمتا جثتيهما ولم يبق إلا عظاما متفرقة، الجمهور يصرخ منتشيا.

كانت هذه الحفلات من المصارعة متنفسا وحيدا للناس؛ ففيها يفرغ كل منهم الغضب والهم والمتاعب بصراخه وتفاعله مع القتال، فكان الحكام يحرصون عليها بين الفينة والأخرى للسيطرة على الشعب.

بومبي - إيطاليا - عام ٥٥م

خطرت لكاثي فكرة تقليد والدها في اتخاذ ذلك العبد مرافقا لها ليشرح لها أمور العمل ولكي تكتشف بنفسها سر والدها واهتمامه به. راقت لإدوارد مرافقة سيدته في جولاتها في المزرعة، وحاول جاهدا أن يبقى تحت ناظريها يلتمس رضاها ويكسب ودها كلما حضرت للمزرعة، فوطد علاقته بها إلى درجة أنه جعلها تحبه بطريقة ما، الأمر الذي حدا بها اتخاذه حارسا شخصيا عند اقتضاء الأمر.

فكرت كاثي في أن تغير مظهره حتى لا يتعرف عليه أحد من معارفها وزبائنها، وتغير اسمه أيضا، وأطلقت عليه اسم جوفيان، وهو أمر يخدمها كثيرا ويبعد عنها شبح القيل والقال واتهامات ستطال كرامتها وعزة نفسها، وليكون جديرا برفقتها وملائما لصحبتها، خاصة و أنها رغبت في استخدامه في جولاتها داخل المدينة، وفي زياراتها التي تعمدت القيام بها لأول مرة لبعض الأصدقاء والمقربين.

ذات يوم من أيام أيار اللطيفة، اصطحبت مربيتها سيليا وركبت العربة متوجهة للمزارع وطلبت من إدوارد مرافقتها إلى المدينة حتى إذا ما وصلت إلى الحمامات أعطته مالا وطلبت منه الاستحمام، ثم ذهبت به إلى الحلاق فأصلح من شأنه ثم عرجت به إلى خياط

العائلة وأمرته بتفصيل ثوبين يليقان بالسادة، الأمر الذي أدهش الخياط لكنه لم يستطع مخالفة أمرها، وقام بعمله مكرها لأنه لم يتعامل مع العبيد والخدم من قبل. وعندما ارتدى إدوارد ملابسه الجديدة، ظهر شابا وسيما كأنه من العائلات العريقة لدرجة أن كاثي نفسها لم تصدق ما رأت وحدثت نفسها أن والدها لن يتعرف عليه أبدا، لكنها طلبت من إدوارد عدم ارتداء تلك الملابس إلا برفقتها فقط.

هكذا شغلت كاثي نفسها وابتعدت عن السهر في قصر الحاكم لبعض الوقت، و كل ذلك من دون علم والدها. وبعد أيام اصطحبت خادمها جوفيان في العربة نحو البحر واستقلت معه مركبا خاصا بالعائلة تستخدمه في الصيد والاستجمام، فأخذته في نزهة بحرية حتى إذا ما ابتعدا عن الأنظار طلبت منه التوقف. سألته: إدوارد، لما لم تتزوج بعد؟

– لم أفكر في الأمر، فأنا مشغول في خدمة سيدي، ليل نهار.

– هل قبلت فتاة من قبل؟

ارتبك ولم يتوقع أن تسأله سؤالا كهذا.

– لا لم أفعل.

– لماذا والفتيات حولك ليل نهار؟

– لم يخطر ببالي هذا أبدا.

– ماذا لو طلبت منك تقبيلي؟

فوجئ الخادم بطلب سيدته ولم يجد ما يقوله. خاف أنها تريد اختباره فامتنع، لكنها طلبت منه تقبيلها صراحة فاقترب منها حتى إذا ما كاد يلامس شفتيها، ابتعدت عنه وقالت له: ليس الآن. تخيلت أنه لثم شفتيها بقبلة مجنونة حتى تركته منتشية. أشعلت في قلبها نارا وأججت في جوانحها شعورا مذهلا.

قالت: أنت شاب قوي، وأنا لم أصدق أبدا أنك لم تقبل فتاة من قبل. هيا بنا لنعود قبل أن يفتقدك أبي.

كانت تلك اللحظة بمثابة الشرارة التي أشعلت الحب في قلبها، وتمنت لو أنها تركته يقبلها؛ فهو شاب وسيم وذكي مع أنها كانت تعلم أن العرف والتقاليد تحرم عليها الزواج من العبيد.

كالاهاني تاجر حيوانات جاء إلى متجر مورغان ذات صباح ليعقد معه صفقة تجارية فطلب عشر بقرات وثور. فكر مورغان جيدا فهو يعلم كبرياء كالاهاني لكنه أراد أن يختبره، فقال له: توجه إلى المزرعة صديقي ستجد إدوارد هناك سيعطيك ما تريد.

حملق كالاهني في مورغان مندهشا.

– تعلم أني لا أتعامل مع العبيد، مورغان؟

تبسم مورغان وقال له إدوارد مراقب في مزارعي وسيعجبك كثيرا، سيد كالاهاني.

همس مرافق كالاهاني في أذنه فتبسم وغادر المتجر متوجها للمزرعة حيث استقبله إدوارد قائلا: ما طلبك سيدي؟

قال كالاهاني: أريد عشر بقرات وثور؟

دخل كالاهاني وخدمه المزرعة واختار البقرات والثور وقال للخادم: كم يريد سيدك ثمنا لها؟

قال إدوارد مبتسما: الثور هدية من سيدي، والعشر بقرات بمئة قطعة .

دفع كالاهاني النقود فرحا وغادر مع بقراته ومرافقيه ضاحكا بغنيمته.

كان مورغان منزعجا من تأخر إدوارد، فقد كلفه بمهمة لأول مرة وهو ينتظره بفارغ الصبر ليعرف هل نجح في مهمته أم فشل. وهل يستطيع الاعتماد عليه لاحقا أم لا؟ وهل سيكون أهلا للمهمة التي يؤهله لها ليكون مطمئنا وسعيدا أم لا؟

أسئلة كثيرة تقلقه وهو يدور في متجره كالثورعلى لوح الدراس!

كل هذا وكاثي مندهشة تماما من حال والدها دون معرفة سبب قلقه، إذ ظنت أن هذا ليس الوقت المناسب للحديث معه. ما كاد إدوارد يدخل المحل حتى ثار في وجهه معنفا لتأخره عليه. تغير وجه إدوارد عندما شاهد كاثي تجلس مكان والدها وشعر بالمهانة، فقال مورغان له : ماذا فعلت؟

أجاب: سيدي بعته عشر بقرات وثور كما طلب. قلت له: الثور هدية من سيدي والبقرات ب .....

– أيها الأحمق، من يهدي ثورا هذه الأيام؟

– منذ متى تعتمد على العبيد في البيع أبتي؟

– هـذه أول مـرة أحببـت أن أختـبره ليكـون مسـئولا فيـما لـو نجـح في مهمتـه. تعلمـين بنيتـي أننـي كـبرت ولم أعـد أسـتطع التحمـل.

كان إدوارد يحاول التكلم لكن حوار كاثي مع والدها يمنعه.

– أخطأت في الحكم عليك. لن تصلح إلا أن تكون عبدا.

– سيدي، أنت لم تسمع بقية الحكاية.

– هات ما عندك أيها الغبي.

– سيدي، قلت لي بع رأس البقرة بثمان والثور بعشرة قطع.

– نعم. هذا ما قلته.

– يعني أن ثمنها تسعون قطعة.

– أجل. أنت تعرف الحساب؟

– سيدي، تفضل هذه مئة قطعة.

أخذ مورغان القطع مندهشا وهو ينظر إلى ابنته كاثي.

– لم أفهم إدوارد. فسر لي ذلك.

قـص إدوارد كيـف تـم البيـع. ضحـك مورغـان وضحكـت كاثـي وسر إدوارد لأنـه نـال إعجـاب و رضـا سـيده وسـيدته.

– أحسنت ... أحسنت إدوارد. نظرتي لك كانت صائبة. اذهب إلى عملك وكن حذرا.

– حاضر سيدي.

سرت كاثي كثيرا بنجاح إدوارد في مهمته، الأمر الذي حدا بها وشجعها في بوح سرها لوالدها. قالت له منشرحة الأسارير و مبتهجة الفؤاد برنة تنم عن السرور والثقة:

– أبتي. لقد وجدت شابا سيكون زوجا مناسبا لي.

فوجئ مورغان وظن أن القدر أخيرا ابتسم لابنته وسيخفف عنه أعباء جساما كانت تثقل كاهله. تبسم وقال: من هو بنيتي؟ هل هو من عائلة راقية؟ وهل أعرفه؟

– نعم. أنت تعرفه جيدا. اسمه جوفيان، وغدا سيأتي لزيارتك طالبا.

قام من مكانه واحتضن ابنته بحب، ودمعت عيناه فرحا لصغيرته التي ستتولى أمور أعماله من بعده.

– تعلمين أن هذا ما أحلم به منذ زمن، وما أتمناه طيلة حياتي. رفضت الزواج بعد وفاة والدتك حتى تعيشي معززة مكرمة، وحتى تكوني أنت سيدة البيت. الآن أشعر بالراحة والسعادة. لكن من هو جوفيان؟ لم اسمع به من قبل!.

– حسنا. إن غدا لناظره لقريب أبتي.

رقص قلب كاثي تلك الليلة وعاشت في عالم من الخيال والأحلام، تستذكر رحلتها في عرض البحر، فهاج القلب وماج وبنت قصورا في الهواء وجنانا في السماء، ونسجت من خيوط الشمس فستان زفافها ومن ضوء القمر وشاحها، وأخذت من مخدعها ترتب ليوم عرسها، وعاشت لحظات من السعادة حتى أفاقت على صوت مربيتها وقد أحضرت طعام فطورها، وفتحت النوافذ لتدخل أشعة الشمس و تداعب وجنتيها والابتسامة ما تزال تزين شفتيها فتعجبت مربيتها من تغير أحوالها.

سارعت إلى المزرعة، واصطحبت خادمها وأمرته بارتداء ملابسه الجديدة وإصلاح أمره وطلبت منه طلب يدها من والدها فتغير لونه واكفهر وجهه ولم يجد جوابا، فقالت له: ما بالك لا تجيب؟

– سيدتي...لا أستطيع!

قالها وقلبه يكاد يخرج من صدره، وجوارحه ترقص طربا وفرحا. ولكنه مجرد خادم، ويعلم أن مجرد التفكير في ذلك مستحيل أو لوعلم سيده بمقصده لجعله عبرة لمن يعتبر.

– اندهشت كاثي وهي ترى جسد إدوارد يهتز كورقة في مهب الريح، فتذكرت أنها تخاطب عبدا. حسمت أمرها وقالت: تذكر أنا من يطلب منك ذلك. سأجعل منك سيدا. لذا سترافقني إلى والدي فهو ينتظرني الآن لأقدم له زوج المستقبل، فكن على قدر المسئولية. أريد منك أن تكون شجاعا وقويا وأنت تطلب يدي من والدي. اسمك سيكون جوفيان. هيا بنا.

ولجت كاثي متجر والدها والسعادة ظاهرة على محياها فوجدت والدها متلهفا للتعرف على العريس القادم.

– أين العريس بنيتي؟

– لحظات وسيكون بين يديك. أرجوك أبتي وافق عليه فهو من اختاره قلبي وعقلي أيضا.

قالت ذلك بدلال، وهي تستحث عطف والدها المحب ليكون بجانبها في شغفها بالرغم من صعوبة الأمر بالنسبة له.

– صغيرتي. تعلمين أنني أنتظر هذه اللحظة منذ سنوات. سأقيم لك حفلا عظيما، وأدعو الحاكم وعلية القوم ليشهدوا هذا الحدث العظيم.

ولج إدوارد كضابط في الجيش مرتديا بدلته الجديدة وهيئته الرزينة فرحب به مورغان. لأول وهلة يحدوه الأمل عندما رأى شابا وسيما كأنه أمير. انحنى الشاب مخاطبا: سيدي، يشرفني طلب يد كريمتكم الآنسة كاثي.

لم يكن الصوت غريبا وان كان ملحنا.

– أهلا بني. تفضل بالجلوس. هلا عرفتني بنفسك؟

واحتار إدوارد فيما يقول فأسعفته كاثي بالرد على والدها.

– ألم تتعرف عليه أبتي؟

اقـترب منـه قليـلا وعندمـا تأملـه جيـدا، زاغـت عينـاه وفغـر فـاه مندهشـا. التفـت نحـو كاثـي سـائلا: أليـس هـذا إدوارد الخـادم؟

– نعم أبتي. إنه السيد جوفيان اعتبارا من الآن.

– أجننت كاثي؟ أنت تلعبين بالنار!

طلبـت كاثـي مـن جوفيـان الانتظـار في الخـارج. كان مورغـان يعـد إدوارد لهـذه المهمـة بالتحديـد، لكنه أثار تلـك الضجة ليتأكد من شـعورها نحـوه، ولتتحمـل المسـئولية فيـما بعـد مـع أنـه فوجـئ تمامـا بـما يحـدث.

– أبتـي. أنـا لم أفهـم سـبب غضبـك، أنـت مـن جعـل إدوارد مراقبـا ثـم مسـئولا عـن المبيعـات، ومرافقـا لـك في المزرعـة وتأتمنـه عـلى عملـك. أليـس كذلـك؟

– بنيتـي، هـذا عمـل. مـا تطلبينـه أنـت حيـاة وعـشرة، وتعلمـين جيـدا أن الحاكـم لـن يقبـل بذلـك وسـيتخلى الجميـع عنـا. لـن يقبـل أحـد أن يكـون الخـدم بيننـا أبـدا!

– الحاكـم .... الحاكـم .... لا يحـق لـه أن يتدخـل في حياتنـا. أنـت تعلـم جيـدا أننـا نعيـش حياتنـا وحدنـا، ولنـا تجارتنـا الواسـعة ولـن يسـتطع التجـار إلا أن يتعاملـوا معنـا شـاءوا أم أبـوا. ورأيـت أنـك لم تتعـرف عـلى جوفيـان إلا عندمـا أخبرتـك. فمـن سـيعرفه إذا!

– وماذا نقول للناس والحاكم؟ هل نزل من السماء ليتزوجك؟

– لا أبتـي. سـنقول أنـه ابـن أحـد أصدقائـك مـن بلـدة سـاليرنو

(**salerno**). وهكـذا ستسـير الأمـور كـما نشـاء، فـلا تقلـق.

اندهـش مورغـان لتخطيـط ابنتـه لـكل شيء. نعـم هكـذا كان يفكـر، ويعـد العـدة لزواجهـا منـه. وفَّـرت كاثي عـلى والدهـا الكثير مـن الوقت والجهـد وسر كثـيرا أن وافقـت عـلى الـزواج منـه، فهـي سـتكون في أيـد أمينـة وقويـة وذكيـة ولـن يخشـى عليهـا إن حصـل لـه مكـروه يومـا مـا.

أخذهـا بـين ذراعيـه يحتضنهـا بحـب ودمعـة فـرح سـالت عـلى وجنتيـه، وقـال:- سـأكون معـك للنهايـة بيتـي فسـعادتك مـا تهمنـي فقـط وليذهـب الحاكـم وزمرتـه للجحيـم.

ذهـب مورغـان عـلى الفـور إلى صديـق طفولتـه العزيـز مـوري، تاجر القـماش . كان يأمـل مورغـان مـن صديقـه المسـاعدة لـدى الحاكـم لأنـه مقـرب منـه وهـو يعـرف سره جيـدا حتـى يشـهر زواج ابنتـه. توسـل إليـه كثـيرا لكنـه لم يفلـح.

كان في مدينـة بومبـي سـجن كبـير تحـت المنتـدى الرئيـسي يعـج بالنـاس الذيـن يسـجنون لأسـباب تافهـة. يتركـون بـلا محاكمـة غالبـا. ومـن يحكـم عليـه بالمـوت، يوضـع في مـكان خـاص فتجـرى مبـارزات بينهـم ليتسـلى الحاكـم وزمرتـه فيتقاتلـون حتـى يقتـل أحدهـم الآخـر. وفي بعـض الأحيـان يتبـارز السـجين مـع الحيوانـات المفترسـة المتعطشـة للدمـاء. هكـذا تعيـش المدينـة، إمـا لهـو وطـرب وإمـا قتـل ودمـاء.

لكـن تلـك الأمسـيات كانـت تدمـي قلـب كاثـي كثـيرا وهي تشـاهد الدمـاء والـصراخ وطلـب الرحمـة فيـما الجميـع يصفقـون ويضحكـون،

لكنها قررت عدم الذهاب لتلك الاحتفالات مطلقا واعتبرت أن الأمر أكثر تخلفا ووحشية حتى من الحيوانات.

عرف جوفيان كيف يسيطر على العمال، فوظف بعضهم ليتجسس على الآخرين؛ فينقلوا له كل شاردة وواردة. وعندما يحدثهم بما جرى يشك البعض أنه يعلم الغيب أو يكون بينهم دون أن يشعروا، وبذلك تسير الأمور على أحسن حال، الأمر الذي أدهش مورغان الذي يراقب الوضع من بعد، فَسُرَّ كثيرا واطمأن له.

أقام مورغان حفلا صغيرا، دعا له بعض الأصدقاء المقربين لزواج كاثي وجوفيان بعيدا عن الحاكم وزمرته. عاشت كاثي سعيدة مع زوجها في منزلها لأيام وارتاح بال مورغان وهو يشاهد كريمته تتألق سعادة في الحديقة والمنزل كفراشة بين الزهور. اغتنم مورغان الفرصة ليتوج سعادة ابنته فاصطحب جوفيان إلى قصر الحاكم برفقة كاثي ليلة أحد حتى يبارك الحاكم زواجهما.

كان الحاكم كالعادة مع المقربين منه وخلفه جودعان رئيس الحرس. شاهد كاثي منشرحة الأسارير برفقة شاب وسيم يتقدمهم مورغان الذي مثل بين يديه. قال مورغان: سيدي الحاكم. أقدم لكم صهري جوفيان.

قال الحاكم: لم أسمع به من قبل.

قال مورغان: نعم سيدي، إنه ابن صديقي من بلدة ساليرنو. تزوجا في حفل صغير لا يليق بمقامكم.

أشار الحاكم بيديه أن تفضلوا واستمتعوا بالحفل. كاثي تراقص جوفيان في وسط الصالة ومورغان يراقبهما بفرح. أخيرا، حبيبتي وجدت لنفسها السعادة والابتسامة.

راقب الحاكم جوفيان وكاثي وشك في أمرهما وكان من الدهاء والمكر بمكان، وقال لمن حوله: لو صدق مورغان لأقام حفلا كبيرا لابنته ودعانا إليه. إن في الأمر سر سأكشفه الليلة.

همس في أذن جودعان الذي غادر القاعة مسرعا وأمر ضابطا باصطحاب عدد من الجند إلى مزارع مورغان ليتحقق من الأمر.

في المزرعة، قابل الضابط العبيد وسألهم: رأيت اليوم سيدتكم كاثي مع رجل غريب. من يعرف اسمه؟

- سيدي، هذا إدوارد!
- من يكون إدوارد؟
- أحد الخدم، وكان يعمل معنا وتلك خيمته.
- ما حكايته؟
- اختاره السيد مورغان ليكون مرافقا له في المزرعة ثم عينه مراقبا علينا، ومنذ أسبوع لم يحضر إلى هنا.

جوفيان هو الاسم الذي أطلقته كاثي على إدوارد عندما قررت الزواج منه ولم يعرف به إلا والدها. عاد الضابط وأخبر رئيس الحرس الذي ضحك كثيرا من دهاء مورغان وابنته وأخبر الحاكم

بأمـره. طلـب الحاكـم مـن الموسـيقيين التوقـف وطلـب مـن الخـدم إحضـار مورغـان وابنتـه وجوفيـان إلى المنصـة الرئيسـية. قـال:

– أخبرنـا مورغـان قبـل قليـل أنـه زوج ابنتـه لابـن صديقـه جوفيـان مـن بلـدة سـاليرنو، وفرحنـا لأجلـه ولأجـل كاثـي. مورغـان، مـا عهدنـا عليـك الكـذب مـن قبـل. أن تـزوج ابنتـك لعبـد فهـذا شـأنك، أمـا أن تكـذب علينـا فهـذا لـن نقبلـه أبـدا. أنـت وابنتـك غـير مرحـب بكـما هنـا.

وأمـر الجنـد بإخراجهـم مـن القاعـة. نكـس مورغـان رأسـه خزيـا بـين عليـة القـوم وهـو يدفـع مـن الجنـد للخـارج ويقـذف بـه كالعبيـد. شـعر مورغـان أن الأرض سـتبتلعه، وقـد خـارت قـواه ومـلأ اليـأس قلبـه، وضاقـت الدنيـا عليـه وشـعر بضيـق في التنفـس كـما لـو أنـه يصعد إلى السـماء. وصـل المنـزل، وألقـى بنفسـه عـلى فراشـه كطريـدة أصابهـا السـهم وهـي تتلـوى مـن شـدة الألم. جوفيـان لم ينبـس ببنـت شـفة وبقـي واجمـا كعبـد آبـق.

رأت كاثـي والدهـا يطـرد كلـص مـن القـصر أمـام عليـة القـوم ويرمـى بـه ككيـس قمامـة والجنـد يركلونـه بأقدامهـم، فاسـودت الدنيـا في عينيهـا وشـعرت أنهـا السـبب فيـما يجـري، واهتـزت كل القيـم والمعـاني السـامية لوالدهـا أمـام عينيهـا وعلمـت أنهـا النهايـة السـوداوية لـه. لم يحـن النـوم عليهـا تلـك الليلـة وهـي تراقـب والدهـا الـذي يتـألم ويبكـي كطفـل صغـير. كانـت تنتحـب في تلـك الزاويـة المطلـة عـلى غرفـة والدهـا، يخـز قلبهـا ألم لا تسـتطيع تحملـه.

روما ـ إيطاليا ـ ١٩٨٦م

قام روبرتو فزعا من حلم راوده تلك الليلة. توجه إلى مرآة في غرفة نومه. تأمل وجهه المرتبك. لفتت نظره عصا كالقوس معلقة بجانبها كأنها لوحة فنية. أمسك بها يقلبها بين يديه كأنه يراها لأول مرة، فلم يجد بها شيئا ذا قيمة. تذكر أن والده أخبره بأن تلك العصا إرث عائلي مقدس وعليه المحافظة عليها كروحه. عندما سأل عن السبب، أخبره أن فقدانها أو كسرها علامة شؤم.

تأملها كثيرا ثم أعادها لمكانها. كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحا. أعد وجبة إفطار كالعادة وتناولها سريعا وهو يتصفح كتابا أمامه. تناول هاتفه النقال. اتصل بصديقه دانتي، وطلب منه لقاءه في مكتبة الجامعة في الثانية بعد الظهر.

مضت ساعات المحاضرات بسلام لكن كان مشتت الفكر، كان في مكان آخر يسيطر عليه ذلك الحلم المزعج. وجد دانتي بانتظاره في المكتبة قلقا.

– ما الأمر روبرتو؟

– بالأمس في محاضرة التاريخ. ذكر البروفسور شيئا عن الأساطير

القديمة. الليلة الماضية، رأيت حلما مزعجا، كأن القيامة قامت وانفجارات هائلة حدثت، والمنازل تهدمت، والناس في رعب شديد.

– لا بد أنك تأثرت بتلك المحاضرة. هذا كل ما في الأمر.

– هناك شهود على ذلك.

– ماذا تقصد؟ قص عليَّ الحلم!

– رأيت عصا مقوسة قليلا خرجت من منزلي وطارت في الهواء، ثم رأيت أخرى تأتي من الشرق وثالثة من الغرب ورابعة من الجنوب، والتحمت كلها مع بعضها البعض، وشكلت دائرة خرج منها شعاع أحمر قاتم مصوب نحو الشرق، فخرجت من هناك كرة ذهبية ضخمة أحدثت انفجارات، وتطايرت المنازل واشتعلت النار في كل مكان.

– قلت أربع عصي مقوسة وكرة ذهبية ضخمة؟ هل تستطيع أن تصف لي تلك العصي؟

– في بيتي واحدة منها.

كادت عينا دانتي تخرج من محجريهما.

– ماذا تقول؟ من أين حصلت عليها؟

– هي إرث عائلي.

تغير وجه دانتي وقام فزعا.

– روبرتو. أنت أهم رجل في العالم!

– ماذا تقصد؟

– ليس الآن. علينا أن نفترق ونلتقي في منزلك بعد المغرب. إياك أن تخبر أحدا عن الحلم أو العصا.

يقيم روبرتو في شقة ورثها عن أبيه في شارع ـ **via faleria** ـ قرب كنسية – **san martino** – – مكونة من غرفتين وصالة جلوس وحمام ومطبخ ذي تصميم عريق.

دانتي يفحص العصا بشغف، يحاول أن يجد فيها شيئا ذا أهمية فلم يجد. يفركها بين أصابعه بلطف لعلها تصدر صوتا أو تنقسم إلى أجزاء. لا شيء من ذلك. يخيل لدانتي أنه شاهد عصا مثلها يوما ما أو سمع عنها في مكان ما، ويعلم أن سرًّا يكمن خلفها. دانتي طالب في السنة الرابعة قسم الآثار. قرأ الكثير عن الأساطير والحضارات القديمة خاصة ما يتعلق بالإمبراطورية اليونانية والرومانية.

– هل لديك عدسة مكبرة روبرتو؟

– لا. لماذا تسأل؟

– أرجوك، اعثر على واحدة الآن!

– في الجوار مكتبة سأذهب لشراء واحدة.

أخذ دانتي يفحص العصا بدقة بالغة من الطرف إلى الطرف، وكان يقرب العدسة ويبعدها عند طرفها حتى يرى بوضوح. فجأة

صارت عيناه واسعتين، ولم يصدق ما هو بصدد رؤيته. طلب من روبرتو أن يتأكد، أخذ روبرتو يفحص العصا وأكد أنه أيضا رأى ما يشبه النتوء وسطها و كأنه غطاء البطاريات للريموت. طلب دانتي القليل من الزيت وأخذ يضعه على وسط العصا ثم يعالجه بمفك صغير مرة تلو الأخرى، حرك الغطاء وفتحه برفق. وجد تجويفا وبداخله ما يشبه الورقة. أخرجها وفتحها، ففغر فاه ولم يستطع قراءة ما كتب عليها. تأخر الوقت. طلب دانتي أن يقضي الليلة عند روبرتو. أعد عشاء خفيفا ثم استسلما للنوم.

في الصباح، تناولا وجبة خفيفة وانطلقا إلى الجامعة على أن يلتقيا في المكتبة بعد الظهر. سيطرت على فكر دانتي تلك الورقة التي وجدها في العصا بلغة غريبة. في المكتبة بحث دانتي عن كتاب حول الأساطير القديمة، تصفحه بشغف وكان يحدوه الأمل بأن يجد ما يبحث عنه. تذكر أنه قرأ ذات مرة عن الكرة الذهبية والعصي الأربعة في كتاب ما. لم يفلح في إيجاد أي شيء ذي قيمة. أخذ يتصفح كتابا تلو الآخر حتى أعياه التعب. قرر تصوير الورقة وعرضها على البروفسور ميشيل (**Michel**).

حملق البروفسور مندهشا عندما قرأ الورقة، وتأمل دانتي وروبرتو بتعجب.

– أين الأصل دانتي؟ قال البروفسور.

اندهش الاثنان من كلام البروفسور الذي تابع يسأل:

– وأين العصا دانتي؟

نظر دانتي إلى روبرتو كأن وحشا هاجمه. كيف عرف البروفسور بأمر العصا والورقة؟

– إنها في المنزل، سيدي !

– يجب أن أراها أولا !

– لا بأس بروفسور. لكن ماذا يوجد في هذه الورقة؟

– ليس الآن. يجب أن أرى العصا والأصل. بعد ذلك نتحدث بالأمر.

– إذا، إلى البيت. قال دانتي.

البروفسور يتفحص العصا بشكل يثير الفضول. طلب مرآة من دانتي ووضع الورقة بالمقلوب وتناول قلما وورقة وكتب عليها ثم أخفاها عنهما. تنفس الصعداء وقال لهما:

– أيها السيدان أنتما في خطر! هناك من يبحث عن هذه العصا. سيدفع مالا طائلا للحصول عليها. ليس هذا فحسب. هناك ثلاثة عصي أيضا في مكان ما !

سيطر الذهول عليهما تماما. نعم الحلم يتحقق! إذا هناك ثلاث عصي أخرى. هناك خطر قادم. هكذا تراءى لهما في الأيام القادمة.

– أنتما لا تستطيعان العمل بدوني من جهة، وأنا لا أستطيع المواصلة بدونك روبرتو. الأسطورة تقول إن من يجد الورقة الأولى هو

فقط من سيحصل على العصي الأخرى، لكنه سيلاقي متاعب جمة قد تؤدي بحياته.

تسمر روبرتو في مكانه كصنم وقد ارتسمت على وجهه ملامح القلق، لكن دانتي أخبره أنه معه للنهاية. أما البروفسور الذي زرع الخوف في قلبيهما فقال لهما:

- الآن وقت الامتحانات. استعدا لها. وأخبرهما أنه سيغادر الآن على أن يلتقوا بعد أسبوعين في مكان حدده لهما.
- ما الحكاية دانتي؟ أنا لا أصدق البروفسور أبدا. لا بد أنه يخفي عنا أمرا مهما.
- لا تقلق روبرتو، أنا أعرفه جيدا. إنه صادق ومستقيم، ولا يمكن أن يغشنا أبدا.
- إذا لماذا لم يقل شيئا ؟ أو يخبرنا بما في الورقة؟ لماذا لم يخبرنا بما يخطط له؟
- قلت لك لا تقلق. أترك الأمر لي، سنفترق الآن وكأن شيئا لم يكن.

اعتكف روبرتو في منزله يجهد نفسه في الدراسة وكلما وقف أمام المرآة وشاهد العصا ارتبك وتذكر كلام البروفسور عن الخطر المنتظر، فأخفاها في غرفة نومه، وتنفس الصعداء وانكب على كتبه بنهم شديد. كان متفوقا في دروسه يحب الوحدة بطبعه، لكن دانتي أرقه الأمر كثيرا وكان كلما مل من القراءة أخذ يبحث في المكتبة

والشبكة العنكبوتية عن تلك الأسطورة حتى يفك لغز البروفسور قبل اجتماعهما معه بعد الاختبارات.

أما البروفسور فلقد ذهب بعد أن غادرهما إلى مارتينو **(Martino)**، وأخبره بأن لديه معلومات هامة عن الأسطورة.

مارتينو رجل أعمل كبير وصديق للبروفسير، لديه شغف كبير بالأساطير والأثار، علم يوما بأمر الكرة والعصي، وأخبر البروفسير أنه سيدفع مالا كثيرا للمساعدة في الحصول عليها خوفا من أن تقع في يد منظمة سرية تبحث عنها لتدمير العالم والسيطرة عليه.

- ما وراءك بروفسور؟
- الأسطورة تتحقق مستر مارتينو. أمسكت طرف الخيط. قريبا سأبدأ البحث بشكل حثيث، ولن أعود لبيتي إلا بعد أن أجمع كل خيوطها.
- هذا خبر جيد.
- أتوقع منك مستر مارتينو أن تدفع عربونا حتى أتمكن من مواصلة البحث.
- بكل سرور بروفسور، ولكن ليس قبل أن تطلعني على طرف الخيط فأنت تعلم أن المال يعادل الروح!
- كما تريد مستر مارتينو. عثرت على واحدة من العصي الأربعة.

كان مارتينو جالسا وأصابع يديه متشابكة يفرقعها فلما سمع بأمر العصا وقف مندهشا.

– تقول إنك تملك واحدة من العصي؟ إذا فالأسطورة حقيقة!

وأخذ يتمشى حتى وصل إلى طاولة بجانب المدخل فصب كوبا من العصير وأخذ يتجرعه ثم التفت نحو البرفوسور قائلا:

– أصدقك دائما. أنت تعرف ذلك؟ لكن أهي عصا فقط؟ أعني أنها مجرد عصا؟

– لا مستر مارتينو. وجدت بداخلها ورقة باللغة اللاتينية !

اقترب مارتينو من البروفسور تعلو شفتيه ابتسامة مرتبكة.

– وماذا يوجد بالورقة بروفسور؟

– لغز مستر مارتينو.

تجهم مارتينو، ووقف واضعا يديه على الطاولة وقال بغضب:

– ليس بيننا ألغاز بروفسور. يجب أن أعرف كل شيء قبل أن أدفع لك !

– ليس هذا ما قصدته مستر مارتينو. أقصد أن المكتوب في الورقة لغز. إذا حللته يدلني على العصا الثانية!

وانفرجت أسارير مارتينو:

– هذا جميل بروفسور. وإذا وجدت العصا الثانية ستدلك على الثالثة. أليس كذلك بروفسور؟

– أعتقد هذا مستر مارتينو.

– إذا سأدفع لك عربونا، وأرجو أن أبقى على اطلاع على كل جديد بروفسور!

انتهت الامتحانات بسلام، كان روبرتو ودانتي بشوق لمواصلة البحث عن سر العصا وما يخفيه البروفسور من معلومات. التقى الجميع في المكان المحدد.

إليكما الأمر. يوجد أربع عصي في البلاد كلها، وهناك كرة ذهبية في مكان ما. من يجمع العصي الأربعة سيكتشف مكان الكرة الذهبية. كما أخبرتكما من قبل، من يجد الورقة الأولى سيجمع العصي بمعجزة. الأمر ليس سهلا أبدا. تعاوننا جميعا فقط من يسهل المهمة. هناك أكثر من جهة تعرف الأسطورة وتصدقها، وعلى استعداد لدفع أموال طائلة لجمعها. لكنني أعرف رجلا صالحا يحاول العثور عليها؛ حتى لا تقع في أيدي الأشرار وسيدفع لنا أيضا. سأتفاوض معه وسيساعدنا لأنه جمع الكثير من المعلومات حول الموضوع. مكتوب على الورقة لغز سيدلنا على العصا الثانية.

– ماذا يقول اللغز، بروفسور؟

– كيف نجا نوح من الغرق؟

– من نوح هذا يا سادة؟ قال روبرتو.

– أول الأنبياء بعد آدم عزيزي. و الجواب في السفينة بالطبع، صنعها وحده وحمل فيها قومه الذين أمنوا به ! قال البروفسور.

- إذا في إحدى مدن الشاطئ. ربما مهنته صيد السمك. ما رأيكم بهذا التحليل؟
- لننطلق إلى أقرب مدينة من بومبي الهالكة.

طلب مارتينو من أحد موظفيه التجسس على البروفسور، وتزويده بأخباره أولا بأول. زوده بمعلومات عن العمل والسكن والأصدقاء.

بومبي- إيطاليا- ٥٥م

بالرغم من جمال ذلك الصباح الدافئ لم يخرج مورغان للعمل كالعادة، وبقي في غرفته مهموما. تكالبت عليه مصائب الدنيا. دخلت كاثي على والدها وخلفها الخادمة تحمل طعام الإفطار وتسبق ابتسامتها الحنونة لسانها العذب. تحاول جاهدة التخفيف عن والدها. كان حزينا جدا، حزينا لأن اسمه تلوث وكرامته أهدرت وسيرته ستصبح على كل لسان. فهو كالغريق الذي تلاشى أمله في النجاة، فالحاكم لا يرحم، ومن حوله لن يحيدوا عن دربه. سيخسر كل شيء حتى تجارته. حاولت كاثي تصوير الأمر له على أنه سحابة صيف، وأن كل شيء سيعود كسابق عهده. نظر لها والدها نظرة شفقة كأنه يقول لها إذا انكسر الزجاج فلن يعود أبدا كما كان. ما يؤلمني حقًّا يا ابنتي أنك ستعيشين أوقاتا صعبة، لن يرحمك أحد.

لم يرحم مورغان نفسه. بقي يصارع الهموم والوحدة أياما وأسابيع ومرض. اشتد مرضه وطلبت كاثي من مربيتها إحضار الكاهن فقرأ له اعترافه وأسلم روحه. عانت كاثي من موته الكثير، وحملت نفسها مسئولية موته. أما جوفيان فكان يراعي

الأعمال في المزرعة. عندما انتهى الحداد وعادت كاثي تحمل المسئولية والأعباء، قالت لجوفيان:

- أنت في البيت زوج، وهنا خادم، وإياك أن تنسى نفسك أمام الناس فتقلل من احترامي.

لم يجد جوفيان مفرا من الطاعة وانصاع لها، وكان خير معين لها حتى إذا ما وثقت فيه سلمت له الأمور وتفرغت لنفسها وحياتها. كانت تتفقد المحل بين الفينة والأخرى لتراجع الحسابات حتى اطمأن قلبها من أمانته وصدق تعامله.

كانت اللحظات التي قضاها جوفيان يراقص كاثي في قصر الحاكم نعيما لا ينسى وبقيت تلك الذكرى تلاعب وجدانه ويحن إليها كلما حضر يوم الأحد، ويفكر في كيفية الرجوع للقصر معززا مكرما. يقول في نفسه: لن أخسر شيئا فأنا مجرد خادم، ولكنه كان يطمح إلى لقب سيد كي تبتسم له الحياة ويعيش حياة علية القوم، ففكر ومكر ووجد الحل أخيرا. إذ التقى بأحد المقربين من الحاكم وعرض عليه مالا إن أصلح الموقف مع الحاكم. كان التجار يدفعون للحاكم مبالغ شهرية لقاء حمايتهم وسهراتهم، وكان يراقب الجميع بواسطة عيونه المنتشرة في كل مكان. علم أن جوفيان ثبت أقدامه بين التجار وصار له مركزه بينهم وأحبوه حتى تناسوا أنه كان عبدا. جوفيان ولد ليكون سيدا لكن الأعراف والقوانين خذلته ليبقى خادما عند مورغان. ويبدو أن جينات السيرتونين المسئول عن السعادة أبى إلا أن يعيد له أمجاده. عندما تأخر رد

الحاكم، وعد جوفيان بدفع الضعف للحاكم مقابل منحه لقب سيد. لم يكن الحاكم ليرفض فوجوده لا يقدم ولا يؤخر، وهكذا حصل على لقب سيد. وفي أول حفل يحضره جوفيان وكاثي، أعلن الحاكم أمام الجميع منحه اللقب الذي أسعد الكثيرين من التجار الذين يتعاملون معه، وكانت سعادة كاثي لا توصف.

عادت حياة كاثي لطبيعتها تعيش بسعادة كبيرة، وكانت سيليا مربيتها امرأة في الأربعين من العمر ذات جمال خلاب وهي من ربتها منذ الصغر، وتحرص على راحتها كل الحرص. أما زوجها غوردن فكان يعمل في حديقة المنزل ويشتري كل ما تريد كاثي من السوق. مرت سنوات جميلة وتركت كاثي لزوجها جوفيان حرية العمل بعد أن أيقنت أنه أمين وصادق.

كانت الحفلات التي تقام في قصر الحاكم ملهاة بمعنى الكلمة وتظهر النساء محاسنهن ومفاتنهن، ذلك الذي جعل جوفيان يهيم بجمالهن وهو بين يدي كاثي يراقصها بجسده وقلبه وعقله مع الأخريات. هو يعلم أنه لا يستطيع الزواج بامرأة أخرى، ولا يستطيع حتى مغازلتهن فالجميع يعرف أصله وإن حمل لقب سيد.

سيليا الجميلة خادمة كاثي وصديقتها المقربة أيضا كانت كالملاك يحوم في المنزل. أخذت عقل وقلب جوفيان، لكن أنى له ذلك وهي تلازم كاثي كظلها. ظل يفكر في كيفية الاختلاء بها بعيدا عن عيني زوجته. عبثا يحاول فكاثي لا تخرج إلا مع سيليا ولا تجلس في البيت أو الحديقة إلا معها. ماذا سيفعل دون أن يثير

شكوك كاثي، وكيف السبيل لإبعادها عنها؟ صار الأمر يسيطر على فكره وعقله.

من غير ميعاد، وصلت كاثي للمتجر وحيدة. طلبت من جوفيان كل السجلات وجلست تراجعها. أخبر جوفيان كاثي أنه سيذهب للمزرعة لعقد صفقة مع أحد التجار بينما هي تراجع السجلات، وكان يكذب هذه المرة.

روما ١٩٨٦م

قدمت سوزي نسخة من روايتها « رجل من الماضي - مائة عام في الفضاء» للصديق الجديد كارلو الذي اندهش عندما علم أن سام اجتمع به في أحلامه تلك الليلة بطريقة غريبة، لكنه لم يصدق أبدا أن سام لم يكن في روما تلك الليلة وإنما ينام بجانب زوجته في أمريكا. ولم يصدق أنه أعطى كرت التعريف الخاص به لسام في حلمه لأنه في الحقيقة التقى به تلك الليلة. وتساءل: هل لهذا علاقة بتلك العصا التي أوصاه والده بالاحتفاظ بها والمحافظة عليها وكأنها تخرج من مشكاة واحدة؟ و هل هو يعيش في عصر الأساطير والخزعبلات التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟

كان يتأمل العصا كسيف أثري معلق بجانب لوحة طبيعية، ولمحت سوزي تلك العصا وتأملت كارولو و هو ينظر إليها بشكل غريب. سألته عن سر ذلك الاهتمام بها ككنز أثري، فضحك معلقا بأنها كذلك بالفعل. حملقت سوزي بنهم، وسألت: هل لي برؤيتها؟

- بالطبع سيدتي!

جلبها لها. وأخذت تقلبها بين أصابعها متعجبة من سرها، فهي لم تجد فيها شيئا مميزا البتة. وسألت عما يعرفه عنها.

- إنها إرث عائلي قديم.
- لم أفهم ماذا تقصد؟
- هذا كل ما أعرفه. أنها كنز وضياعها علامة شؤم. هكذا أوصاني والدي عن جده عن جده.
- هل تسمح لي بتصويرها؟
- لا بأس في ذلك.

عكفت سوزي على الشبكة العنكبوتية تبحث عن سر تلك العصا فوجدت عجبا. الكثير من الأساطير تختلف قليلا وتتفق في وجودها وخطورتها. ذهبت لمكتبة البلدية تبحث عن كتاب يفسر لها ما يحدث، فوجدت رموزا غريبة وكلاما صعب القراءة والتفسير. بحثت في جوجل عن خبراء وعلماء في الأساطير والآثار واللغات القديمة فوجدت البروفسير ميشيل، أستاذ التاريخ القديم واللغات في جامعة روما – **Roma Sapienza** – فذهبت للقائه في الجامعة.

قدمت نفسها كصحفية أمريكية ومؤلفة روائية، وأخبرته أنها بصدد تأليف رواية خيالية عن الأساطير القديمة وخلال بحثها وجدت صورا لعصا وكرة ذهبية وكلاما بلغة قديمة وطلبت منه المساعدة في بحثها. رحب البروفسور بها وبفكرتها وشجعها على

الكتابة والبحث وأكد لها حقيقة العصي والكرة ومدى خطورتها. سألته إن كان بالإمكان مساعدتها في البحث عنها أو كيف تبدأ في العثور عليها لتكون الرواية أقرب للواقع، لكنه اعتذر لانشغاله في الجامعة ووعدها بلقاء آخر قريب، يتم الاتفاق عليه بعد أن أخذت رقم هاتفه.

اندهشت وتعجبت كيف يتم نسج خيوط الحكاية بشكل مذهل وخيالي ورأت أن في كتابة رواية جديدة تدور حول الأساطير أمر رائع. اتصلت بزوجها سام وأخبرته عن نيتها في التأخر في العودة وأطلعته على ما اكتشفته من أمور لا تخطر على بال.

تم الاجتماع مرة أخرى في بيت البروفسور الذي قال لهما:

- لنبدأ العمل يا شباب. الأمر جد خطير لكنه مثمر ومفيد. ستكون سيد روبرتو مشهورا وغنيا. ما كتب في الورقة أن العصا الأخرى موجودة في بلدة على الشاطئ، ربما كانت مدينة ساليرنو – **salerno** – هي المقصودة بالأمر. سنتحرك غدا صباحا، وليفكر كل منا كيف نبدأ، و كيف نبحث وأين وعمن نبحث. كل هذه الأمور مهمة. نجتمع غدا في الساعة السابعة صباحا وسننطلق بسيارتي. لا تهتما بالمصاريف فقد تكفل بها أحد الأصدقاء المهتمين بالأمر.

بومبي- إيطاليا ٥٥م

توجه جوفيان للبيت وشاهد سيليا تقوم بأعمال التنظيف، وكم هاله جسدها الفاتن. وعندما رأته، أسرعت لارتداء ملابسها لكنه اعترض طريقها وقال لها:

- سيليا الجميلة، لماذا تهربين مني؟ ما أريد لك إلا الخير. اتركي ذلك العجوز وكوني لي وحدي وسأشتري لك بيتا وخادمة. ستكونين أميرة بدلا من عملك المهين هذا.
- لا سيدي. لن أخذل سيدتي، ولست ناكرة للجميل؛ فسيدتي أكرمتني كثيرا وهي كابنتي تماما. أنا من رباها وهي لا ترفض لي طلبا.
- هذا كلام فارغ. العشرة والكرامة وهذه التفاهات. استمتعي بحياتك، فأنت جميلة تعيشين في الحضيض مع هذا العجوز.
- سيدي. زوجي رجل شريف وسيدتي لن أتخلى عنها.
- كما تشائين، لكن لا تصديني عزيزتي فلنستمتع معا و.....
- أنت لا تفهم! لست للبيع سيدي؟

عندما وجد إصرارا من سيليا، أمسك بها بقوة فصدته ولحق بها وحاول الإمساك بثيابها إلا أنها استطاعت دفعه بقدمها وإبعاده عنها وهربت إلى الخارج تصرخ مستنجدة بزوجها. سمع غوردن صياح زوجته فترك العمل وركض نحو باب المنزل ليجدها في حالة فزعة ممزقة الثياب، فتصدى لجوفيان لكنه كان تعبا فلم يستطع إيقافه ، وانهال جوفيان عليه ضربا. وبعد ذلك هربت سيليا وزوجها. عاد جوفيان كالثور الهائج للداخل لبضع دقائق ثم خرج يحمل سوطا ولحق بهما وهو يصرخ:

– ألقوا القبض على السارقة !

ما كاد يسمع الناس عن السرقة حتى اعترضوا طريقهما وألقوا القبض عليهما.

تأخر جوفيان على كاثي فأنهت عملها وعادت للمنزل ففوجئت بجوفيان ينهال ضربا بالسوط على غوردن وزوجته. ولما شاهدت سيليا كاثي اطمأنت وحاولت الهرب إليها والاستنجاد بها لكن جوفيان أمسك بها من شعرها وهي تصرخ وقال:

– سيدتي. لقد عرجت على البيت لأخذ بعض الأوراق فوجدتها في حجرتنا وصندوق مجوهراتك مفتوحا وقد عبثت به، وعندما شاهدتني أغلقته. تفقدت المجوهرات فلم أجد عقدك الثمين. كما أنها كانت أمام النافذة تتكلم مع زوجها الذي أسرع هاربا.

صاح غوردن: إنه يكذب سيدتي.

وقالت سيليا: سيدتي. لقد عرض علي الزواج فرفضت، وحاول الاعتداء عليَّ ومزق ملابسي.

كانت الأصوات تصدح وتقول: اقتلهما. اقتل السارقة. وكان معظمهم من عامة الشعب والعبيد. حزنت كاثي ، لكنها تركتهم وعادت لبيتها.

جوفيان يضرب بالسوط والناس يطالبون بقتلهما إلى أن مر شاب قوي يخترق جموع الناس وانقض على جوفيان بكل قوته حتى طرحه أرضا وانهال عليه ضربا بكل قوته حتى أدمى رأسه. لكن الناس انقذوه من بين يديه وقيدوه بالحبال. عاد جوفيان وحمل سلسلة من الحديد كانت في عربة للخيول وانهال يضربه بكل قوة حتى نزف ثلاثتهم وأيقن أنهم ماتوا. طلب جوفيان من خدمه أن يلقوه بجثثهم في الصحراء ليكونوا طعاما للوحوش.

لم يتعرف أحد على ذلك الشاب القوي ومن حسن الحظ أن الشابين اللذين يقودان العربة يعرفان ابن غوردن، وقد حزنا كثيرا لما آل إليه حالهم فبكيا ألما وحسرة. اتفق الشابان على دفن جثثهم في الصحراء وبعد أن ابتعدا عن الأنظار، أوقفا العربة وحفرا حفرة كبيرة وألقيا بجثة الأب والأم بعد أن فحصا كل واحد ليتأكدا أنهما ماتا بالفعل وعندما فحصا الشاب، ظنا أنه ما زال قيد الحياة، فأسرعا به إلى البحر وثبتاه على لوح خشبي وألقياه في المياه ليلقى مصيره وعادا ليخبرا جوفيان بإنهاء المهمة.

عندما عادت كاثي لمنزلها تفقدت مجوهراتها. لم تجد العقد الذي قال جوفيان أن سيليا سرقته، وكانت الحجرة مبعثرة والنافذة مفتوحة، فعلمت أن زوجها صادق وأن الشيطان سول لسيليا السرقة. عاد جوفيان للمنزل عابسا ووعد بإحضار خادمة أمينة لترعى مصالح كاثي، لكن هذه الأخيرة عاتبته بقسوة وقالت: كان عليك أن تخبرني لأتصرف معها، ما عهدت منها سوءا من قبل.

حاول جوفيان الرد لكنها استرسلت، وقالت: لا تنس أنها من ربتني ولازمتني طوال حياتي فكانت نعم المربية والأم.

- لكنها كانت تستغلك دون أن تدري. هل تفقدت الأموال في الخزانة؟ بالطبع لا. لأنها كثيرة وأنت لا تعلمين إن كانت قد نقصت أم لا. ومن يدخل حجرتك غيرها؟ استغلت طيبتك وكرمك ولولا الصدفة المحضة لما اكتشفناها.

- وما يدريني ؟ لعلها صادقة.

- هل تتهمينني بالخيانة من أجل أمة حقيرة؟

- لا جوفيان. أنا لم أرد أن اكشف زيفك أمام الناس فأنت زوجي، لكن تأكد أني أصدقها.

- لا كاثي. لن أسمح بإهانتي. أنا مخلص لك دوما، ولا أنسى أنك انتشلتني من الحضيض. لم أنس أبدا وسأبقى مخلصا لك ما حييت.

- انتهى الأمر الآن. سيليا ماتت، لكنني بحاجة للراحة والهدوء.

اتفق جوفيان مع فتاة جميلة لتكون خادمة لكاثي. تأخر العبدان اللذان أرسلهما جوفيان لرمي الجثث في الصحراء لمدة يومين. وعندما عادا، أراد جوفيان أن يعاقبهما بشدة، لكنهما قالا إنهما تاها في الصحراء ولم يهتديا للطريق. مرت الأيام والسنون ويكبر جوفيان بين علية القوم. عاش حياة الأمراء وبقيت تلك السهرات في بيت الحاكم كل أسبوع متنفسا له. وبقي السجن يعج بالرجال وفي المسرح تقام المبارزات حتى الموت.

روما ـ إيطاليا ١٩٨٦م

اتصل رافي بمارتينو وأخبره عن اجتماع البروفسور مع سوزي، وأنها تقيم في فندق - روماتينكا - وهي صحفية أمريكية.

- يا له من ماكر! هل يبيع أسرار الكرة وأنا من يدفع له؟

اتصل ماريتنو بالفندق وطلب سوزي ودعاها للعشاء في بيته. حاول معرفة سرها وعلاقتها بالبروفسور لكنه أحس أنها تخفي شيئا ما عنه، وربما عن البروفسور، فأراد أن يأخذها لجانبه ووعدها بدفع مبلغ كبير لكل معلومة عن الكرة الذهبية، وأخبرها أن البروفسور يعمل لحسابه. أخبرته حينها بأنها مجرد كاتبة تبحث عن أسرار لروايتها.

- إذا البروفسور يكذب عليَّ.

اتصلت به وأخبرته أنها تناولت العشاء مع موريتنو، فبهت ولم يجد جوابا. - كيف عرفت بأمره؟ إلا إذا كان موريتنو يتجسس علي.

- كيف أخدمك، سيدتي؟

- أخبرني السيد مارتينو أنك تعمل لحسابه، وطلب خدماتي حول الموضوع.

أرسلت له صورة العصا تحملها بيدها، فتجمد في مكانه وجلس على الأرض مصدوما، ودانتي يراقبه مندهشا من تغير حاله.

– ما رأيك أن نلتقي الليلة في مطعم- **magasin**؟ وأعطاها العنوان.

– يسرني ذلك بروفسير.

تغيرت الخطة أيها السيدان. سننتظر للغد، ربما هناك معلومات مهمة.

حاول الاستئذان لكن دانتي أصر على الذهاب معه ومعرفة ما يجري فوافقه روبرتو. وعندما وصل ثلاثتهم لم يجدوا سوزي قد وصلت بعد فتناقشوا في أمرها بانتظار وصولها بشغف. عندما وصلت، وجدت البروفسور يتوسطهما. شكت في أمره وتغيرت ملامحها. استدرك البروفسور الأمر وأخبرها أنهما شركاء في المهمة، وأن روبرتو يملك العصا الأولى، فاطمأنت وجلست.

– ما حكاية الصورة التي أرسلتها لي، سيدتي؟

– ليس قبل أن نتفق سيدي البروفسور!

– هذا يعتمد على ما لديك من معلومات!

– أعرف صاحب العصا الثانية سيدي. وكما رأيت تصورت معها في منزله.

تبادل الجميع النظرات باستغراب، وتساءلوا إن كانت صادقة أم لا، وهل من الممكن أن يكون الأمر بهذه السهولة؟

- وماذا عرفت عن العصا سيدتي؟

- سألت عن سر اهتمام صاحبها بها ولماذا يضعها في مكان مميز في منزله، فأخبرني أنها إرث عائلي، وأن والده عن والده عن جده أوصاه بها وأن ضياعها أو كسرها علامة شؤم!

انتفض روبرتو محملقا وتغير وجه دانتي وصعق البروفسور- هذا ما قاله روبرتو بالضبط! هل يعني هذا أنهم أقرباء؟

- هل نستطيع رؤيتها والتأكد منها؟ فما قاله لك هو تماما ما قيل لروبرتو من والده عن جده!

- إذا الحكاية صحيحة؟

اتصلت سوزي بصاحبها فرد المجيب الآلي أن الهاتف مغلق. أخرجت كرت التعريف واتصلت بالهاتف الأرضي، فرد المجيب الآلي: أنا مسافر لمدة أسبوع خارج البلاد. يمكنك ترك رسالة.

- كم تريدين سيدتي؟

- لست للبيع بروفسير. إما أن أكون شريكا أو أعمل لوحدي! فالسيد موريتنو سيدفع لي.

- إذا فأنت شريكة. أليس كذلك أيها السيدان؟ غدا صباحا سنتوجه لمدينة سالرينو.

في بهو فندق - رومان ساليرنو- يتبادلون الآراء حول كيفية بدء البحث عن شخص في مدينة كبيرة كمن يبحث عن إبرة في كومة

قش. سألت سوزي روبرتو عن اسم عائلته. أجاب: ماتيلدي.

عبست وقالت: كنت أتوقع أن اسم عائلتك كصديقي صاحب العصا الأخرى.

سأل البروفسور: وما اسم عائلة صديقك سوزي؟

أجابت: فلافيون .

- هذا يعقد الأمور. قال دانتي!

- أيها السادة، تقول الأسطورة إن ناتاشا طلبت من الأبناء الأربعة تغيير أسم عائلتهم. إذا لا بد أن منهم من غير الاسم استجابة لطلبها ومنهم من رفض وأبقى على اسمه الحقيقي! هذا هو الأمر بالتأكيد أضاف دانتي.

- لنبحث في دليل الهاتف عن الاسمين. قال روبرتو.

- هل فكر أحدكم كيف سنحصل على العصي من أصحابها؟ قالت سوزي.

قام البروفسور من مكانه قائلا:

- لا تهتموا للأمر. أنا سأتكفل بهذا. اسمحوا لي الآن، وأنتم قوموا بالبحث عن أسماء تلك العائلات.

عكف ثلاثتهم على البحث في دليل الهاتف وجمعوا الأسماء المحتملة وقاموا بإجراء الاتصالات بهم، ثم قاموا بزيارة من اعتقدوا بأن له علاقة بالأمر حتى وصلوا لمنزل أحدهم فكانت المفاجأة.

عندما رنت سوزي جرس المنزل خرجت سيدة كبيرة في العمر. سألتها سوزي عن اسم صاحب المنزل.

– نعم إنه هو. قالت سيدة المنزل.

– هلا أخبرته أننا قدمنا لزيارته من فضلك؟

أخبرتهم أنه في روما يدرس في الجامعة وأنها تقيم في المنزل. طلبت سوزي عنوانه أما السيدة فلقد تساءلت عن علاقتهم به.

– التقيت به قبل شهور ووعدت بزيارته وحيث أنا وأصدقائي في المدينة فقد قررنا الالتقاء به.

تبسمت السيدة ودخلت المنزل وعادت تحمل ورقة فيها اسمه ورقم هاتفه. شكرتها سوزي وفي الطريق صاحت سوزي مندهشة!

– هذا لا يصدق! أتعلمون يا قوم. إنه صديقي في روما، اسمه ورقم هاتفه تماما! لكن ليس هذا الاسم الذي وجدناه في دليل الهاتف. سنستفسر عنه حال لقائه. قالت سوزي.

كان البروفسور في انتظارهم في بهو الفندق و كان الجميع مسرورين. أخرج البروفسور من حقيبة بلاستيكية أربع عصي ووضعها أمامهم على الطاولة فحملق الجميع متعجبين. تبسم وتناول واحدة منها:

– هذه فقط حقيقة أيها السادة وتلك مقلدة.

– ماذا نفعل بها سيدي. قال روبرتو؟

– سنعود لروما، ستأخذ سوزي واحدة منها تخفيها في حقيبتها وعندما تزور صديقها وتحين الفرصة المناسبة تبدلها بكل سهولة !

– أليست هذه سرقة، سيدي؟

– ربما. لكن تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على العصي.

في روما، استأذنت سوزي للذهاب للفندق. لكن البروفسور رحب بها للذهاب لمنزله، فاعتذرت لأن منزله بعيد عن وسط المدينة، فقال روبرتو: منزلي تحت أمرك سيدتي. أقامت به حتى عاد صديقها كارولو. اتصلت به وزارته في منزله. بينما كان في المطبخ يعد كأسين من العصير، استطاعت استبدال العصا دون أن يشعر. وعندما اجتمع الفريق، قام دانتي بمعالجة العصا واستخراج الورقة منها. طلب البروفسور مرآة وكتب ما بها وعندما قرأه زم شفتيه وبهت، تعجب الجميع من صمته.

– الأمر في غاية التعقيد، يا سادة!

– هل تشرح لنا سيدي؟

أخرج هاتفه النقال واتصل بمارتينو: سيدي. كيف حالك؟

– بخير بروفسور. يبدو أن لديك ما تطلعنا عليه.

– عثرنا على العصا الثانية سيدي، حصلنا عليها.

– هذا رائع. وبماذا أخبرتك العصا بروفسور؟

– من أجل ذلك اتصلت بك. الأمر زاد تعقيدا!

– أنا أثق فيك بروفسور، ستجد حلا لتلك المعضلة.

جزيرة كابري ٥٧م

سمع صوتا يدغدغ شغاف قلبه وشاهد خيالا غير واضح الملامح. يحاول فتح عينيه وتمييز ذلك الصوت الشجي فلم يفلح. تأكد أنه في العالم الآخر بلا شك، جسده المسجى بلا حراك. ألم يسيطر على كل جانحة من جسمه! ظلام يخيم على المكان إلا بضع ومضات بين الفينة والأخرى، لكن ما برح يسمع صوتا جميلا وحنونا. لم ينس أنه كان مجرد عبد وخادم لدى السيد موري تاجر القماش.

امرأة ذات حسن وجمال تقف بمحازاة رأسه. كانت الرؤية أوضح قليلا. تمسد على رأسه. حاول التحدث لها ولكن لم تخرج كلماته.

– سيدي. لا تتعب نفسك في الحديث. أنت ما تزال تعاني من أثار الجروح. عليك بالراحة التامة. لا تخف، أنا ملازمة لك حتى تستعيد عافيتك. وشاهدها تبتعد عنه كخيال جميل. كانت الكلمات واضحة تماما لكنه شعر بأنه يحلم وأنه في الجنة. كانت كحورية من السماء تداعبه بيديها وكلماتها.

أفاق من حلم جميل. فتح عينيه جيدا. جال بهما في أرجاء الغرفة، ينام على سرير جميل وشراشف من الحرير. كان متعبا

وجسده خاملا لا يقوى على النهوض. شاهدها تقف بالباب بابتسامة ساحرة. لم تخنه الذاكرة. إنها حورية بلا شك. لم ير أجمل منها أبدا. اقتربت منه. جلست بجانبه على السرير وطبعت قبلة على جبينه. غاص في عالم من الجمال والنشوة. شعر أنه يحلق في الفضاء الرحب وهي تداعب شعره بحنان.

– أنت الآن أفضل سيدي. خشيت عليك كثيرا. لقد كنت في حالة صعبة للغاية و جسدك ينزف وأنت فاقد للوعي.

– أين أنا؟ ومن أنت؟

– أنت في قصرك سيدي، وأنا خادمتك إيزابيلا.

أسبل عينيه وعاد يحلم. غاب عن الوعي. عاد للجنة من جديد. تركته وانصرفت.

شعر بالجوع يعصر معدته. أمعائه تقرقر بقوة. نشاط يحرك جسده. كان بحاجة لأي أحد يفسر ما حصل له. جلس بصعوبة فوجدها بالقرب منه. أعدت له مائدة شهية عليها ما لذ وطاب من الطعام والشراب. وضعته أمامه فأكل بنهم كفريسة تلتهم ضحيتها وشرب وانتعش. كانت تراقبه بحب، شعرها كالشلال على كتفيها أو كأشعة الشمس عند شروقها. وجهها ملائكي وابتسامتها خلابة. حاول النهوض. ساعدته ليقف على رجليه وتمشت معه قليلا داخل الغرفة الفسيحة. أطل من النافذة على غابة غناء طيورها تغرد وتصدح بأجمل

السمفونيات. شعر بالتعب فأعادته للسرير وقصت عليه حكايته:

- قبل مدة طويلة، كنت أسبح على شاطئ البحر فرأيت جسما غريب يقترب مني. وعندما وصل، كنت أنت مربوطا على لوح خشبي تنزف دما وكنت فاقدا للوعي. أخذتك إلى القصر وبدأت أعلاجك. حمدا للسماء أنك تعافيت. أنا أعيش هنا وحدي في هذه الجزيرة الكبيرة.

تعجب من كلامها. كيف وصل إلى هنا؟ ومن هي؟ وماذا حدث له؟

بقي صامتا محاولا استرجاع شريط ذاكرته عله يعرف حكايته.

بقيت إيزابيلا تهتم به حتى استعاد قوته ونشاطه. تجولت به في أنحاء القصر حتى وقفت أمام غرفة مغلقة بإحكام.

- سيدي. كما رأيت. كل القصر تحت أمرك، إلا غرفتي وهذه الغرفة، فهي مغلقة كما ترى لأن في فتحها الموت والهلاك لنا الاثنين فكن حذرا. الجزيرة وما فيها تحت أمرك أيضا.

اصطحبته لغرفة خاصة فيها طاولة جميلة مغطاة بشرشف حريري زاهي الألوان عليها ما لذ وطاب من الطعام والشراب.

- سيدي، ستجد هنا كل ما تطلب من طعام وشراب. سيكون معدا لك منذ الصباح.

هذه غرفتك الخاصة، أحضرت لك أفضل الملابس، اختر ما

يناسبك أريد أن تكون ملاكا، ملاكي الخاص الذي يحرسني حتى وهو نائم، أما أنا فخادمتك المطيعة، سأعمل لك كل ما تطلب وتتمنى لتكون سعيدا، سعادتي سيدي أن أراك دائما مرحا وسعيدا وبصحة جيدة!

كان كتائه في الصحراء، لا يعرف عن نفسه حتى اسمه. رافقته إلى الساحة الخارجية، ممر طويل مرصوف ببلاط أبيض جميل وتحفه أشجار باسقة تظلل مقاعد حجرية وتماثيل رخامية رائعة أمامها، طاولات نحتت من الصخر الأبيض تحاكي الطبيعة.

النسيم لطيف والشمس حنونة فتبادلا الكلام الجميل ووعدته بحياة أروع مما في الأحلام:

- سيدي. لا يوجد هنا غيرنا نحن الاثنين، وأنا أرى أن نتزوج ففكر في الأمر جيدا حتى نتوج ذلك بحفل يتحدث عنه الأجيال.

تبسم وشعر بالحب وتناسى ماضيه وقال: حسبي ما أنا عليه الآن. هذا حلم جميل ليتني لا أصحو منه. أضاءت وجهها بسمة رقيقة وتمايلت أمامه كراقصة بكل خفة ودلال لتبعد عنه شبح الماضي، فرقص قلبه. إحساس مرهف طاف بكل جانحة من جسمه القوي، وصدحت تغني له بأعذب صوت ممكن أن يسمعه يوما ما.

في الصباح، أفاق من نومه نشطا وبحث عن إيزابيلا فلم يجدها في القصر. ألقى نظرة حوله فلم يجدها. كان جائعا فدخل غرفة

الطعام ووجد فيها كل ما يشتهي. وقبل أن يتناول لقمة، ها هي إيزابيلا تدخل الغرفة بوجه طلق كالقمر فطبعت قبلة على جبينه.

- أرجو أني لم أتأخر عليك، سيدي.
- بحثت عنك في كل مكان فلم أجدك.
- لا تقلق، كنت بالجوار أتمشى فأنا تعودت على الركض كل صباح. عليك مرافقتي في الأيام القادمة.

تناولا الطعام والشراب وخرجا في جولة في الجزيرة وكانت الشمس دافئة حنونة حتى إذا ما وصلا الشاطئ، أخذت تسبح كحورية البحر تماما وأشارت إليه فلحق بها واستمتعا معًا. شاهد القصر من الخارج كقلعة عظيمة تتربع فوق الصخور وخلفها واد سحيق يمتد لشاطئ البحر الذي يحدها من الغرب .

مضت الأيام في حبور وسرور إلا أن الذي كان ينغص عليه تلك السعادة أحيانا أنه كان يقضي معظم الوقت وحيدا فجاش في صدره شيء من الريبة لغياب إيزابيلا المتكرر. حاول معرفة وجهتها. كيف تذهب ومن أين تعود؟ جاب الجزيرة شرقا وغربا، وركض على طول الشاطئ فلم يكتشف شيئا. كانت دائما تفاجئه بوجودها دون مقدمات بكلام جميل وابتسامة ندية فينسى أمرها وماضيه. وتبدأ سهرة فترقص له وتغني حتى يغيب منشيا وينام كطفل صغير.

ذات مساء سألها عن غيابها عنه ووحدته وألمه فابتسمت وقالت:

- سيدي. تعلم أننا سنتزوج قريبا، فأنا أذهب للمدينة أجهز للعرس، وأدعو الأصدقاء من كبار القوم ليكون حفلا لا ينسى يليق بسيدي.

ذات صباح، أخذ يركض بحيوية ونشاط كغزال يعدو ببهجة وحرية، وهبات النسيم ترافقه حيث حل تحت الأشجار وسمفونية عذبة تصدح من طيورها إلى أن هام على وجهه بلا وعي كالمخمور.

عادت إيزابيلا فلم تجده في مكانه المعتاد ولا في القصر فأخذت تبحث عنه في الجزيرة، فإذا به مستلقٍ على الشاطئ قد استغرق في النوم. تمددت بجانبه تستمتع بدفء الشمس وهبات النسيم حتى أفاق من قيلولته. سر بوجودها وأفرجت أساريرها عن سعادة كبيرة. توجها إلى القصر وتناولا الطعام الشهي وأخذت تشرح له خطتها حول إقامة حفل ساهر كبير في ساحة القلعة وكيف ستزينه بقناديل زاهية الألوان وما ستقدم من طعام وشراب للمدعوين وأن الحفل سيستمر طوال الليل. كان مستلقيا على سريره تداعب شعره الطويل حتى غاب عن الوجود.

في الصباح، ها هو وحيد كالعادة وأطيب الطعام بانتظاره. تجول في غرف القصر فوجد قوسا وأسهما فأخذها وخرج يصطاد الأرانب حتى توغل في الغابة. شاهد غزالا صغيرا خلف الوادي فقرر صيده. نزل الوادي وصعد إلى الجهة المقابلة فشاهد جمالا أخاذا من الأشجار والحيوانات، فالصغار تتقافز نحو القلعة المتربعة على الصخور المقابلة. خيل إليه أنه شاهد خيالا في النافذة المقابلة.

تأملها جيدا واقترب أكثر وتعجب أن هناك من يلوح له بيده. فكر مليا وعلم أن إيزابيلا لا تكون موجودة في هذا الوقت فسار إلى أن وصل إلى الحافة وما زال الخيال يتضح حتى تجمد في مكانه. رجل أشعث أغبر يلوح بيديه ويصيح بكلام لم يفهمه. تساءل: من الرجل؟ وماذا يفعل هناك؟ وكيف لم تخبره إيزابيلا عنه؟ تذكر أن إيزابيلا أخبرته عن غرفة مغلقة وقالت إن فيها الهلاك والموت. تأمل الغرفة جيدا وعرف أن الرجل محبوس فيها. عاد أدراجه مسرعا ووقف أمام الغرفة وأخذ يضرب بيده، فسمع الرجل يصيح به:

- بني. أخرجني من هنا أرجوك؟
- من أنت وماذا تفعل هنا؟
- أخرجني أولا ومن ثم سأخبرك بكل شيء.
- لا أستطيع، فأنا لا أعرفك لعلك رجل خطير!
- بني. أرجوك أخرجني قبل أن تعود إيزابيلا.

سمع روجر حركة وعلم أن إيزابيلا قادمة فتركه وذهب إلى غرفته، فلم يجد إلا أن يخفي سر الرجل حتى يستبين سبيلا لذلك ويتحقق من الأمر فهو بين أمرين أحلاهما مر وأي خطأ سيودي بحياته قطعا. لاحظت إيزابيلا وهي تدخل غرفة أن وجه روجر ينم عن ملامح قلقة، لكنها عزت ذلك لوحدته. ومضت تلك الليلة بسلام. وفي اليوم التالي، وعندما تأكد أن إيزابيلا غادرت القصر، ذهب للرجل ودق الباب. فرح الرجل وقال:

- علمت أنك شاب ذكي لا تصدر حكما متسرعا. لكن ثق بني أني كنت مثلك يوما صاحب القصر وتزوجت من إيزابيلا لسنوات، وعشت معها أجمل الأيام. نعم سأقص عليك حكايتي عندما أخرج.

- لا أصدقك أيها الرجل. أنا لم أجد منها إلا كل خير. لقد انقظت حياتي واعتنت بي شهورا وأنا فاقد للوعي وما زالت تهتم بي وسنتزوج قريبا.

صاح الرجل: إياك أن تفعل ! إياك ! إنها من كوكب آخر ليست من البشر. أرجوك افهم. ستندم طوال حياتك وعندما تمل منك ستضعك هنا عندي حتى الموت.

- نعم. أنت تقول ذلك لأنها تركتك وسجنتك. تريد أن تنتقم منها. أليس كذلك؟

- بلا. عندما أخرج، أقسم سأنتقم منها وسأقتلها. لا شك في ذلك.

- أرأيت؟ تريد الخروج لتنتقم منها وربما تقتلني أيضا.

- بني. سأمهلك حتى الغد. أريد منك أن تتأكد بنفسك قبل أن أخرج. في الصباح، أفق مبكرا وتظاهر بأنك نائم لأنني متأكد أنها تعرج عليك أولا للتأكد أنك نائم ثم تأتي بالطعام فتضعه عند الباب الداخلي ثم تغادر القلعة. اتبعها ثم اذهب لغرفتها، وانظر من النافذة من خلف الستار ستجد نافذة في الطابق

السفلي. راقبها جيدا واحذر أن تراك. ستجد أن كل ما قلته لك صحيح، ثم أن هناك مرآة مقابل باب غرفتها، إياك أن تنظر إليها! وادخل الغرفة حبوا لأنها ستراك وعندها ستعلم أنك تراقبها.

ترك روجر الرجل وتناول طعامه ثم ذهب لغرفة إيزابيلا ليتأكد من كلام الرجل، فدخلها حبوا بعيدا عن المرآة، وجد أن هناك نافذة تطل على غرفة في الطابق الأسفل، وتقع تماما تحت غرفة الرجل، وهي أيضا مغلقة تماما فشك روجر في إيزابيلا وانتابه خوف عظيم. بدأ يفكر في المصيبة القادمة إن صدق الرجل فهذا يعني أنه يعيش مع شخص غريب تلك الشهور الماضية.

عادت إيزابيلا بابتسامتها الرقيقة التي دائما ما تبعد شبح القلق عن روجر، لكنه هذه المرة بدا عابسا مرتبكا. الأمر الذي أقلق إيزابيلا وظنت أنه يعاني من شيء ما.

– سيدي. تبدو قلقا وحزينا! هل هناك خطب ما؟

فاضطرب روجر و أنكر ذلك.

– كما تعلمين، أعاني من الوحدة طوال اليوم. لم أعرف من أنا ومن جاء بي إلى هنا. عندما تغادرين يقتلني الفكر والهم.

– أنا آسفة. أنت محق تماما، لكن لم يتبق من الوقت إلا أيام معدودات، وبعدها لن نفترق أبدا. أعدك بذلك. هيا بنا نتناول الطعام و سأسمعك أغنية جميلة مع رقصة رشيقة تنسيك أوهامك ومعاناتك.

بقيت إيزابيلا تصدح بصوتها الرخيم حتى غاب روجر عن الوجود. تركته وذهبت للرجل، فلقد شكت أن هناك أمر ما أكبر مما قاله روجر، ولمحت في كلامه ترددا وكذبا، لكنها وجدت الرجل في عالم الأحلام فتركته وعادت لغرفتها.

أفاق روجر متأخرا فوجد إيزابيلا قد غادرت فذهب للرجل يخبره فغضب غضبا شديدا وقال:

- اعلم أنها شكت في أمرك لأنها لأول مرة تزورني ليلا، للتأكد من حدسها، فهي ماكرة. ربما عرفت أنك تكذب. الوقت ليس في صالحنا، بني. أرجوك، خذ الأمر بجدية في الليلة القادمة وإياك أن ترتبك أو تشعرها بضعفك.

اعتذر روجر للرجل وتركه وذهب للشاطئ يفكر في أمره. أراد أن ينام طوال النهار تحت ظلال الأشجار بالقرب من الشاطئ، المكان المحبب لإيزابيلا ولم يفق إلا وهي تدغدغ وجنتيه بشفتيها فانتفض قائما مرتبكا، ثم تبسم وقال:

- أخفتني يا إيزابيلا. حسبت أن وحشا خرج من الماء.

فقهقهت إيزابيلا واصطحبته للقصر وسهرا معًا وبعدها تظاهر بالنوم. غادرت إيزابيلا غرفتها، وبقي هو طوال الليل ينظر من نافذته المطلة على البحر يراقب النجوم حتى سمع صوت إيزابيلا قادمة فعاد للسرير وتظاهر بالنوم. دخلت غرفته وتأكدت من نومه ثم ذهبت ففتحت باب غرفة الرجل وقدمت له الطعام، ثم

عادت وروجر ينظر من شق الباب ثم عاد لسريره فدخلت عليه وتأكدت مرة أخرى أنه نائم فنزلت للدور السفلي. خرج روجر متسللا لغرفتها وتذكر كلام الرجل فدخل حبوا حتى ابتعد عن المرآة وأطل من خلف الستارة وإذا بإيزابيلا تخرج من جسدها بصورة غريبة فتظهر عجوزا شمطاء بأنياب طويلة وأذنين محدبتين وجسد يكسوه الشعر، ثم انطلقت من النافذة كالبرق في الفضاء. تجمد روجر في مكانه كصنم وكان جسده كريشة في مهب الريح، ثم استعاد بعض قوته وركض نحو الرجل لاهثا يقول:

– صدقت سيدي. صدقت سيدي. ماذا أفعل الآن؟

– حمدا لله أنك تأكدت من صدق كلامي، أيها الشاب. ادخل غرفتها ستجد خلف الخزانة بابا سريا. مر عبره فهو يؤدي إلى الطابق السفلي ستجد هناك مفاتيح معلقة خلف الباب على الحائط. خذها ولا تلمس شيئا آخر وأعد كل شيء إلى مكانه. أسرع بني!

– حاضر سيدي.

– اسمع بني. تذكر المرآة، لا نريد أن نفسد الأمر.

أخذ روجر يسبح على بطنه حتى ولج الباب، ثم نهض مسرعا فنزل درجات للطابق السفلي، عندما تأمل الحائط توقف الدم في عروقه، رأى مجسما لمخلوق غريب مخيف ذكره بناتاشا عندما ظهرت على حقيقتها، وكانت المفاتيح معلقة في أسنانه، تشجع

واقترب من التمثال وقلبه ينبض كعصفور صغير، تناوله وصعد الدرجات يلهث مرتعبا، ثم تذكر المرأة وأخذ يحبو حتى خرج من الغرفة.

جلب روجر المفاتيح وفتح الباب الأول والثاني فوجد رجلا عجوزا طويل اللحية والأظافر، نتن الرائحة. ضم الرجل روجر يقبله ويشكره قائلا:

– لن تندم أبدا بني، ثم أغلق الأبواب وأعاد كل شيء مكانه. وقبل وصول إيزابيلا، أخذ الرجل سكينا حادا واختفى خلف باب غرفة الطعام. خرج روجر من القصر وأخذ يتمشى في الساحة قلقا خائفا. وصلت إيزابيلا واحتضنت روجر تقبله فشعر أنه بين فكي خنزير بري، لكنه تمالك نفسه وتبسم ولم يقل شيئا. صعدا لغرفة الطعام وما كادت تدخل حتى انقض الرجل عليها يطعنها في عنقها بكل ما أوتي من قوة فصرخت وخرج دخان أسود من عنقها وهي تمسك بذراع روجر تكاد تمزقه حتى هوت على الأرض وبدت على حقيقتها عجوز شمطاء تنظر بعينين من نار نحو روجر تتمنى لو أن بها قوة لتمزقه، لكنها فقدت الحراك فألقى الرجل بجثتها من النافذة إلى الوادي السحيق ثم تناولا طعامهما وخلدا للنوم.

اعتاد روجر أن يستيقظ كل صباح متثاقلا كسولا فيتناول طعامه المعد على الطاولة ثم يتمشى في الجزيرة، لكنه هذا الصباح تذكر ليلته السابقة المرعبة وتذكر الرجل الذي صرع إيزابيلا فلم يجده

في غرفته ونظر من النافذة فوجده يجلس تحت الأشجار. نزل إليه وحملق فيه متعجبا فلم يكن هذا الرجل الذي قابله بالأمس. وجد رجلا عجوزا نظيفا أنيقا وجميلا. حياه بابتسامة لطيفة وأخذ الرجل يحتضنه بحنان ثم جلسا يتحدثان. اطمئن روجر للرجل فقد وجد فيه ما لم يجده في إيزابيلا الجميلة من حب وحنان وعطف. صعدا لغرفة الطعام فلم يجدا عليها شيئا والقصر خال من أي نوع من الطعام، فضحك الرجل وقال:

– كانت إيزابيلا تطلب من خدمها جلب الطعام من أي مكان في العالم، أما الآن بني فسنعتمد على أنفسنا. هيا بنا للصيد!

حمل كل منهما قوسا وسهاما وانطلقا في الغابة يبحثان عن الأرانب. وبعد ساعة، عادا يحملان ثلاثة أرانب كبيرة. أشعل الرجل نارا وشويا أرنبا وأبقيا الآخرين في غرفة الطعام بعد أن نظفاهما. ما زال روجر فاقدا للذاكرة ولا يعرف حتى اسمه. كل ما أخبر به الرجل أن إيزابيلا وجدته على الشاطئ ينزف دما.

روما ـ ١٩٨٦

أعجبت سوزي بمقهى جيوليتي فطلبت الكابوتشينو وجلست تعيد حساباتها. هل أخطأت بسرقة العصا من صديقها أم أنها أبعدت عنه الشر وكارثة ربما تؤدي لحتفه؟ أم أنها فعلت ذلك لمصلحتها من أجل الشهرة والمال؟ قررت زيارة كارولو وإذا بها تسمع رنين الهاتف. سرت عندما وجدت كارلو المتصل وأخذت منه موعدا على العشاء في منزله.

كان كارلو قد أتم قراءة الرواية وأحب مناقشة سوزي والتأكد من أنها حقيقية أم خيال، واندهش عندما عرف أنها حدثت بالفعل وأنهما أقرباء. سر بذلك. سألته سوزي عن أقرباء له يملكون عصا أخرى فنفى ذلك، وتعجب من اهتمامها بالعصي. أخبرته أنها تؤلف رواية جديدة عن الأساطير القديمة وأحبت حكاية الاهتمام بها وسرها.

– منذ متى تقيم في روما؟

– منذ سنتين. أنا هنا للدراسة.

– من أين أنت إذًا؟

– أنا من مدينة ساليرينو على الشاطيء قرب نابولي.

– إنها مدينة جميلة. زرتها قبل أيام.

في الفنـدق عـاد الجميـع للتشـاور في أمـر اللغـز الجديـد، كانـوا متفائلـين بـأن الأمـر سـهل كـما في المـرة السـابقة.

تسـاءل الجميـع عـن اللغـز الجديـد الـذي حـير البروفسـور: مـن هنـاك بـدأت الحكايـة.

– أي حكاية تقصد؟ سألت سوزي.

– هذا ما علينا البحث عنه. هذا ما كتب في الورقة.

– هنـاك حكايـة بموبيـوس، روجـر، ناتاشـا، الأمـيرة، وإيزابيـلا كـما جـاء في كتـاب الأسـاطير!

– مـن كتـب اللغـز هـي ناتاشـا. لعلهـا تتحـدث عـن حكايتهـا؛ فهـي قلـب الأسـطورة والحكايـة كلهـا.

– هذا صحيح. لكن من أين نبدأ؟

– أعتقد أن الحكاية بدأت مع روجر قبل ناتاشا بكثير!

– نعم . روجر لم يكن له ذكر إلا بعد أن وجدته إيزابيلا وعالجته.

– هذا يعني أن العصا في القلعة حيث كان يعيش روجر!

– لكـن الأسـطورة تقـول إن العـصي الأربعـة وزعـت عـلى الأبنـاء الأربعـة.

– الفتـى الصغـير بقـي في القلعـة فـترة طويلـة، فإمـا أنهـا بقيـت في القلعـة أو أنـه نقلهـا إلى مدينـة سـوريتينو، وهـو الأرجـح.

– إذا. إلى مدينة سوريتينو.

كوكبا سيراتا ومارتون

أحبت إيزابيلا شابا من قبيلتها على كوكب سيراتا، لكن الحرب بين الكوكبين حالت دون إتمام الزواج، كان كلاهما في الخدمة العسكرية، وكانت حروب طاحنة بينهم وبين ذلك الكوكب. في أحد المعارك، كانت إيزابيلا تقدم العون للجرحى مع آخرين. شاهدها محارب قوي من كوكب مارتون في سفينته الحربية فأحبها وسلبت عقله. كان يريد أن يقصف ذلك المشفى الميداني لكنه عدل عن ذلك، وهبط بالقرب منهما واختطفها ومن معها.

زجت إيزابيلا في سجن النساء والآخرون في سجن الرجال، بعد أيام طلبت للتحقيق، كان الضابط الذي أسرها يجلس على مكتب وعلى الباب حراس فعرفته.

- كان من المفروض أن أقصف المشفى ومن فيه، عدلت عن ذلك من أجلك، هل أخبرتنا عن خطتكم للأيام القادمة؟
- أنا أنفذ التعليمات التي ترد إليَّ كل يوم.
- عملت تحريات عنكم، أنت مسئولة كبيرة في وزارة الحرب، هذا يدل على أنك على علم بخطة طويلة الأمد.

- هذا ليس صحيحا، كما رأيتني أنا مسئولة عن معالجة الجرحى.
- حسنا أخبرني جندي أسير أنك خطيبته، هل هذا صحيح؟
- هذه معلومات شخصية.
- جيد، سأعرض عليك أمرا لتنالي حريتك، الزواج بي!
- لكن قوانينكم تمنع الزواج من الأعداء! أليس كذلك؟
- ربما، لكنه سيكون زواجا خارج الدوائر القانونية.
- أنت تكذب، لا يسمح لك بذلك!
- تطاولت كثيرا، أعلم أنك ترفضين من أجل عشيقك، لكنني سأقدم رأسه مهرا لك الليلة.

انتقم منه وقتله أمام عينيها. علمت أنها مستهدفة فاحتاطت للأمر وبمساعدة أحد الجواسيس في السجن كان لديها ما تحتاجه. استغل نفوذه في الحكم وسرق مركبة فضائية وهرب إلى الكرة الأرضية، ومعه حراسه الشخصيون. واختار جزيرة كابري وتحكم في كل قواها وقوى السجناء لكي لا تستطيع الهرب واستطاع إبعاد الجزيرة عن رصدها من أي مكان آخر بواسطة جهاز جلبه معه يصدر ذبذبات وهمية، بنى لها قلعة عظيمة حيث سخر السجناء لبنائها، وأمر حراسه أن يكونوا في خدمتها ومراقبتها. وكان القائد عنيفا يثير الرعب أينما حل. أراد أن يقيم حفلا كبيرا للزواج لكنها طلبت منه مهلة حتى تستعد لذلك فحالتها النفسية محطمة وأخذت تطلب منه ما يصعب تحقيقه ولحبه لها كان يمتثل لأمرها.

تمر الشهور وهي تماطله. كان يحب الخمر حبا جما فتراه يمضي الساعات مخمورا والحرس من حوله. طلبت إيزابيلا من الحرس الابتعاد عنه حال فقدانه الوعي لكي لا يزعجوه. كان المارد يسكر بعد أن يأكل بنهم شديد فتسمع ضراطه وشخيره عن بعد. كان ذلك يزعج الرجال ويجعلهم ينفرون منه ولذلك أقنعتهم بفكرتها ولو أنهم كانوا يخشون أن تستغل سكرته وبعدهم عنه فتقتله وتنتقم منهم بعد ذلك. لكنهم وافقوها الرأي وكانوا يحبونها كثيرا لحب سيدهم لها فامتثلوا لأمرها. وبعد أيام، وبعد أن اطمئن الحراس أن إيزابيلا لن تؤذي سيدهم تفرقوا للهو على الشاطئ، المكان المفضل لهم. كان هناك ثمة رجل منهم يراقبها من بعيد، أما السجناء من رفقاء إيزابيلا فكانوا على أهبة الاستعداد للنيل من الحرس في حال نجحت الخطة بالرغم من أنهم مقيدون بالسلاسل، فاستغلت إيزابيلا نومه الشديد وهو سكران وحملت صخرة عظيمة وألقتها على رأسه فشجته وصعد دخان كثيف من المكان وزلزلت الجزيرة كلها حتى أن الحرس وقعوا أرضا خوفا ورعبا. قام الرجل مترنحا وقد فقد بصره يجول على غير هدى وصوته كالرعد يملأ المكان حتى اختل توازنه ووقع أرضا يتخبط كالذبيحة، فأردته قتيلا بضربة أخرى. تجمع الحراس حوله يصرخون من هول منظره وصوته، وكانت إيزابيلا قد استعادت قوتها بموته. حررتهم من القيود، استغل السجناء خوف الحراس فهجموا عليهم وضربوهم ضربة رجل واحد فأجهزوا عليهم جميعا. أمرت إيزابيلا رفقاءها بحرق جثثهم بعيدا عن القلعة، فامتثلوا لأمرها وقدموا لها الولاء والطاعة ولذا طلبت منهم أن يبحثوا عن المركبة الفضائية حتى

يعـودوا للديـار. عبثـا حاولـوا فـلا أحـد يعلـم أيـن أخفاهـا الرجـل القـوي. منحتهـم حريتهـم عـلى أن يحـضروا بسرعـة عنـد الطلـب بواسـطة أجهـزة تواصـل حديثـة. كان جاسوسـا يعمـل في السـجن وهـو مـن كوكبهـا زودهـا بهـا قبـل أن يأخذهـم ذلـك القائـد ويهـرب بهـم إلى الأرض حيـث اسـتطاعت إخفاءهـا عنـه. وزعـت الأجهـزة عليهـم ففرحـوا وانطلقـوا مسرعـين ليختفـوا بـين النـاس ويعيشـوا حياتهـم. بقيـت إيزابيـلا وحيـدة في الجزيـرة، لكنهـا كانـت تخـرج كل يـوم ولا تعـود، إلا في المسـاء إلى أن التقـت بشـونان وهـو شـاب مفتـول العضـلات جميـل المحيـا فأحبتـه.

مدينة سورتينو sortino

في مدينة الليمون الساحلية التي تقع في جنوب البلاد، استهل الفريق زيارته بجولة سياحية واستمتع بمشاهدة البنايات شبه المعلقة في الجبال والمناظر الطبيعية الخلابة والشواطئ الجميلة قبل البدء في العمل والتشاور في كيفية البحث عن أسماء محتملة وأماكن يمكن أن تكون الهدف المنشود. كان كل منهم حريصا على التعرف على من حوله علّه يصادف أحدا يساعدهم في مهمتهم.

عائلة أولياو أو عائلة كورنيليوس من سنبحث عنهم. فلنفترق الآن وكل يبحث بطريقته على أن نلتقي هنا مساء. قال البروفسور.

تفرقوا في المدينة وتوجهت سوزي إلى الشاطئ واستلقت تنشد الراحة بعد ساعتين من السير في شوارع المدينة تقرأ اللافتات وتتعرف على الناس. أخذتها سنة من النوم وأيقظها رنين الهاتف. تلقت رسالة من زوجها سام يخبرها بحلم رواده الليلة الماضية.

– كنت مشتاقا إليك قبل أن أخلد للنوم. رأيت أننا نزور قصرا أثريا في مدينة سورتينو وأعتقد أنني سمعت من المرشد السياحي أن هذا القصر اشترته ناتاشا لـ»بيني الصغير» الشاب الذي تزوج الأميرة، إلا أن صوت المنبه أيقظني.

– وأنا اشتقت لك أيضا ولأمريكا كلها. الأمور تسير في الاتجاه الصحيح. وداعا الآن.

انشرحت أساريرها. أخذت تحلل حلم سام وكيف تستفيد منه في الحصول على العصا الثالثة. كانت تتحدث مع نفسها وتردد الحلم مرات ومرات علها تجد سبيلا لتفسيره وفتحت جهازها للبحث عن مكان المتحف.

كان المتحف قد أعيد بناؤه على نفس الطراز القديم وتم ترميمه بشكل متقن. ولجت القلعة. تجولت فيها وإذا بها تشاهد العصا وقد وضعت في برواز أنيق وكتب تحتها إرث آل أولياو. تسمرت في مكانها لأن الوصول للعصا بحاجة لمعجزة والمتحف مراقب بالكاميرات ٢٤ ساعة. أخذت تفكر في طريقة ما، واستقر رأيها على التحدث إلى مدير المتحف. أخبرته أنها صحفية وكاتبة روائية تبحث في الأساطير وأنه شد انتباهها تلك العصا وطلبت منه تصويرها وأخذ فكرة عنها. رحب المدير بها وطلب من أحد الموظفين جلب العصا ووضعها بين يديها في مكتبه وأخذت تلتقط صورا لها وفي تلك اللحظة انشغل المدير بمكالمة هاتفية استطاعت خلالها تبديل العصا. شكرت مدير المتحف على تعاونه بعد أن شرح لها تاريخها وأهميتها.

في المساء، اجتمع الفريق في الفندق منهك القوى والجميع عاد بخفي حنين. وضعت سوزي العصا على الطاولة أمامهم وصرخ الجميع غير مصدقين. أخبرتهم سوزي بما جرى، وعكف البروفسور على فتح العصا وأخرج منها الورقة وقرأ ما فيها–**cannibalism**– حيث كانت تعلق الرؤوس على المراكب وأمام المنازل.

– هنـاك الكثـير مـن الشـعوب القديمـة كانـت تسـتمتع بالقتـل والتمثيـل بالجثـث.

– لكن هل كانوا يعلقون الرؤوس على المراكب؟

– أعتقـد أن هنـاك قبائـل في أوروبـا القديمـة كانـوا متوحشـين جـدا حتـى أنهـم كانـوا يأكلـون لحـوم البـشر، مثـل شـعب الفايكينـج وكانـوا يمثلـون بالجثـث كنـوع مـن الطقـوس الدينيـة، أو الأزتيـك في المكسـيك ولم يكـن لهـم وجـود في أوروبـا كلهـا.

– ربـما كان ذلـك تشـبيه لحادثـة مـا وقـت في الإمبراطوريـة الرومانيـة في القـرن الأول للميـلاد.

– إذا هي مدينة كريمونا. تقع على ضفة نهر بو.

– ما وجه الشبه بينها وبين الفايكنج؟

– عندمـا نُصِّـبَ فسـبازيان إمبراطـورًا في خريـف عـام ٦٩ بعـد الميلاد، عـبر إلى رومـا وسـحقوا المدافعين عن فيتليـوس في المعركـة الدموية في بلـدة كريمونـا. وتـم إجبـار فيتليوس على المـشي نصفه عارٍ في شـوارع المدينـة ثـم تـم قتلـه، وتـم إعـلان أن فسـبازيان هـو القيـصر الجديد.

– لكنهـا ليسـت مدينـة سـاحلية، فناتاشـا وزعـت الأبنـاء الأربعـة عـلى المـدن السـاحلية.

– لا ننسـى أن لديهـا قـدرات خارقـة تسـتطيع الذهـاب إلى أي مـكان. ربـما أرادت أن تصعـب العثـور عليهـا فاختـارت مدينـة في الداخـل.

– إذا إلى مدينة كريمونا أيها الأصدقاء.

قبل عشرين عاما ـ في القلعة

كان شونان شابا مراهقا يحب الهواء ويعمل مع والده في الحدادة التي أكسبته قوة ورشاقة. كثيرا ما كان يترك العمل ويذهب مع رفاقه إلى شاطئ البحر يستمتعون بالسباحة واللعب. في يوم من الأيام بينما كان يلهو على الشاطيء مع رفاقه شاهد فتاة غاية في الجمال سلبت عقله. نظر حوله بفلم يجد معها أحدا، ماذا تفعل هذه الفتاة الجميلة وحدها على الشاطيء؟ تساءل شونان، توقف الجميع عن الركض، تقدمت منه دون غيره وهي تتمايل بغنج وشعرها الأشقر على كتفيها كالشلال، أشارت إليه ليتقدم نحوها، قالت له:

– هل تتزوجني؟

تبسم، التفت حوله متعجبًا من تصرفها، فأجاب بدون تردد: نعم.

– إذا عليك أن تقبل العيش معي في قصري فأنا أملك جزيرة رائعة الجمال ليس فيها أحد غيري!

– وكيف سنذهب للجزيرة.

– ألا تريد توديع أصدقائك أولا؟

– بلى . عليَّ القيام بذلك.

ذهب إليهم وأخبرهم أنه مقدم على مغامرة ستغير حياته. نصحوه ألا يقبل لكن جمالها فتنه بحيث نسي نفسه فودعهم وسارا حتى ابتعدا عن الآخرين فشاهد عربة جميلة ركباها، أغلق عينيك من فضلك، شعر أن العربة انطلقت كسهم، وفي لمح البصر كانا أمام القلعة.

نظر متعجبا، كيف وصل هنا، شاهد القلعة العظيمة وأمامها ساحة رائعة الجمال تحفها الأشجار وتصدح فوقها الطيور.

ولج القلعة وكان كل ما فيها مبهرا يفوق الوصف، عندما شاهد الطعام على طاولة السفرة لم يصدق من أين لها كل هذا وهي تعيش وحيدة هناك. بعد أيام أقامت حفلا كبيرا لا يعلم من أين جاء كل هؤلاء الناس، لكنه كان يعيش في عالم من الخيال. تزوجها في حفل بهيج؛ إذ شاهد مئات الأشخاص وأنوار بألوان مختلفة تضيء الساحة الكبيرة وموسيقى لا يعلم من أين تأتي، حتى منتصف الليل رافقته للقصر، وانتهى كل ذلك كحلم. عاشا أياما جميلة كأنه في الجنة. وفرت له كل أسباب السعادة، لكنها كانت تختفي كل يوم ولم يهتم بادئ الأمر لذلك، لأنه كان يلهو على الشاطئ ويجد كل ما يحتاجه من طعام وشراب. شاهد يوما عبوة زجاجية في ركن غرفتها، أمسك بها فقالت له :

– سيدي. ضع الزجاجة في مكانها. إن فيها سما قاتلا.

بعد عام من الزواج، سئم تلك الحياة وسألها: أين تذهبين كل يوم وتتركينني وحيدا؟ أريد أن تأخذنني معك.

تبسمت وقالت: لم لا؟ يسعدني ذلك، سيدي.

قال لها: أريد أن أرى كيف أسافر في هذه العربة.

فضحكت وقالت: أنت شاب شقي.

أخذته للغرفة السفلى فوجد فيها العربة. قالت له: اركب معي. انطلقت العربة مسرعة نحو البحر.

– كيف تسير هذه العربة وحدها بدون خيول؟

– انظر جيدا. هناك حصانان يقودان العربة!

تعجب من ذلك. كيف ظهرا فجأة؟ و لكن الخيول اختفت عند نزول العربة الماء وتحولت لقارب مدهش، وصلا شاطئ مدينة كل ما فيها يأخذ الألباب وظهر الحصانان من جديد. تجولا في المدينة واستمعتا في أسواقها والناس يتعجبون من العربة والحصانين حتى جاء المساء ثم عادا للجزيرة.

– علميني كيف أقود العربة! نظرت له مكفهرة لكنها تبسمت وقالت:

– للأسف سيدي العربة لا تطيع إلا سيدا واحدا وهو أنا.

– لكنني لم أسمعك تتحدثين إليها!

– هذا سر سيدي.

– ماذا عن الحصانين، هل هذا سحر؟

– لا عزيزي هذا علم. إنه تكثيف للضوء.

- لم أفهم!

- أنت وأنا وكل شيء موجود هو ذرات وجزيئات تتكثف وتتبخر. يمكن أن أختفي من أمامك الآن بتسليط أشعة تحجبني عنك. وممكن أن أسلط أشعة على قط مثلا فيظهر كالحصان أو العكس.

لم يصدق شونان ما سمعه، واعتقد أن ما تقوله سحر.

بعد أكثر من عشر سنوات من العشرة والحب والسعادة، اكتشف أنه يعيش في عالم من الخيال والسحر. كانت ايزابيلا تغادر كل يوم وشونان في عالم الأحلام. وفي أحد الأيام، أفاق مبكرا على غير العادة، ولم يجد ايزابيلا بجواره. لاحت منه التفاتة إلى الطابق السفلي فكاد أن يغمى عليه. امراة شمطاء سوداء أنيابها طويلة عيونها كالشرر ويكسوها الشعر. جلست في العربة وانطلقت من النافذة كالبرق. وقع أرضا يرتجف خوفا، وبالكاد استطاع الوقوف على قدميه. خرج من الغرفة ونزل لساحة القلعة يفكر في طريقة للهرب.

- يا ويلي. أنا أعيش مع جنية طوال السنين الماضية ! ماذا أفعل الآن؟ ماذا لو عادت وأنا هنا وعلمت أني كشفت أمرها؟ ستقتلني بلا تردد.

عرف حقيقتها وأنه متزوج من امرأة من عالم آخر، فصعق وانتابه الذعر والخوف وبقي طيلة اليوم يفكر في سبيل للهرب لكنه لم يجد قاربا للنجاة ولا يعرف أين بلده والجزيرة بعيدة جدا. لا أحد يستطيع السباحة، كل تلك المسافة الطويلة. بقي أياما يجهد نفسه بأن يبقى على طبيعته، ويحاول ألا تكتشف أمره حتى عزم

الأمر على قتلها فأخذ سكينا واختبأ في غرفة الطعام، لكنها عرفت أنه عازم على قتلها عندما دخلت غرفتها دون علمه. وقفت بجانب الغرفة التي حبسته فيها وقالت:

– أين أنت سيدي؟ لك مفاجأة كبيرة. أرجوك تعال إلي.

أخفى السكين وذهب إليها يبتسم ابتسامة مزيفة. كانت تطل بوجهها الجميل وابتسامتها الرقيقة كالعادة حتى وصل الغرفة. دخلت معه ثم أغلقت عليه الباب وقالت:

– لماذا خنت العشرة شونان؟ لقد أحببتك كثيرا. كنت أتمنى أن نبقى زوجين سعيدين.

ضحك خوفا وقال:

– من قال لك ذلك؟ ما زلت على العهد حبيبتي!

لكنها كشفت عن شخصيتها وصاحت حتى زلزلت المكان، وظن أن القلعة ستهدم على رأسه وتجمد في مكانه مرتعبا. قالت:

– أنت تكذب!

قال بصوت مرتجف:

– لا أكذب عليك أبدا.

ثم ظهرت كسابق عهدها جميلة لكنها غاضبة وقالت:

– رأيتك في غرفتي تختبئ وتحمل سكينا لقتلي. هناك مرآة في الغرفة أشاهد كل ما يجري في غرفتي. فبهت ولم يجد جوابا. قالت:

– فكرت في قتلك، ولكنني أحب أن أراك تتعذب. ستموت هنا في هذه الغرفة المظلمة حتى تتعفن جثتك.

توسل إليها كثيرا لكنها أغلقت الباب الخارجي، جلس يبكي حظه وتذكر نصيحة أصدقائه. وها هي كل صباح تضع له الطعام بالقرب من الباب وتختفي.

وكلت مهمة مراقبته لحارس خاص أثناء النهار، وكانت تراقبه أثناء الليل، ذات صباح وضعت له الطعام وجلست تضحك وتقهقه بصورة غريبة. قالت:

– ما دمت سجينا سأخبرك بأمور أخفيتها عنك. اعلم أن الزجاجة التي في غرفتي فيها إكسير الحياة ومن يشربها يعش طويلا، وأما العربة فهي مركبة فضائية لا تعمل إلا بهذا الجهاز، وكانت تحمل جهازا كالرموت. بقي شونان في السجن عشر سنوات كانت عمرا بأكمله.

عرف شونان من إيزابيلا أسرارا كثيرة عن العربة والزجاجة وأجهزة التواصل. وبدا كعجوز قد أرهقه السجن لعدم تعرضه للشمس والحركة. كانا لا يفترقان أبدا في النهار في الصيد وعلى شاطئ البحر وفي المساء في ساحة القلعة يتسامران تحت الأشجار وضوء القمر ثم يصعدان لغرفة النوم. قال شونان:

– ليس لي ابن كما تعلم، وأصبحت عجوزا ولن أعيش طويلا. سأعلمك أسرار العربة وجهاز التحكم والتواصل، وأرجو أن تستخدمها في الخير ومساعدة الضعفاء والفقراء. وإذا مت فلا

تبقى في الجزيرة وحيدا. انطلق بالعربة وتعرف على الناس وتزوج بفتاة جميلة وأسس عائلة. نعم. لا شيء أفضل من العائلة في الحياة.

كان روجر نبيها يتعلم بسرعة وألهمه شونان بخبرته وعلمه. و في أحد الأيام وهما في الغابة الكثيفة الأشجار يطاردان عددا من الأرانب التي تجري حولهم من جهة لأخرى، وإذا بروجر ينزلق بين الصخور فتهوي به إلى الوادي ويلحق به شونان وإذا به قد شج رأسه وأخذ ينزف. لكن روجر قام فزعا لا يبالي بدمه المنساب يلتفت يمينا وشمالا كأنه تائه. تعجب شونان من تصرفه واقترب منه ليسعفه ويوقف النزيف لكن روجر قال:

– من أنت سيدي؟ أين أنا؟ ما الذي جاء بي إلى هنا؟

تبسم شونان وقال:

– حمدا للسماء استعدت ذاكرتك أخيرا بني.

– هلا أخبرتني من أنت سيدي؟ ومن جاء بي إلى هنا؟ وأين أنا؟ وماذا أفعل هنا؟

– سأخبرك بكل ما تريد. فقط اقترب حتى أساعدك وأنظف لك جرحك الذي ينزف.

جلسا على الأرض وروجر مضطرب. أخذ عقله الباطني ينشط شيئا فشيئا محاولا معرفة ما يجري. أخبره شونان كيف وجدته إيزابيلا على الشاطئ فانتفض قائما ينظر إلى الأفق البعيد وقال:

– كم مكثت هنا؟

– خمس سنوات بني.

– ماذا كنت أفعل هذه السنين الطويلة؟

– كنت تعيش مع إيزابيلا.

– من هي إيزابيلا بحق السماء؟

– فيما بعد بني. هيا بنا سنعود للقصر.

روجر يحاول جاهدا معرفة ما يجري حوله. كل ما تذكره أنه كان يعمل خادما لدى السيد موري. نشطت ذاكرته واشتغل عقله الباطني. نعم كنت أجهز طلبية قماش لأحد الزبائن، ثم توقف وتذكر أن أحد أصدقائه جاءه مسرعا وغاضبا. سأله: ما بالك منزعجا؟

التفت شونان واذا بروجر واقفا بعيدا عنه. توقف ينظر إليه. قال له صديقه: إدوارد ينهال بالسوط على أمك وأبيك في الساحة الرئيسية.

– من هو إدوارد؟

– جوفيان يا رجل.

تذكر أنه انطلق كالسهم فوجد والديه في حالة مزرية ينزفان دما والناس تهتف بقتلهما فانقض على جوفيان. وصرخ بصوت مزلزل وانطلق نحو الشاطئ كالمجنون. لحق به شونان مسرعا. رمى بنفسه في البحر يتخبط وتصارعا في المياه حتى تعبا واستطاع شونان إقناعه بالرجوع واستلقيا على الشاطئ منهكين. روجر يبكي كطفل صغير حتى أشفق عليه شونان وضمه لصدره كابن بكل حنان

يواسيه ووعده بالوقوف لجانبه حتى يأخذ حقه ويستعيد كرامته.

أخبر روجر ما كان من أمره وما يحزنه أنه لا يعلم مصير والديه أأحياء أم أموات، لكن شونان قال له:

– أنت بني وحدك في الميدان، وجوفيان، كما أخبرتني له أعوانه وخدمه. لو ذهبت الآن سيقتلونك بلا رحمة. انتظر حتى أعلمك أمورا تتسلح بها وتأخذ حقك بقوة وعزة. سأجعلك سيدا تخافه السادة. لا تخش أحدا أبدا. كل ما عليك فعله هو التعلم والتركيز على كل شيء أعلمك إياه. لو كنت قويا لذهبت معك وعاقبت ذلك الصعلوك جوفيان وجعلت منه أضحوكة أمام الجميع لكني أثق بك كثيرا وأنت شاب قوي سيرهب جانبك الجميع حتى الحاكم.

بدأ شونان يعلم روجر أسرار وعلوم العربة، وشعر روجر بأن لحياته معنى. كان يخدم شونان ويهتم لأمره فأحب العربة التي تعلم كيف يقودها ومضت الشهور وهما في أحسن حال.

بينما كان روجر يلهو في غرفة المستودع وجد أربع عصي متشابهات أشبه بالقوس، فأخذ يركبها في بعضها لتشكل دائرة، فما كاد يضع العصا الثالثة حتى شاهده شونان و صاح به وانقض عليه كالمجنون. قام روجر فزعا كأن صاعقة ضربته. تنفس شونان الصعداء وقال:

– كدت تقتلنا بني!

حملق روجر مندهشا:

– نعم بني. هذه ليست لعبة ولا حتى مجرد عصي خشبية.

دخلا الغرفة، فأخرج من صندوق مغلق كرة غاية في الجمال ذات ألوان عجيبة و قال:

– بني. هذا سلاح وبركان مدمر. عندما تركب العصي الأربعة يخرج منها شعاع نحو الكرة فتنطلق الكرة فتحدث انفجارات هائلة تدمر كل من حولها. هكذا أخبرتني إيزابيلا، وقالت: هذا علم متطور لا يوجد له مثيل بين البشر. الحمد للسماء أني رأيتك قبل أن تضع العصا الرابعة.

– أعتذر سيدي، لن أعمل أي شيء قبل أن أستشيرك.

– هذا سلاح قوي ومدمر. احرص أن لا يعلم سره أحد غيرك.

تعلم روجر كل شيء يعرفه شونان.

مضت الشهور وشونان يعلم روجر أسرار القلعة وما فيها، لكنه كان يعاني من مرض خطير لم يعلم روجر عنه حتى لا يتأثر أو يضعف قبل أن يتعلم كل شيء، وعندما شعر أن نهايته اقتربت، قال له:

– اسمعني بني. لقد عشت معك أحلى أيام حياتي. لن أعيش طويلا. ستبقى وحيدا لكنني على ثقة بأنك شاب أستطيع الاعتماد عليه. لا تبقى وحيدا هنا. أخرج وابحث عن زوجة تشاركك حياتك؛ فلا شيء أهم من العائلة، بني. وعندما تريد الانتقام لوالديك، كن حازما ولا تخش شيئا، فأنت تملك قوى لا يستطيع الحاكم بجيشه الوقوف أمامها. كن نصيرا للضعفاء

وخذ لهم حقهم، سيحبونك وسيكونون لك خير عون وسند. حب الناس شيء عظيم لا يشترى بالمال.

بعد أيام، مات شونان ودفنه روجر بجانب القلعة. حزن عليه كثيرا؛ إذ بقي وحيدا. وبينما كان يرتب غرفة ايزابيلا، وقع نظره على جهاز كان مخفيا تحت السرير فأمسكه وأخذ يتلاعب به، فسمع أصواتا كركض الخيل في ساحة الحرب. كادت عيناه أن تخرج من محجريهما وقلبه من صدره خوفا ورعبا. شاهد عددا من المخلوقات الغريبة أمامه فجمد في مكانه.

– أين السيدة إيزابيلا؟ قال أحدهم، فلم يستطع الرد عليه وعلم أنهم من جنسها فتملكه الخوف ولم يعرف بم يجيب.

أعاد الصوت السؤال مرة أخرى: أين السيدة إيزابيلا؟

تذكر أنها ماتت ولو عرفوا لقتلوه في الحال، فتشجع وقال:

– قتلها شونان!

فأخذوا يبكونها ثم قالوا:

– أين شونان؟ سوف ننتقم منه.

– قتلته ودفنته هناك أسفل القلعة انتقاما لها. كنا سنتزوج قريبا.

– نعلم ذلك. أخبرتنا سيدتنا وكنا ننتظر أوامرها للمساعدة.

ذهبوا يحفرون قبر شونان ليخرجوا جثته فمثلوا بها وحرقوها. لقد أحبوا روجر وقالوا له : سيدي. جميعنا تحت أمرك لأنك انتقمت لسيدتنا. فقط استخدم هذا الجهاز. اضغط هنا إذا أردت

طعامـا وشرابـا، وهنـا ... وأخـذوا يعلمونـه كيفيـة اسـتخدام جهـاز التحكـم. قـال لهـم :

– كيف ستعرفون أين أنا؟

– أجهزتنا تخبرنا عن موقعك.

فطلـب طعامـا وشرابـا ثـم سـمح لهـم بالذهـاب. مـر شريـط حياتـه أمـام عينيـه كالـبرق. تذكـر والديه فغشـيه هـم عظيـم وارتعـدت فرائصه وقـرر الذهـاب للمدينـة لمعرفـة مصيرهمـا والانتقـام مـن جوفيـان، كـما أنـه تذكـر ناتاشـا.

روما ـ ١٩٨٦

عادت سوزي في المساء إلى الفندق، كانت رسالة في انتظارها لدى موظف الاستقبال. عند دخولها غرفتها، فتحت الرسالة، كانت بمثابة قنبلة زعزعت ثقتها بكل الناس. لم تصدق أن البروفسور ومارتينو كاذبان! لم تصدق أن هم الجميع هذه الأيام المال والشهرة حتى على جثث الآخرين.

الرسالة فيها تحذير واضح بأن الطريق التي تسير فيها تؤدي إلى التهلكة، وأن الخطر قاب قوسين أو أدنى من المدينة كلها. جاءت هذه الرسالة لتحذرها بأن مساعدتها لمارتينو للحصول على العصي أمر بالغ الخطورة، إذا كذب البروفسور بقوله إن هذا الرجل الأخير يريد الحصول عليها خوفا من أن تقع في أيدي الأشرار. تساءلت: من أرسل لها هذه التحذيرات؟ وكيف لم يكتب اسمه أو طريقة للتواصل معه لمعرفة دوافعه ونواياه؟

ذهبت للاستحمام وعقلها مشغول، تفكر كيف تعرف الحقيقة؟ وإن كانت الرسالة صادقة، فكيف ستتخلص من مارتينو والبروفسور؟

قررت التخلص من الورقة بحرقها فلاحظت على الخلف كلمات أفزعتها : أنا أراقبك!

- يـا الهـي! مـن هـذا الرجـل؟ لمـاذا أنـا دائـما مـن يواجـه المشـاكل والتحديـات؟

تذكـرت الرجـل الـذي كان يراقبهـا عندمـا كانـت تـزور المشـفى الـذي كان يعالـج فيـه سـام، ومحاولـة القتـل التـي هـددت حياتهـا.

- إذا. أنا في خطر حقيقي!

أبقـت موضـوع الرسـالة طـي الكتـمان وتابعـت مـع الفريـق بـكل جديـة. أرادت أن تتحقـق مـن الرجلـين بنفسـها قبـل الحكـم عليهـما بطريقـة ذكيـة. اتصلـت بروبرتـو وطلبـت الانتقـال عنـده حتـى تنتهـي المهمـة فرحـب بهـا. في منتصـف الليـل، غـادرت المشـفى بـكل سريـة.

بومبي- إيطاليا ٥٨

ناتاشا أجمل فتاة عرفها روجر في المدينة. والدها بارني يعمل خادما عند السيد جيري. رجل قاس الملامح ماكر ولئيم، يتعامل مع الجميع بقسوة. يحمل الأكياس على ظهورهم من المخازن للمتجر وهم مقيدون بالسلاسل، بينما يركب حصانه ويضرب بالسوط كل متكاسل أو ضعيف. طالما شاهدت ناتاشا والدها يضرب بالسوط من خلف الحائط التي تطل على الشارع حيث تسير قافلة جيري من الخدم. كانت تنظر وتتألم...

– رحماك يا رب. ارحم ضعفه وكبر سنه.

كانت تتمنى لو أنها شاب لساعدته في كبره. والدها أصبح عاجزا عن حمل الأثقال لكنه مجبر على سداد ديون جيري التي لا تنتهي نتيجة الربا. تقدم الكثير من الشباب للزواج منها. لم ترفض أحدا منهم لكن لا أحد استطاع دفع مهرها. كلما سمع شاب عن مهرها يرتجف خوفا وينسحب مسرعا.

عاد روجر للمدينة قويًّا متسلحا بعدد من الأسلحة التي لا يستطيع أحد رؤيتها حتى أنه يستطيع الظهور في أي مكان بسرعة كبيرة دون أن يراه أحد. وقف أمام منزلهم وجلس يبكي. كان

البيت محروقا تماما. تخفى وسأل أحد معارفه عن والديه. اندهش الرجل و قال:

– لماذا تسأل عنهما؟

– هما والدا صديق لي اسمه روجر.

دمعت عينا الرجل وقال: ألا تعلم ما حصل لهما؟

– لا... أرجوك أخبرني!

– كان ذلك منذ سنوات. إذ قام جوفيان بقتلهم جميعا.

– أتعني أنهم جميعا ماتوا؟

– نعم. هذا ما حصل.

حدثني عن جوفيان.

قص عليه ما كان من أمر جوفيان.

غادر روجر وجلس يبكي ويتألم. علم أن جوفيان الآن من علية القوم، كان تلك اللحظة في قصر الحاكم في اجتماع دعاه له لمناقشة أمر المدينة.

جوفيان يقف ليطرح وجهة نظره. كان شامخا مرفوع الرأس والجميع يستمعون له بكل حواسهم. وقف روجر أمامه تماما دون أن يراه. كان حاقدا عليه يفكر في قتله لكنه آثر أن يذله عند الحاكم وعند زوجته وأمام الناس جميعا. سينتقم منه ببطء شديد، سيجعله يندم لأنه نسي نفسه وصدق أنه أصبح سيدا. سيجعله يموت

كالمتشرد. صفعه بقوة حتى نزف الدم منه وطرحه أرضا. تعجب الحاكم مما رأى وسمع صوت صفعته. قام جوفيان كالثمل مترنحا يلتفت حوله، فكان جيري أقربهم إليه. أمسك بعنقه وسحبه إليه وتهجم عليه لولا أن الحاكم تدخل بينهما وأنهى الخلاف. جوفيان يعتذر عن الكلام فتلقى صفعة أخرى أوقعته أرضا من جديد وفقد وعيه. أمر الحاكم الخدم بنقله إلى بيته. كان يهذي بكلام غير مفهوم. سألت كاثي السيد موري الذي رافقه فأخبرها بما جرى فتملكها الخوف واعتقد الجميع أن جوفيان أصيب بمس من الجان أو كان مسحورا.

اعتذر موري ليغادر فسمع الجميع صوتا مزلزلا أنزل الرعب في قلوبهم وتجمدوا كأصنام، كل في مكانه. هدوء عم المكان وكلٌّ واجم ينظر للآخر. همهمة تقترب من جوفيان وكاثي التي تجلس بجانبه. كان يظهر كومضات برق سريعة أمام الجميع، لم يتعرف عليه أحد، لكن الخوف والهلع بلغ منهم مبلغه وتجمد كلٌّ في مكانه.

– أنا روجر ابن السيد غوردن والسيدة سيليا. أتذكرهم أيها العبد الآبق أم نسيتهم يا خادم السيدة؟

هرب موري من المنزل مسرعا يتملكه الرعب الشديد واحتضن جوفيان كاثي بقوة يحتمي بها فيما جلس الخدم على الأرض خوفا ورعبا. تشجعت كاثي وقالت:

– روجر مات منذ سنين وما أنت إلا خيال فارغ.

– لا سيدتي. أنا روجر، وأنا من ضرب خادمك إدوارد في قصر

الحاكم. كنت أود قتله عقابا له على قتل والدي لكنني وبحق السماء سأجعله يندم ويعود للشوارع يتمنى الموت.

– لن أسمح لك يا ابن السارقة اللعينة.

– لا تتكلمي عن والدتي هكذا. لولا أنها كانت تحبك لعاقبتك أيضا. اعلمي سيدتي أن من سرق العقد هو خادمك جوفيان بعد أن رفضت أمي مشاركته الفراش ليعتدي عليها هذا الكلب المسعور.

– لا تصدقيه كاثي. روجر قتلته بيدي وما هذه إلا روحه الشريرة جاءت لتوقع الفتنة بيننا لكنها لا تستطيع فعل شيء أبدا. تركهم في حيرة واختفى. شاهدها كئيبة حزينة شاحبة اللون لكن جمالها ما زال ينطق. كانت وحيدة خلف المنزل تنتظر موكب خدم جيري لتنظر وهو يحمل أثقالا يعجز الحمار عن حملها. قامت فزعة كأنها رأت شبحا.

– من أنت؟

– أنا روجر، سيدتي!

– لا أصدق ذلك. قالتها وجلة.

– ها أنا أقف أمامك بشحمي ولحمي.

– أنت حي روجر؟

– نعم سيدتي.

– لا أصدق! الجميع قالوا إنك مت. لقد مضى على ذلك سنوات. أين كنت بحق السماء؟

– قصة طويلة عزيزتي. لكن لماذا تجلسين هنا وحيدة؟

تنهدت واحتضنته واغرورقت عيناها بالدموع. شعر أنه في عالم آخر. يحلم و يحلق في الفضاء الشاسع. سمع صوت أنينها وأحس بحرقة دموعها ودقات قلبها.

– ما بك عزيزتي؟ أنت على وشك البكاء؟

– والدي، روجر، رجل مريض يعمل عند جيري ويحمله مالا يطيق.

– ليتركه ويعمل عند غيره.

– لا يستطيع. فهو ملكه كما تعلم، أرهقه جيري بالديون والربا. لكن كيف عرفت أني هنا؟

– أمر سهل بالنسبة لي. علمت أنك لم تتزوجي بعد، فجئت خاطبا.

– الشرط ما زال قائما عزيزي!

– وأنا قبلت سيدتي. ليس هذا فحسب، بل سأجعل من والدك سيدا وسأنتقم من جيري شر انتقام.

– أو تقدر على ذلك؟ ألا تخش من خدمه وحراسه أن يقتلوك؟

– ما دام الأمر يروقك ويسعدك فأنا رهن إشارتك.

– سأرى روجر إن كنت حقًّا تقدر على ذلك. سيمر بعد قليل جيري وخدمه وحراسه، فإن فعلت فأنا رهن إشارتك أيضا. سأكون زوجتك حالا.

اختفى روجر وظنت ناتاشا أن ذلك كان شبحه ليس إلا، أو أنها كانت تحلم وتبخرت سعادتها وعاد الحزن يسيطر عليها. مر الموكب وناتاشا تشاهد والدها يحمل أثقالا ويضرب بالسوط كالآخرين والجميع يتألم. كان هناك عدد من السادة أيضا يمرون في تلك اللحظة، فتنهدت وبكت ولم تستطع مواصلة النظر لوالدها يهان كالحيوان فجلست تبكي. توقف حصان جيري فجأة. صاح به ليتقدم فرفض فضربه بالسوط. قامت ناتاشا فزعة، خشيت على والدها. إلا أن صوتا فاجأه قائلا:

– انزل عن حصانك، جيري.

أصابه الوجوم فهو لم ينس ما حصل لجوفيان وخاصة بعدما انتشر الخبر بأن روح روجر تعاقب السادة وتقتص منهم. تمالك نفسه وحاول مواصلة السير لكن حصانه لم يستجب و بقي واقفا فخاف أكثر.

– ألق حملك على الأرض، سيد بارني.

كانت ناتاشا تراقب ما يجري مدهوشة... سمعت بأذنها من يقول السيد بارني. لم تصدق. أبي سيد! يا لسعادتي. أنت عظيم روجر. أخيرا سيرتاح أبي من هذا الشقاء...

دفعه أرضا فوقع جيري عن حصانه.

- ضع الحمل عن ظهر جيري سيد بارني، وفك الأغلال عن قدميه أيضا، ثم احمل السوط واركب الحصان.

- لا أستطيع سيدي. فالسيد جيري سيقتلني بعد ذهابك!

- لن يجرؤ على ذلك. اركب الآن وإلا قتلت جيري.

- سيد بارني. أرجوك افعل ما يأمرك به ! توسل جيري.

تملك الخوف الجميع وحمل جيري الأكياس وسار بها ببطء شديد.

- اضربه بالسوط، سيد بارني كما كان يضربك ولا تخشَ شيئا!

رافق الجميع هذا الموكب، وكان السيد موري يمر من هناك تلك اللحظة فرافقهم متعجبا وخائفا، والكل يتعجب وناتاشا منتشية تماما، وقد شاهدت والدها سيدا يركب الحصان وينتقم من جيري. حقق روجر شرطها وسار الموكب حتى وصل متجر جيري. بعد ذلك، طلب روجر من الجميع الذهاب إلى بيت بارني. استأذن موري وأراد الذهاب.

- رافقنا سيد موري فأنا بحاجة إليك.

- أرجوك سيدي. عندي عمل أقوم به.

- قلت رافقنا موري.

خشي الجميع على أنفسهم فامتثلوا لأمره.

- اسمعني جيدا جيري. أريد منك إعطاء السيد بارني راتبا جيدا كل شهر.

- مقابل ماذا سيدي؟

- ألا ترى أنه رجل عجوز لا يقدر على العمل ولا تنسَ أنه عمل عندك طويلا. آن له أن يستريح ليعيش مع عائلته بسلام.

- حاضر سيدي سأفعل.

- أنا لا أثق فيك ولا في أمثالك الأوغاد. أريد كفيلا.

- كلمتي هي الكفيل سيدي والجميع يعلم أني لا أكذب.

- قلت لا أثق فيكم. قالها بغضب، أنسيتم إدوارد وهو يقتل والدي؟ أنسيتم أنه كان يضربني بالحديد وأنتم تتفرجون سعداء؟ الجميع اعتقد أني مت ولكن السماء رحيمة بالضعفاء يا سادة. جئت الآن لأساعدهم وأقتص من الظلمة أمثالك جيري، فأنا لم أمت بعد. جاء دوري لأنتقم منكم.

- لكن روجر مات. نعم رأيته بعيني وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

- إذا أنا جني، روجر. أنا شيطانه وشبحه جاء لينتقم منكم.

- حسنا. سأدفع له كل ما تريد سيدي.

- ليس هذا فحسب، بل ستسامحه عن ديونه.

- حاضر سيدي. سأفعل.

- إذا. أنا أقبل السيد موري ليكون كفيلا عليك. أعرفه أفضل من الجميع. ما تقول موري؟ أتكفله؟

- ماذا لو لم يدفع لبارني، سيدي؟

- أقسم أني سأقطعه إربا إربا... إصبعا... إصبعا... عضوا، عضوا وبعد ذلك عليك أن تدفع للسيد بارني راتبه الشهري.

- ماذا لو رفضت؟

- لا خيار لك موري. انتهى الاجتماع.

لم يسمع بعدها صوت روجر لكنه كان يقف مع ناتاشا.

تفرق الجمع بهدوء وخوف وهم يلتفتون خلفهم خوفا من أن يلحق بهم جني روجر، دخل بارني منزله رافع الهامة تعلو شفتيه ابتسامة النصر.

- كنت مذهلا سيدي. نعم. لقد جعلتني أشعر بالسعادة لأول مرة في حياتي. حققت حلمي وأكثر. أخيرا سيرتاح أبي و سيأخذ راتبا شهريا. يا لفرحتي... يا لسعادتي!

- ستسمعين الكثير. سأنتقم من السادة وأنتصر للضعفاء. ستشاهدين معجزات سيدتي!

- عليك مقابلة والدي الليلة. سننتظرك بعد المغرب بشوق.

ما زال جوفيان يعاني رهبة الأمس. كاثي تلازمه وتعتني به وتشد من أزره وتؤكد له أن روجر مات. لكن جوفيان الذي تعرض للضرب المبرح أمام السادة ونزف دمه ورأى خيال روجر يحوم حوله يشك في ذلك. سيطر عليه رعب شديد وكان يقوم فزعا من نومه واشتد همه وعظم غمه أما كاثي فشلت حركتها وسيطر عليها شعور باليأس والإحباط.

وصل روجر منزل ناتاشا محملا بالفواكه وما لذ وطاب من الطعام والهدايا واستقبلته العائلة بكل ترحاب.

– باركك الرب بني على ما فعلته من أجلنا. ولكنني أخاف أن يفرط علينا جيري ويطغى بعد ذهابك.

– لا تخشَ من ذلك سيدي. لن يجرؤ أبدا على فعل شيء يؤذيكم.

– الآن اطمأن قلبي. ستكون زوجا صالحا ولن أخشى على ابنتي معك. هل ستقيم في المدينة؟! فأنا أعرف أن منزلكما أحرقه جوفيان؟

– لا سيدي. أنا أملك قصرا كبيرا وجزيرة جميلة. سيكون لناتاشا خدم يحرصون على راحتها وسأجعل منها أميرة.

– هذا رائع. إذا فلنأتِ بالكاهن ليعقد بينكما رباط الزوجية ومن ثم تذهبان لقصركما.

– لا سيدي. سأقيم حفلا في قصر الحاكم يحضره جميع أهل المدينة ليستمتع الفقراء بالطعام والشراب.

– قصر الحاكم؟ قالها بارني وجلا وتغيرت وجوه الجميع تعجبا وخوفا.

– نعم سيدي. سيكون حفلا يتحدث عنه الجميع لسنوات!

– لكن الحاكم لن يقبل بني. وسيمنعك وربما..

– بالعكس تماما. سيتمنى ذلك وسيرحب بنا أيضا. سيرى العجب وسيندهش، وبذلك سيكون لكم شأن عنده.

– لكنني غير مطمئن لذلك!

– لنترك أمر الزفاف الآن. واعلمي ناتاشا أنك لن تندمي أبدا على قرارك.

– سيدي. أنا رهن أمرك فقد حققت مرادي وشفيت غليلي من ذلك الحيوان جيري. أنت حققت الشرط المطلوب وما علي إلا أن أكون وفية وصادقة.

– سيدتي. أنا أعفيك من الالتزام بالشرط. أنا أريد أن تكوني مقتنعة بالزواج مني بعيدا عن التزامك. أريد أن تكوني سعيدة وحسب. واعلمي أنني سأساعدكم في كل الأحوال.

– لن أجد أفضل منك، سيدي. حتى في قصر الحاكم أنت فقط من سيكون زوجي وشريك حياتي!

– أشكرك، سيدتي. هذا ما أريد أن أسمعه بالتحديد... حبك ورضاك.

في قصر الحاكم يستأذن روجر في الدخول فاندهش الحاكم من جرأته وأذن له ليتعرف عليه بعد أن سمع ما حل بجوفيان وجيري.

– مساء الخير، سيدي.

– أنت روجر الذي سمعنا عنه؟

– نعم سيدي.

– ما الذي جاء بك إلينا اليوم؟

- سأتزوج ، سيدي خلال أيام.
- هذا رائع. وما علاقتنا بالأمر؟
- أحببت أن أقيم الحفل في ساحة القصر!
- ومن هي العروس روجر؟
- الآنسة ناتاشا ابنة السيد بارني.

نظر الحاكم لمن حوله متعجبًا...

- هل سمع أحد منكم بالسيد بارني؟
- نعم، سيدي. كان بارني يعمل خادما لدى السيد جيري!
- نعم لقد سمعت قصتكما. لا أخفي عليك روجر لقد أحببت ما فعلته بجيري فهو رجل متعجرف.
- شكرا لك سيدي.
- لكننا لن نسمح لك بذلك فالقصر ليس للعبيد روجر!
- سيدي. أنت حاكم المدينة والقصر الذي تسكنه من مال الشعب.
- يا لوقاحتك. إن سمحنا لك بالمثول بين أيدينا لا يعني ذلك أن لك الحق أن تتكلم بالترهات. انصرف الآن.

وأشار للجند بإخراجه لكنهم لم يستطيعوا الوصول إليه وسط تعجب الحاكم ودهشته.

– سيدي الحاكم لا يعني أني جئت أطلب منك الإذن أن يكون لك الخيار. يوم الأحد سأقيم حفلا هنا. أرجو أن توجه دعوة للسادة بالحضور لكي يعرفوا من هو روجر.

اختفى روجر. تملك الحاكم غضب شديد. من يظن نفسه هذا الأبله؟ إن استطاع التلاعب ببعض المتعجرفين لا يعني أنه يمكن أن يفعل ما يشاء. جودعان...

– نعم سيدي.

– اقبض على هذا المعتوه وأحضره إلى هنا مكبلا. إن لم تجده فسأحضر تلك الفتاة ناتاشا لتكون بمثابة الطعم له.

– حاضر سيدي.

نشر جودعان الجند في كل مكان للقبض على روجر. كان الحاكم يدور كالدبور في قاعة القصر يتملكه الغضب والغيظ على روجر الذي أهانه أمام جنده ومساعديه. روجر في منزل كاثي الذي هدأ روعها قليلا واستعاد جوفيان بعض نشاطه وقرر الذهاب لمزاولة عمله كالمعتاد. جلست كاثي لمرآتها تصلح من شأنها بعد يومين من الهلع والخوف وملازمة جوفيان. سمعت صوت روجر يحدثها.

– سيدتي. أنا أحترمك وكانت والدتي أيضا تحبك. جوفيان يخدعك. هو من سرق العقد. إنه يخونك أيضا.

ما كادت تسمع بخيانته حتى انتفضت قائمة تلتفت حولها.

– لن أسمح لك بقول هذه الخزعبلات عن زوجي. إنه رجل

شريف ويقوم بعمله على أفضل ما يكون!

– يبدو أنك غبية ولا تدركين حقيقته. لا تنسي أنه عبد وأن طبيعته لن تتغير. هو يعلم أن الأمور لن تبقى على حالها لذلك يحاول الاستفادة من أموالك ويمتع نفسه.

غضبت كاثي وصرخت به: اخرج من منزلي أيها الوغد. لا أريد أن أسمع صوتك. اخرج الآن.

– حاضر سيدتي. لكن أعدك أنني سأحضر في يوم آخر وأكشف القناع عن إدوارد لتكتشفي حقيقته، ولتعلمي أنني صادق وأريد مصلحتك. مصلحتك فقط لا شيء آخر.

اختفى الصوت وبقيت كاثي تحوم في غرفتها كقط يحاول إمساك ذيله.

وصل جودعان بيت بارني للقبض على ناتاشا بعد أن عجز عن العثور على روجر. الجند حول البيت. خوف شديد ألم بالعائلة يهدد ويتوعد.

– لتخرج ناتاشا فالحاكم يطلبها!

– لماذا سيدي ؟ ماذا يريد منها؟

– لا أعلم. أنا أنفذ الأوامر فقط!

– لن تذهب معك ناتاشا، جودعان. اذهب لسيدك وقل له أن يستعد للحفل. يحاول جودعان معرفة مصدر الصوت وهو يلتفت يمنة ويسرة.

– الجنود يطوقون المكان.

– روجر. إما أن تأتي معي أو سأقبض على ناتاشا. ماذا تقول؟

– أنت لا تفهم. لن يذهب أحد معك وانظر إلى جندك في الخارج.

ألقى نظرة على الجند. انتابه الفزع الشديد. علم أن روجر يعي ما يقول عندما خرج وجد الجند مكممي الأفواه ومقيدة أرجلهم وأيديهم بالسلاسل، ففزع و تذكر جوفيان وما حل به في القصر وخشي على نفسه.

– سيد روجر. أرجوك، أطلق سراحهم. سأبتعد عن المكان حالا؟

– هذا جيد. لكن أريد منك أيضا أنت وجندك عدم الاقتراب من منزل السيد بارني وأن تحميهم وتحرسهم.

– حاضر سيد روجر. سأفعل!

حلت القيود بصورة غريبة وهرب جودعان والجند إلى قصر الحاكم. قالت ناتاشا:

– حبيبي. أنا لا آمن مكر الحاكم، وحتى جيري سينتقم من والدي في أية لحظة إن عرف أنك ابتعدت. أرجوك، أقتله كي أرتاح ويرتاح والدي!

– لا حبيبتي لن يجرؤ. أنا لا أحب القتل. فقط أعاقب الظالم.

في قصر الحاكم، سأل الحاكم جودعان بغضب:

– ما وراءك جودعان؟ أين روجر وناتاشا؟

– سيدي، روجر يملك جيشا لا أحد يراه.

– ماذا تعني؟

– ذهبت للقبض على ناتاشا فوجدت الجند مقيدين بالسلاسل وروجر يتوعد ويهدد وقال اذهب للحاكم وقل له أن يستعد ويجهز القصر للحفل.

جلس الحاكم على كرسيه مضطربا وهو ينظر لجودعان الخائف. لأول مرة يراه بهذه الصورة وعلم أن روجر يملك قوة خفية يتحكم في الآخرين.

أمر الحاكم عددا من الجند إحضار الكاهن في الحال لقصر الحاكم :

– أنت نائم أيها الكاهن؟

– عفوا، سيدي. لم أفهم ماذا تقصد؟

– ألم تسمع ما يجري في المدينة؟ ألم تسمع عن روجر وما فعله بالسادة؟

أطرق الكاهن... كان ينظر للحاكم بطرف خفي.

– أريد منك أن تأتي به ذليلا هذه الليلة !

– سيدي. هذا عمل الجند والشرطة !

– فشلوا جميعا في القبض عليه. – قالها والغضب يسيطر عليه – أريد منك أن تدعو السماء للمساعدة في السيطرة عليه. أريد

منـك أن تصـلي الليلـة وتدعـوا أيهـا الكاهـن. أدع بـكل قوتـك وإيمانـك. أنـت رجـل مبـارك وتسـتجيب السـماء لـك. روجـر يسـتعد للـزواج. إيـاك أن تعقـد قرانهـما أيهـا الكاهـن!

– حاضر سيدي. سأفعل.

أشـار الحاكـم لـه بالانـصراف فألقـى التحيـة وعـاد يـضرب أخماسـا في أسـداس. وصـل الكنيسـة وجلـس يفكـر كيـف يتخلـص مـن هـذه المصيبـة التـي حلـت بـه ولا يسـتطيع حلهـا. شـاهده خادمـه غولدسـيس فسـأله عـن سـبب همـه.

– بنـي. الحاكـم يكلفنـي مـا لا أطيـق. عجـز جنـده عـن القبـض عـلى ذلـك الشـقي روجـر ويريـد منـي القبـض عليـه!

– سـيدي العظيـم روميليـان. أعتقـد أن روجـر سـاحر كبـير فلنسـتعن بالسـاحر جوليـان!

حملق الكاهن روميليان وكأنه وجد الحل.

– بـاركك الـرب بنـي. نعـم. لا يفـل الحديـد إلا الحديـد. اذهـب في الحـال وأحـضره إلينـا.

أدخـل روجـر الشـك في قلـب كاثـي فسـألت مربيتهـا عـن رأيهـا في جوفيـان. عرفـت الخادمـة مغـزى سـؤالها وأرادت أن تعطيهـا جوابـا تريـده وترفـع مـن شـأن جوفيـان عندهـا.

– إنـه رجـل ذو خلـق. رجـل مسـتقيم. سـيدتي، لم أر في حيـاتي أنبـل منـه، وهـو يحبـك حبـا عظيـما ومخلصـا.

– شكرا لك. أنا أعلم ذلك لكنني أريد منك أن تتجسسي عليه. أريد أن أعرف أين يذهب وماذا يفعل؟

– حاضر، سيدتي.

استعادت ناتاشا نضارتها وجمالها وهي تشاهد والدها بينهم كل يوم والخيرات تتدفق على منزلهم، ووالدها سعيد في بيته، فاطمأن قلبها وأخذت تستعد ليوم زفافها.

دعا روجر عامة الشعب ليوم زفافه وعرف كل من في المدينة بأمره وطلب من الحاكم إصدار مرسوم بأن يوم زفافه عطلة رسمية ليتمكن الخدم من الحضور، فغضب الحاكم لكنه لم يجد بدًّا من الموافقة. كان ينتظر معجزة من السماء ليتمكن الكاهن من القبض عليه حتى ينتقم منه شر انتقام ويجعل منه عبرة لكل من تسول له نفسه التجرؤ عليه. أعلم روجر أن يوم غد سيكون الاحتفال الكبير بالعرس وكلف أصدقاءه نشر الخبر في كل مكان.

مدينة كريمونا Cremona

في الضواحي الغربية للمدينة، نزل الفريق في فندق كريمونا فيالي. مساءً، تناولوا العشاء وجلسوا في حديقة الفندق يتدارسون الأمر. وفي الصباح تفرقوا للبحث عن العصا الأخيرة.

من حسن الحظ أن الفندق بالقرب من موقف الحافلات التي تربطها بسكة الحديد الريئسية فانطلقت سوزي يحدوها الأمل بأن تجد العصا في متحف المدينة - ستاريفاي - كما في المرة السابقة، فتوجهت للمتحف وأمضت ساعة من التجوال فيه دون جدوى، ثم أسرعت إلى متحف بونزوني عل الحظ يحالفها هناك. وعادت حزينة، فيما ذهب روبرتو للكاتدرائية وتجول فيها وحضر موعظة قصيرة من الكاهن. أما البروفسير فقد عرج على متحف الكمان الذي سمع عنه في ما مضى. المدينة تشتهر بصناعة آلة الكمان والكثير من الالآت الموسيقية. أما داني فرأى أن يقوم بجولة في منطقة برج توراستوا. وفي المساء، عاد الجميع بخفي حنين.

- لا بد أن هناك لبسا في فهم اللغز. قال البروفسير.
- أو ربما لم نفلح في العثور على المكان المناسب.

بينما الجميع يناقشون، وكيف فشل العثور على العصا الرابعة أو صاحبها، وجدوا أن لا فائدة ترجى من البحث في المدينة فقرروا

العـودة لرومـا. رن هاتـف سـوزي: آلـو، ثـم نهضـت مـن مكانهـا وقالـت: صديقـي كارلـو.

– سـيدتي. أنـا في زيـارة لمدينـة بيروجيـا مـع مجموعـة مـن طلبـة الجامعـة لحضـور مهرجـان اومبريـا للجـاز الموسـيقي.

– لم أعرف أنك تهتم للموسيقى!

– هي مادة مطلوبة في تخصصي الجامعي.

– جميل. كيف تذكرتني واتصلت بي؟

– تعرفـت عـلى شـاب مـن مدينـة كريمونـا في لقـاء بـين الطلبـة الجامعيـين، ومـن خـلال الحديـث معـه عرفـت أن لـه اهتمامـات بالأسـاطير والـتراث القديـم فقلـت ربـما سيساعدك في روايتـك.

– شكرا لك. وكيف سأتعرف عليه؟

– سـيعود للمدينـة غـدا. اسـمه أنطونيـو. تفضـلي... تحدثـي معـه. هـو معـي الآن.

أخـبرت سـوزي أنطونيـو أنهـا تقيـم في فنـدق كريمونـا فيـالي وأعطتـه رقـم هاتفها.

– هنـاك أخبـار مهمـة يـا سـادة. لننتظـر حتـى الغـد. سـنلتقي بشـاب لديـه اهتمامـات بالأسـاطير والـتراث، ربـما سـاعدنا في العثـور عـلى العصـا الرابعـة.

انفرجـت أسـارير الجميـع وقـرروا الاسـتمتاع تلـك الليلـة والسـهر حتـى الفجـر.

كان الجميـع يترقـب وصـول أنطونيـو مسـاء اليـوم التـالي. رن هاتـف

سوزي وأخبرها أنطونيو أن عليها زيارته في بيته حتى تطلع على مكتبته وما جمعه حول الأساطير. أسرعت بالذهاب إليه بكل شغف وبقي الجميع في انتظار نتائج سارة.

أخذت سوزي تبحث في مكتبته وكلها تتعلق بالآلهة عند الرومان واليونان. قنطور مخلوق نصفه على هيئة إنسان والأسفل على هيئة حصان. يعيش في تساليا. يجاسوس حصان مجنح. جريفين مخلوق بجسم أسد ورأس حصان وذيل أفعى.

– كلها بعيدة عن موضوعنا. تتمتم سوزي.

وحكاية إنشاء روما. توقفت سوزي عند تلك الحكاية التي لم تسمع بها من قبل. قصة رومولوس وريموس. كانا شقيقين توأمين، ولدا من أم ماتت وأب هو مارس إله الحرب حسب أساطيرهم. وبعد ولادتهما مباشرة وضعوهما في سلة وألقوهما في نهر التيبر فالتقطتهما ذئبة اعتنت بهما، ثم اكتشفهما أحد الرعاة وأخذهما ورباهما إلى أن أصبحا شابين يافعين. وقرر الفتيان إنشاء مدينة في نفس المكان الذي التقطتهما الذئبة منه على نهر التيبر. وبعد ذلك حدثت مشاجرة قتل خلالها ريموس فقام رومولوس بإنشاء مدينة روما، ويفترض أن ذلك حدث في سنة ٧٥٣ ق.م.

يا لها من حكاية غريبة. سألت سوزي أنطونيو عما إذا سمع يوما بحكاية الكرة الذهبية والعصي الأربعة فنفى ذلك.

عادت سوزي لرفاقها وقرروا العودة لروما والبحث من هناك عن سر اللغز. وعندما ولجت الفندق وطلبت مفتاح غرفتها من موظف الاستقبال أشار إلى رجل يجلس في الردهة. عندما شاهدته فغرت فاها وأسرعت إليه تضمه وتقبله.

بومبي ٥٨م

– سيدي جوليان. الكاهن يريدك لأمر هام!

نظر الساحر في عينيه وقال:

– الكاهن يريد مساعدته في أمر روجر. أليس كذلك؟

– بلى سيدي.

– هيا بنا بني.

وصل الساحر للكنسية فوجد الكاهن مضطربا يحوم فيها كتائه في الصحراء.

– أهلا بك جوليان.

– أهلا أبتي. كيف حالك؟

– لست بخير جوليان. الحاكم يكلفني ما لا أطيق.

طلب الساحر من الكاهن إبعاد الخادم غولدسيس. أشار الكاهن له فابتعد عنهما.

– أشر علي أيها الساحر. ماذا سنفعل مع روجر؟

– سيدي. تعلم أني رجل فقير!

– ما علاقة ذلك بموضوعنا أيها الساحر؟

قالها بغضب.

– كي أساعدك، عليك أن تعطيني من ريع الكنيسة ما يكفيني لأعيش حياة كريمة!

نظر الكاهن نظرة غضب وقال: مال الكنيسة للرب بني. ليس ملكي !

– لكني أعلم أنك بنيت قصرا جميلا من أموال الرب أيها الكاهن روميليان! تغير وجه الكاهن وقال:

– أنت لا تفهم جوليان. الرب منحني هذا القصر لأنني أبذل جهدا كبيرا في رعاية الكنيسة!

– وماذا عن الصندوق الذي تخفيه في القصر أيها الكاهن؟

حملق فيه الكاهن واندهش. كيف عرف هذا اللعين؟ أوه نسيت أنه ساحر يا لغبائي.

– اسمع بني. ستكون لك مساعدة شهرية لأجل مساعدتك لنا.

– أيها الكاهن. الحاكم سيغدق عليك بالأموال والهدايا في حال القبض على روجر لا تنسَ ذلك. أريد نصفه أيضا.

– أنت طماع جوليان!

– شرطي الوحيد سيدي لمساعدتكم.

– وإذا فشلت أيها الساحر جوليان.

– عندئذ أقبل بالمساعدة الشهرية أيها الكاهن!

نظر الكاهن للساحر شذرا وقال:

– إلى العمل أيها الساحر. ماذا لديك؟

– أريد أولا عددا من الجند حول الكنيسة وحول منزل بارني حيث يوجد روجر الآن.

– جوليان عليك اطلاعي على خطتك أولا. لا أريد من الحاكم أو رئيس الحرس أن يعلم أمرك!

أخرج الساحر كرة زجاجية وقال:

– انظر أيها الكاهن لهذه الكرة السحرية. إن لها خدما من الجان. هم تحت أمري. سأطلب منهم القبض على روجر، ومن ثم وضع الأغلال في يديه وقدميه، في تلك اللحظة، على الجند القبض عليه ومن ثم أخذه للحاكم.

انفرجت أسارير الكاهن ورأى أن أمر القبض على روجر قاب قوسين أو أدنى. أرسل خادمه لقائد الحرس وأخبره أن لا يذكر اسم الساحر وجاء جودعان على عجل. أخبره الكاهن بالخطة وطلب منه الذهاب إلى بيت بارني مع عدد من الجند. كان جودعان مترددا فقد حذره روجر من التواجد هناك، لكنه أرسل الجند وكان يراقبهم عن بعد. بدأ الساحر يتمتم أمام كرته السحرية ويبتسم وقال للكاهن:

– أنظر سيدي. بدأ خدم الكرة عملهم وها هم يطوقون منزل بارني!

حملق الكاهن في الكرة وقال: لا أرى شيئا جوليان!

– أنت كبرت أيها الكاهن ولم تعد قادرا على العمل. أرسل خادمك ليطلب من الجند القبض عليه أنا أرى الخدم الآن قد دخلوا المنزل. روجر يترنح. الآن أيها الكاهن. روجر لا حول له ولا قوة. قوته السحرية تلاشت تماما! القيود محكمة، فقد السيطرة على نفسه شلت حركته.

أسرع غولدسيس إلى قائد الحرس وأخبره بانتهاء المهمة. دق جودعان باب منزل بارني. نظرت ناتاشا من ثقب الباب وقالت: إنه رئيس الحرس.

خرج روجر وكاد جودعان أن يقبض عليه لكنه أصابه الوجوم وعاد للخلف متوترا.

– ما الذي جاء بك إلينا، جودعان؟

تمتم قليلا ثم قال:

– للاطمئنان على أحوال السيد بارني.

– لماذا تكذب؟

انكمش وجه جودعان. كيف عرف أني أكذب؟

– هي الحقيقة سيدي ومعي عدد من الجند، جئت بهم لحراسة منزل السيد بارني.

ضحك روجر وقال:

– أنت لا تعرف كيف تكذب جودعان. أنا أعلم أن الحاكم طلب من الكاهن مساعدته للقبض عليَّ، لكن الكاهن استعان بالساحر جوليان ذلك الجبان!

حملق فيه جودعان وعرف أن الكاهن كذب عليه واستغفله فأسرع إلى الكنيسة وأخذ بلحية الكاهن يجره إليه.

– أين الساحر أيها الكاهن؟

أشار إلى غرفة بالداخل فأخرجه وانهال عليه ضربا وخرج مسرعا وهاربا.

– ماذا الآن أيها الكاهن؟

– لا أعلم، بني فالأمر جد عسير وروجر ليس سهلا أبدا.

تركه وخرج.

بدأ الناس يتوافدون على قصر الحاكم وأرسل روجر في طلب الكاهن إلا أنه رفض الذهاب وأغلق باب الكنيسة وبدأ وخادمه يتلو الصلاة والدعاء، لكن الكاهن وجد نفسه في بيت بارني يتملكه الرعب الشديد. عقد قرانهما وحبسه روجر في مكان بعيد حتى ينتهي الاحتفال. أرسل الحاكم عددا من الجند لإحضار الكاهن فوجدوا الخادم يبكي سيده وأخبرهم أن سيده انطلق كالسهم من النافذة العلوية للكنيسة وتكسر زجاجها ولا يعلم أين هو.

كانت العربة تسير نحو القصر. ناتاشا تلبس ثوبا ليس له مثيل. جلبه روجر معه. كان ثوب زفاف إيزابيلا الذي جهزته

للـزواج مـن روجـر. هاهـو يجلـس بجانبهـا لكـن لا أحـد يـراه. عـاد الجنـد وأخـبروا الحاكـم بأمـر الكاهـن. أمـر الحاكـم الجنـد بالانقضـاض عـلى روجـر وقتلـه في الحـال. كانـت السـاحة أشـبه بقـصر وقـد امتـلأت بالكـراسي والطـاولات وزينـت بالإنـارة الغريبـة العجيبـة ذات ألـوان مختلفـة. الحاكـم وزمرتـه والسـادة يجلسـون في مـكان مرتفـع ويتعجبـون. تصـل العربـة للسـاحة والجنـد عـلى أهبـة الاسـتعداد ففوجـئ الجميـع بعـدم وجـود روجـر فيهـا. السـتائر تنسـدل حـول العامـة.

رأت ناتاشـا الجنـد بأسـلحتم في كل مـكان، وثمـة جنـد يصوبـون السـهام والرمـاح نحـو الشـارع الرئيـس الـذي يدخـل عـلى السـاحة فعلمـت أن الحاكـم يريـدا شرا لروجـر.

- حبيبـي أرجـوك لا تدخـل، انظـر للجنـد في كل مـكان، سـمعت أن الحاكـم أمـر بقتلـك!
- لا تخـشي شـيئا حبيبتـي لـن يسـتطيع ذلـك، تـصرفي كأن شـيئا لم يكـن.
- أنا غير مطمئنٍ أبدا لما يجري، أنت تجابه جيشا وحدك.

ضحك روجر وقال: استمتعي بالحفل عزيزتي.

شـاهد الجميـع فتيـات جميـلات لا حـصر لهـن يرتديـن ثيابـا بيضـاء وقبعـات بيضـاء كأنهـن الراهبـات يقدمـن أطبـاق الطعام عـلى الطاولات ولا أحـد يعلـم مـن أيـن تـأتي. العـروس تجلـس عـلى المنصـة الرئيسـية وحولهـا والديهـا وثمـة كـرسي يجلـس عليـه روجـر دون أن يـراه أحـد. صدحـت الموسـيقى العذبـة وكأن بلابـل تشـدوا.

العامة يهتفون باسم روجر والعروس مبتهجة. الحاكم مرتبك والسادة مندهشون جوعا، والأكل يلتهمه الفقراء بنهم شديد. الشراب والفاكهة من كل الأنواع والألوان تصل للفقراء بشكل عجيب. انتهى الاحتفال وغادرت العربة وتملك الجميع الرهبة عندما شاهدوا روجر يجلس بجانب العروس فنزل الغم على الحاكم، ولم يستطع الجند عمل شيء. ارتفعت الطاولات والكراسي وغادرت الفتيات إلى مكان خفي وكأن شيئا لم يكن وعاد العامة لمنازلهم وهم يهتفون باسم روجر.

أرسل الحاكم بكتاب للإمبراطور نيرون يطلب منه المشورة فيما يجري في المدينة، لكن الإمبراطور في ذلك الوقت انصرف إلى السكر والعربدة والعهر وطاف يشبع رغباته المكبوتة ليتحول حكمه مع الوقت إلى وبال على الشعب، عرف ببذخه وحبه للعطور حتى أنه في عهده كان سقف الدعوات يُمطر رذاذاً من العطور والزهور، وكان في ذلك الوقت على خلاف مع أمه أغاربينيا التي كانت تسيطر على الحكم ومع زوجته أوكتافيا والكثير من كبار الدولة لطيشه وعدم اهتمامه بشؤون الدولة ولذلك أهمل كتاب الحاكم.

غادر روجر وعروسه البلدة متوجهين للقلعة. انطلقت العربة نحو البحر وعندما وصلت الشاطئ تحولت لقارب مهيب وعادت إلى سابق عهدها. عندما وصلت الشاطئ، وشاهدت القلعة الكبيرة والساحة التي أنيرت بألوان زاهية تملكها شعور بالعظمة، تختال كالأميرات بفستانها الذي ينساب من خلفها كذيل

طـاووس، وولجـت البـاب وصعـدت الطابـق العلـوي وهـي تـزداد دهشـة. وعندمـا دخلـت غرفـة نومهـا التـي كانـت لإيزابيـلا مـن قبـل. انفرجـت أسـاريرها عـن ابتسـامة مفعمـة بالنشـوة. التفتـت نحـو روجـر وألقـت بنفسـها بـين ذراعيـه القويتـين منتشـية تمامـا. ورأى روجـر فتـاة ناضجـة شـهية ذات حسـن خـلاب وقلـب جـذاب ولسـان حلـو المنطـق وتعجبـت ناتاشـا كيـف لشـاب شـارف عـلى المـوت بـل اعتقـد الجميـع أنـه مـات يعـود بعـد سـنوات يملـك كل تلـك المعجـزات وهـذا القـصر البهـي والجزيـرة الجميلـة. كل مـا يهمهـا الآن مـدى حـب روجر لهـا وأنه لـن يرفـض لهـا طلبـا أبـدا، وسيكشـف لهـا كل أوراقـه.

عـرف جوفيـان أن كلام روجـر أثـر في كاثـي وبـدأت الشـكوك تحـوم حولـه فقـد أخبرتـه خليلتـه خادمـة كاثـي بالتجسـس عليـه، وخـاف أنهـا كلفـت غيرهـا فاحـترس وقـرر عـدم الذهـاب لأماكـن اللهـو والمتعـة حتـى يتضـح لـه مصـير روجـر الـذي اختفـى الأيـام السـابقة. عـادت الحيـاة في المدينـة كسـابق عهدهـا وانشـغل النـاس بأعمالهـم، لكـن الحاكم لم يهنـأ لـه بـال حتـى يعـرف كل شيء عـن روجـر وسر قوتـه. لـذا فلقـد كلـف جودعـان بملاحقتـه ومحاولـة القضـاء عليـه. استشـعر الحاكـم أن وجـود روجـر في المدينـة خطـر داهـم يهـدد حكمـه فـأرق النـوم عينيـه وسـهر الليـالي الطـوال يفكـر في أمـره، وأرسـل رسـالة أخـرى يطلـب المشـورة مـن الإمبراطـور نـيرون في رومـا.

روجـر يعيـش أحـلى أيـام حياتـه مـع ناتاشـا التـي عشـقها عندمـا كان خادمـا في المدينـة. وجـد فيهـا الحـب الـذي يبحـث عنـه والاسـتقرار الـذي ينشـده فكانـت كل عالمـه. الجزيـرة بجمالهـا وجمـال طيورهـا

والسباحة في البحر وأشهى الطعام وألذ الشراب جعل ناتاشا تعيش في عالم الأحلام. قررت زيارة أهلها والاطمئنان عليهم لا سيما وأنها تخشى من غدر جيري بهم فحملت إليهم الهدايا والكثير من الطعام والفواكه اللذيذة التي تشتهر بها الجزيرة. وجدت والدها يعيش منعما مكرما وفي أفضل حال.

فيما كانت كاثي تجلس لمرآتها تصلح من شأنها قبل وصول زوجها جوفيان. جمدت في مكانها وشخصت عيناها وكأن ملك الموت جاء يقبض روحها. رأت روجر في المرآة يقف خلفها تماما فهي تعرفه جيدا. كان يأتي مع والدته ليحضر لها بعض طلباتها من الخارج من قبل. لم تأتي بأية حركة وهي تحدق في روجر وتعلم أنه جاء ليتنقم منهما. تشجعت وقالت:

– ويحك روجر. كيف تجرؤ على دخول منزلي هكذا؟ ألا تعلم أنني قد أكون عارية تماما؟ أليس لك خلق وقيم؟ آه...نسيت فابن السارقة لا يهتم بأعراض الناس!

ما كاد يسمع اتهام أمه حتى صرخ فيها بصوت أرعبها.

قالت له: إياك أن تتكلم معي بهذه الطريقة. أخرج حالا وإلا أمرت الخدم برميك في الشارع!

ضحك روجر بسخرية منها وقال:

– لا أحد يجرؤ على لمسي سيدتي. ولأنك امرأة ساذجة بلهاء جئت أحذرك من تماديك في إهانتي وأقتص منكما لقتل والدي!

– لا دخل لي بالموضوع ولم أكن موجودة تلك اللحظة. جوفيان

طبق القانون على أمك. السارق يقتل.

- إذا سنطبق القانون سيدتي على السارق. والقاتل أيضا يقتل أليس هذا هو العدل والقانون؟ سأذكرك بأنك ذلك اليوم ذهبت وحدك لتراجعي الحسابات مع إدوارد ولم تأخذي والدتي معك كالعادة. رجع إدوارد إلى المنزل وحاول الاعتداء على والدتي فرفضت وهربت وصرخت ولحق بها والدي ليحميها من زوجك الوغد وجن جنونه عندما شاهد ثيابها ممزقة وعرف نواياه الخبيثة وهربا للشارع. عاد زوجك لغرفتك وأخذ العقد وخبأه في المنزل ليثبت التهمة على والدتي، ثم أخذ السوط ولحق بهما وقال للناس إنها سرقته. في اليوم الثاني، أخذ العقد وباعه لتاجر المجوهرات أراميس فعرف أنه عقدك لأنه هو الذي باعك إياه لكن زوجك هدده إذا أفشى له سرا. يمكنك التأكد من ذلك وسأعود إليك مرة أخرى لأكشف لك خبث زوجك وتلاعبه بك.

اختفى روجر وتركها في حيرة من أمرها.

- أيعقل أن زوجي يستغفلني ويتلاعب بي وأنا من أنقذته من الوحل وجعلت منه سيدا؟ أيعقل هذا!

دخل جوفيان واحتضنها من الخلف وهي على مرآتها ورأى في عينيها حيرة وارتباكا لكنه آثر ألا يسأل، وكاثي أخفت غضبها وحاولت الظهور كالعادة إلا أنها أخبرته أنها متعبة وستأوي للفراش. في الصباح، خرجت مسرعة للتأكد من كلام روجر وذهبت لأراميس الذي رحب بها وقال:

- طلباتك سيدتي!

- تعلم أراميس أنك الوحيد الذي أتعامل معه في المدينة لأنك رجل صادق!

- أشكرك سيدتي. أنا تحت أمرك دائما!

- لكنك خنت الأمانة أراميس!

- لا سيدتي. أنا رجل صادق وأتعامل مع الجميع بإخلاص خاصة الزبائن المميزين مثلك!

- لنر صدق كلامك أراميس. لماذا لم تقل لي أن جوفيان باعك عقدي الثمين الذي اشتريته منك؟

تغير وجه أراميس ولم يجد جوابا.

- إذا اشتريت عقدي منه؟

- نعم سيدتي. لكنني أخبرته أن هذا عقدك وسألته عن سبب بيعه له. فهددني بالقتل إن أخبرتك بالأمر وعلمت أنه اتهم خادمتك بسرقته، فقلت إنها قتلت وانتهى الأمر.

- من هذه اللحظة، لا تتعامل معه أبدا فأنا أحذرك أراميس!

- أمرك سيدتي. واغفري لي تلك الزلة أتوسل إليك!

تركته وعادت لمنزلها كئيبة غاضبة حاقدة. الآن، عرفت أن مربيتها صادقة وأمينة وأن زوجها يتلاعب بها وأن مربيتها الجديدة كاذبة، وربما تتلاعب بها لسبب ما. لكنها لم تخبره بالأمر حتى تعرف من روجر

كل شيء عن زوجها، وانتظرت روجر في ذلك اليوم لكنه لم يحضر. وبقيت حائرة خائفة تتمنى حضوره بعد أن كانت تخشاه وتمقته.

اشترى روجر منزلا جميل لعائلة ناتاشا وبقي معهما لأيام حتى ينتقم من جوفيان ويكشفه أمام كاثي والسادة، ويعود به إلى الحضيض الذي جاء منه. كاثي تدور في ساحة منزلها ترقب روجر عله يأتي ويريحها من عذابها، وهي تعيش مع رجل مخادع وتخشى أن يتزوج عليها أو يسرقها دون أن تعلم. صعدت لغرفتها فرأته يجلس على سريرها.

– ماذا تعرف عن زوجي، روجر؟

– عرفت أنني صادق وأن والدتي بريئة؟

– ليس بعد روجر؟

– أنت تكذبين. كنت في الصباح عند أراميس واعترف لك!

ارتبكت وحملقت فيه بتعجب... كيف عرف ذلك؟ هل يراقبني؟

– لا بأس كاثي. أين زوجك الآن؟

– في العمل كالعادة.

– يا لك من بلهاء.

– قلت لك لا تتكلم معي بهذه الطريقة روجر!

– زوجك يخونك سيدتي. وخادمتك تخونك أيضا. أنت طلبت

منهـا أن تراقبـه ولم تعلمـي أنهـا خليلتـه. لقـد اشـترط عليهـا ذلـك قبـل العمـل عنـدك وأخبرتـه بطلبـك أيضـا ليحـترس!

– أنت تكذب روجر!

– لا أسمح لك بذلك!

– نعم عرفت أنه أخذ العقد وباعه لا ليسرقه لكن ليحمي نفسه.

– أنـت غبيـة أيتهـا الحمقـاء. ليحمـي نفسـه! ممـا يحمـي نفسـه؟ ألم تسـالي نفسـك ممـا يحمـي نفسـه! أليـس لأنـه أراد خيانتـك مـع أمـي؟ ألا تعلمـين بأنـك قبيحـة وأنـه تـزوج أموالـك وتجارتـك؟ إنـه يكرهـك في أعماقـه.

روجـر يتكلـم وكاثـي كقـدر يغـلي مـن تـوالي الإهانـات منـه. تحـاول أن تلطـم وجهـه وتعلمـه الاحـترام مـع السـادة والسـيدات.

– ألا تعلمين أن زوجك الآن يعاشر العاهرات في الخان؟

مـا كادت أن تسـمع كلمـة الخـان حتـى تركتـه وركبـت عربتهـا وانطلقـت مسرعـة نحـو الخـان. دخلتـه غـير عابئـة بسـمعتها وسـألت عـن جوفيـان فلـم يجبهـا الرجـل وأخبرهـا أنهـم يحافظـون عـلى سـمعة وأسرار زبائنهـم فدفعتـه وولجـت البـاب، لحـق بهـا الخـادم عندمـا عـرف أنهـا زوجتـه، أشـار إلى بـاب فدفعتـه بقدمهـا لكنـه كان مغلقـا، انتبـت الفتـاة فلبسـت ثيابهـا عـلى الفـور والقـت عـلى جوفيـان مـا يسـتره ولمـا فتحـت البـاب شـاهدت الـشرر يتطايـر مـن عينـي كاثـي فلزمـت الصمـت وتقوقعـت في ركـن المـكان. عندمـا رأت كاثـي جوفيـان يخلـو مـع تلـك الفتـة شـبه عـارٍ طـار صوابهـا وجـن جنونهـا. كان سـكرانا

يهذي. ضحك كثيرا وهو يشير لها بإصبعه وقال لها :

– دورك ليس الآن حبيبتي!

فزاد من حنقها وسكبت وعاء الخمر على رأسيهما وخرجت تصرخ وتولول.

عرفت أن روجر صادق وأنه يريد مصلحتها. طردت مربيتها وألقت بها في الشارع وكانت كتائهة في الصحراء تنتظر جوفيان على أحر من الجمر وتفكر كيف ستتخلص منه وهي تتساءل: هل كان يسرقها؟ هل تزوج غيرها؟ ورمت بنفسها على السرير تبكي وتنتحب سوء حظها وتعثر حياتها.

– لا داعي للبكاء سيدتي، فقد عرفت حقيقته!

– أنت هنا روجر! ماذا تفعل بربك؟ ألم أقل لك لا تدخل غرفتي هكذا فجأة لئلا تراني في وضع محرج؟

– لا عليك كاثي. أنا أعرف حدودي جيدا. لن أقبل بذلك.

وشعرت بوقع أقدام جوفيان فقالت:

– روجر، اخرج. لا أريد أن يراك جوفيان. دعني أتصرف معه.

– لا تخشي شيئا. لن يراني. سأبقى هنا لحمايتك. أنت امرأة طيبة طالما مدحتك أمي لهذا أنا أساعدك.

ولج جوفيان الغرفة وقبل كاثي كعادته ورمى نفسه على السرير. ما يزال تأثير الخمر يداعب عقله.

روما ١٩٨٦

– مفاجأة سارة لم أكن أتوقعها مطلقا. ما الذي جاء بك دون موعد مسبق؟ لماذا لم تتصل وتخبرني بقدومك؟

– لم أكن أخطط لذلك. في الواقع حلمت قبل يومين بأنك حزينة ومرهقة ويائسة.

– نعم عزيزي، أنا كذلك. تعبنا كثيرا ونحن نبحث عن العصا الرابعة فلم نفلح وها قد عدنا اليوم محبطين تماما.

– قابلت الليلة الماضية رجلا رائعا من مدينة كريمونا. تحدثنا في أمور شتى. أخبرته أنك كاتبة روائية وأهديته نسخة من الرواية. وطلب مقابلتك.

– ماذا يعمل هذا الرجل؟

– في الأفلام بالطبع وله هوايات أخرى.

– أما زال في أمريكا؟

– لا. لم يكن اللقاء في أمريكا.

– إذا هنا في إيطاليا!

– لا.

– إذا. لا بد أنك التقيته على متن الطائرة!

صمت سام ولم يجب وكان يفكر في أمر ما.

– يا الهي! أنا لم أركب الطائرة مطلقا. كيف وصلت إلى هنا؟

ظهرت علامات القلق على سام، سوزي متعجبة وتتابعه باهتمام بالغ لأنها علمت أن هناك من يتحكم في سام، استدركت سوزي الموقف وقالت: لا عليك المهم أنك بجانبي الآن.

– سوزي أنا لم أقابل الرجل في أمريكا أو حتى هنا. كان هناك ثمة واجهة رائعة وشبابيك جميلة جدا وهناك تمثال حيوان برأس إنسان وله أجنحة وأعتقد أن هناك تمثال رجل وامرأة. يا له من مكان خالد!

تهلل وجهها فرحا عندما علمت أنه ربما لا يشعر بوجوده معها في حقيقة الأمر وأن كل ذلك كسراب، قالت :هل تستطيع رسمه؟

وأخذ يرسم لوحة تقريبية للمكان. اتصلت بالبروفسير وطلبت منه لقاءها في الفندق. وعندما وصل وشاهد ما رسم سام بحث في هاتفه النقال عن المكان وقال لسام:

– هل هذا هو المكان؟

– نعم. هو بالتأكيد.

تابع سام:

– كان هناك الكثير من البحيرات والمياه في كل مكان. ركبنا قاربا صغيرا وتجولنا بين المنازل. كانت مدهشة حقا.

– هذا قصر دوقي بفينيسيا أو ما يسميه العرب البندقية.

أخبرت سوزي البروفسير بما حدث مع سام، وقالت إن هناك إشارة ما، عليهم البحث عنها. لم تجد سوزي في حديث سام شيئا ذا قيمة يقربها من هدف الحصول على معلومات بشأن العصا. لكنها أدركت أن تدخل رجال الفضاء في نقل سام إلى البندقية ثم روما دون أن يشعر إنما لسبب وجيه وللمساعدة في العثور على العصا. صعد سام وسوزي لغرفتها في الفندق وحاولت مع سام علّه يتذكر شيئا ما قد يكون نسيه في حديثه مع أنطونيو، لكن سام لم يتذكر شيئا وخلدا للنوم.

في الصباح، ألقت سوزي نظرة من النافذة التي تطل على حديقة غناء في الفندق لكنها فوجئت بشاطئ البحر وثمة قوارب سياحية مختلفة على رصيف الشاطئ. فركت عينيها ونظرت نحو سام المستغرق في النوم وشكت أنها تحلم. سمعت صوتا خارج الغرفة، وعندما فتحت الباب بهدوء وروية شاهدت رجلا في المطبخ وثمة أطباق شهية على المائدة فتسمرت في مكانها وأغلقت الباب.

– سام...سام. أرجوك أفق!

قام سام ينظر لسوزي المرتبكة بتعجب: ما هناك؟

– أين نحن بحق السماء؟

– في الفندق حبيبتي!

- لا. لسنا في الفندق. نحن على شاطئ البحر. وهناك رجل في الخارج يعد طعام الإفطار!

نهض سام مسرعا وفتح الباب وخرج يلقي نظرة.

- حمدا لله على سلامتك عزيزي سام.

- أهلا أنطونيو. رائحة الطعام زكية جدا. سوزي...من فضلك انضمي لنا عزيزتي لتناول طعام الإفطار والتعرف على صديقنا أنطونيو!

ما كادت سوزي أن تسمع بأنطونيو حتى جلست على السرير تكلم نفسها: إذا نحن في فينيسيا. ابتهجت ونظرت نحو السماء. شكرا لكم أصدقائي. شكرا لكم كثيرا، واعتقدت أنها ستحصل على العصا الرابعة في رحلتها تلك.

تعرفت سوزي على أنطونيو وتحدثا في أمور شتى، وأخبرها أنه استمتع كثيرا بقراءة الرواية وطلب منها كتابة رواية جديدة لينتج منها فيلما سينمائيا. حدثته عن مشروعها الجديد حول الأساطير وأنها تبحث عن العصي الأربعة والكرة الذهبية وأنها قطعت شوطا كبيرا في جمع معلومات حولها. ولذا طلبت منه المساعدة.

اصطحبهما أنطونيو في رحلة بحرية في شوارع المدينة المائية لأنه يملك قاربا جميلا. تناولا طعام الغداء على متنه. خلال ساعتين من التجوال، استمتعا معه برؤية المدينة ومتاحفها وآثارها وحدائقها الغناء قبل العودة للمنزل.

تلقى أنطونيو اتصالا. كان ينظر لسوزي ويبتسم وهو يردد:

– رائع... رائع. أنت مباركة سيدتي. كنت قبل شهور في مدينة فيلادلفيا للاتفاق على فيلم مع شركة أمريكية. ولا أخفي عليك. لقد توقعت أن الفيلم حصل عليه غيري.

اتصلت الشركة الآن تخبرني أنه وقع الاختيار عليَّ. حمدا للسماء أنكم في منزلي. ثم فرك ذقنه بين أصابعه وقام من مكانه وعاد بعد لحظات يحمل كتابا وقدمه لسوزي. أرجو أن تجدي ما تبحثين عنه هنا سيدتي. هذا الكتاب هدية من صديق يوناني قبل خمسة عشر عاما. لا أخفي عليك لم تتسنى لي الفرصة لقراءته.

أخذت سوزي تقلب أوراقه وتطلع على صوره. شد انتباهها صورة كرة ذات ألوان قوس قزح. توقفت عندها وأخذت تقرأ فيما ذهب أنطونيو وأعد كوبا من القهوة للجميع وخرج مع سام للجلوس في الحديقة.

– لا جديد عن الكرة والعصي هنا. قالت سوزي.

لكن شد انتباهها كلام في حاشية الكتاب أشار إلى مصدر المعلومات فطلبت من أنطونيو أخذها إلى مكتبة مارشانا القومية. سألت عن كتب التاريخ والأساطير وأخذت تقلب في الكتب تبحث عن اسم الكتاب. جلست تبحث فيه وقرأت أن اسم أحد أبناء كالاهاني يدعى ديكيوس، فقالت في نفسها بأنها قرأت هذا الاسم في مكان ما. وأخذت تعصر حبل أفكارها وتستعيد مشوار رحلتها وفجأة أغلقت الكتاب وانطلقت نحو كنيسة سان ماركو وأخذت تقرأ في أسماء من خدم الكنيسة طيلة عهدها فوجدت اسم ديكيوس من بينهم فسرت لذلك كثيرا، ثم توجهت نحو

راعي الكنيسة تسأله عن تاريخها حتى سألته عن ديكيوس.

– نعم سيدتي. قبل مئة عام، كان هناك رجل ثري من أحفاد ديكيوس. عاش طويلا وفي أواخر عمره قرر خدمة الكنيسة وتبرع بكل ماله لعدم وجود ورثة له.

– هل ترك أثرا له غير المال وخدمة الكنيسة؟

– أجل. كل منزله تركه للكنيسة!

– أنا كاتبة روائية أمريكية. أكتب بحثا عن الآثار القديمة وخاصة ما يتعلق بالكنائس والأساطير حولها. هل لك سيدي أن تطلعني على بعض تركته.

توجه راعي الكنيسة إلى بناية مجاورة وملاصقة للكنيسة. كم هالها ما رأت من معروضات قيمة تحكي تراثا قديما! وعندما رأت العصا، شعرت أن عينيها خرجتا من رأسها حتى وصلتا للعصا. قلبها يصفق بقوة. جسدها يرتعش ابتهاجا بالنصر المبين. لكنها عبست عندما علمت أنها لا تملك العصا المقلدة. نظرت لساعتها وقالت لراعي الكنيسة:

– سيدي. لدي موعد هام بعد نصف ساعة. هل تسمح لي بزيارة ثانية لالتقاط الصور وتحدثني عن بعض هذه المقتنيات الخالدة؟

– في خدمتك سيدتي. وفي أي وقت تشائين؟

بومبي ٥٨م

– لماذا تأخرت، جوفيان؟

– العمل سيدتي. إنه متعب جدا؟

– لم أعلم أن العمل مع العاهرات متعب لهذه الدرجة؟

– إنه متعب حقا....

خيل إليه أنه سمع كلمة عاهرات. انتفض جالسا يتمتم.

– ماذا قلت كاثي؟ لم أسمعك جيدا.

– قلت العمل مع العاهرات جوفيان. هل سمعتني جيدا الآن؟

– ماذا تقصدين بقولك هذا؟

– عندما تزوجتك كنت عبدا ذليلا وخادما حقيرا وصعلوكا لا قيمة له. جعلت منك سيدا، ومنحتك نفسي وتجارتي وأموالي وقدمتك للحاكم كرجل نبيل.

– أسمع في كلامك لهجة جديدة. لماذا كل هذا الكلام، عزيزتي؟

– اخرس ولا تقاطعني. اتهمت سيليا بالسرقة لأنها رفضت معاشرتك كحيوان وقتلتها وزوجها المسكين لتغطي على

جريمتك. وسرقت عقدي الثمين وبعته لأراميس وهددته بالقتل إن تكلم. والآن تعاشر العاهرات وتنام بجانبي كسيد. تسكر وتثمل كالعبيد وتأتي لبيتي... رائحتك نتنة ولا عقل لك ثم تنام في سريري وأنا أشفق عليك وأحسب أنك متعب من العمل. يا لسذاجتي! تستغفلني طوال هذه السنوات أيها الوغد الحقير؟

– عزيزتي. أنت تهذين بلا شك. من قال لك هذه السخافات؟ أقسم لك ...

– لا تقسم. رأيتك بنفسي في الخان سكران في أحضان عاهرة. حالتك مزرية.

أخذت المفاتيح منه وقالت:

– اخرج من بيتي. لا أريد أن أراك ثانية وإلا أمرت الخدم بقتلك.

– عزيزتي. اغفري لي هذه الهفوة فأنا خادمك الأمين.

– لا تقل اسمي مرة أخرى. اخرج الآن أيها الحقير.

طلبت من الخدم طرده. وأخذت تبكي وتنتحب.

– لا تحزني كاثي! حمدا للسماء أنك عرفت حقيقته ليعود إلى أصله خادما وعبدا.

– لا... لن أسمح له بذلك. سأمنع كل السادة من تشغيله. سأجعله يدور في الشوارع كالمجنون والمتشرد. سأنتقم منه شر انتقام.

- سيدتي. أنت الآن حرة. ستشغلين نفسك بالعمل وأرجوا أن تهتمي بالفقراء والعبيد فهم سيكونون خير عون لك. الآن. أستودعك الله وانتبهي لنفسك فما زال جوفيان معروفا عند السادة والحاكم كرجل نبيل!

- أحسنت روجر. الغضب أعماني عن التصرف بعقل وحكمة. في صباح الغد سأذهب لجميع السادة وأخبرهم بحقيقته وأسحب توكيله وأخبر الجميع أن لا علاقة لي به بعد اليوم.

- خيرا تعملين كاثي. انتبهي لنفسك.

- قبل أن تغادر، روجر. أحب أن أخبرك بأن أمك كانت امرأة رائعة. كنت أحبها كوالدتي فهي تعهدتني وأنا طفلة صغيرة. لا أعرف كيف أعماني ذلك الأبله وصدقته؟ أرجوك سامحني.

- السماء من تسامح، عزيزتي.

أصبح جوفيان كورقة في مهب الريح. غادر المنزل يجر أذيال الخيبة والفشل. نام عند صديق له تلك الليلة وقام متأخرا من نومه وذهب للمتجر فوجد كاثي تجلس هناك تدير الأعمال ومنعه الخدم من الدخول، فغادر مهموما. تذكر التاجر كالاهاني وطالبه بسداد الدين. تبسم كالاهاني وأخرج إيصالا بالسداد موقعا من كاثي. لم يعلم أنها سبقته إلى هنا وسحبت التوكيل منه فطلب قرضا ليستعين به.

- أعتذر منك إدوارد...

إدوارد لم يسمع بهذا الاسم منذ أن تزوج كاثي، فاهتز جسده وتذكر تلك الأيام التي كان فيها عبدا...

– أخرج من هنا. لا أريد أن أراك في متجري.

انكمش على نفسه وغادر غاضبا. تذكر كيف كان يضرب روجر بجنزير من الحديد. ندم لأنه لم يتيقن من موته وندم لأنه أوكل تلك المهمة للخدم. وجد نفسه أمام الخان فولجه وطلب القدح وعاهرته المفضلة. وبعد أن أفاق من سكرته غادر الخان. عندما علم صاحب الخان أنه لا يملك المال وأن كاثي طردته من منزلها وهو يعيش في الشوارع انهال عليه ضربا ولم يجد غير ثيابه الأنيقة فجرده منها ورمى به في الشارع.

عاد روجر وناتاشا للجزيرة وعاشا أياما جميلة معا. كانا يزوران المدينة كل عدة أيام فتطمئن ناتاشا على عائلتها ويقوم روجر ببعض الزيارات خاصة لصديقيه اللذين أنقذا حياته من الموت. كان يغدق عليهما بالأموال وطلب من كاثي الاهتمام بهما وترقيتهما ونصحها بالزواج من أحدهما وقال لها إنه يضمنهما ويعرفهما حقا، فهما رجلان نبيلان خلوقان يعتمد عليهما. أخذت كاثي بنصيحة روجر وراقبتهما أياما حتى وقع اختيارها على أحدهم فتزوجته دون حفل ووجدت فيه الإخلاص والحب والحنان.

كانت ناتاشا تستغل الأوقات الجميلة والرومانسية فتعرف من روجر أسرار القلعة، لكن روجر كان يعطيها ما يريد ويخفي عنها الأسرار الخطيرة كما أوصاه شونان. ناتاشا لم تقبل بما فعله روجر من أجل والدها لأنها كانت قد تعهدت بقتل جيري شر

قتلة، والانتقام لكل ألم أصاب والدها وهو في خدمته، ولم تضمن أن يبقى الأمر على ما هو عليه. إنها تخشى عودة الأمور لسابق عهدها فينتقم جيري من والدها ولذا قررت قتله. التزم السادة في المدينة بمعاملة خدمهم برأفة خوفا من روجر والكل يعتقد أن جني روجر موجود في المدينة يتفقد أحوالها. لم يجد إدوارد الشفقة من العامة الذين خذلهم عندما كان سيدا وعاملهم بقسوة وجحود وعاش كالمتشرد. جاءه يوما، خادم موري وطلب منه اللحاق به إلى معلمه فعطف عليه وشغله في مزرعته وأوصى الخدم باحترامه. عندما علمت كاثي تعجبت من الأمر وذهبت لموري تطلب منه طرده وعدم التعاطف معه، إذ ليس من شيم السادة طعن بعضهم من الخلف. أخبرها موري قائلا:

– سيدتي. والدك أوصاني به خيرا فأنا أنفذ وصية والدك فقط.

تذكرت كاثي قبل زواجها من جوفيان أن والدها ذهب إلى موري وعاد خائبا.

– لكنك لم تساعد والدي عندما جاء يطلب منك العون !

– نعم كان يطلب توصية لدى الحاكم، وأنت تعلمين أنه كان سيرفض ولا أريد لمنزلتي عند الحاكم أن تهتز. لكن والدك قال أوصيك به خيرا ما دام حيا.

بعد سنوات من الحب والانسجام بين روجر وناتاشا، أسلم روحه وعقله وجسده لها وعرف أنها تحبه وتحترمه وتنفذ كل ما يريد فاستغلت ذلك الحب لتكشف الحجاب عن القلعة الخفية.

- حبيبي روجر. أرجوك علمني كل شيء هنا حتى أستطيع أن أحمي نفسي وأحميك إن تعرض أحدنا للأذى. لا نعرف ماذا سيحل بنا في المستقبل يجب أن نكون يدا واحدة!

- صدقت. لقد أخفيت عنك بعض الأمور لأنها خطيرة. لكن الآن أنا على يقين أنك مؤهلة للتعلم والحفاظ على تلك الأسرار. لا نريد أن تقع في أيد الأشرار فيعيثون في الأرض الفساد.

- اجل حبيبي. كل ما أريده هو أن نكون بخير.

- ما يحزني كيف لم يشاهدك جنود الحاكم وأنت في جانبي!

- غريفور.

- نعم سيدي.

رأت ناتاشا مخلوقا غريبا تشكل بصورة إنسان في لمح البصر.

- من هذا روجر؟

- صديق عزيزتي. غريفور أريد منك إخفاء هذا التمثال لكي لا تراه السيدة!

حملقت كاثي عندما اختفى التمثال الحجري الضخم من أمام عينيها، سألت: كيف حدث ذلك.

- هناك غطاء يحمله غريفور يلقيه على الشيء فيحجب رؤية العين فلا نراه.

- لم أفهم جيدا ماذا تقصد؟

– هـذا علـم، غريفـور ليـس إنسـانا إنـما هـو مـن كوكـب سـيراتا ولـه قصـة طويلـة أخـبرك عنهـا فيـما بعـد.

وبـدأ روجـر بتعليمهـا كل صغـيرة وكبـيرة يعرفهـا. ومضـت أيـام لم يذهبـا فيهـا للمدينـة إلا أنهـما غـادرا القلعـة في رحلـة للمـدن المجـاورة يسـتمتعان بـكل لحظـة مـن حياتهـما، كـما وعدهـا روجـر بتعويضهـا عـن أيـام البـؤس والحرمـان. لم يسـمع عنهـما أحـد فاعتقـد النـاس أن جنـي روجـر انتهـى ولم يعـد لـه وجـود. كان كلـما دفـع جـيري راتـب بـارني يتملكـه الغيـظ والغضـب وكان ينتظـر لحظـة ابتعـاد روجـر أو جنيـه لينتقـم مـن بـارني. بعـد انقطـاع سـماع أخبـار عنـه، شـاع في المدينـة أن روجـر ذهـب ولم يعـد، وجـد جـيري الفرصـة مناسـبة للانتقـام فأخـذ خدمـه وذهـب لبيـت بـارني فوجـده في الحديقـة وأمامـه الطعـام والـشراب والفاكهـة اللذيـذة. قـام بـارني مرحبـا بجـيري لكنـه رأى علامـات الغضـب عـلى وجهـه ومعـه خدمـه فاستشـعر وجـود أمـر جلـل في زيارتـه. جلـس جـيري يلتهـم الطعـام بنهـم.

– أنـت تعيـش في الجنـة، بـارني. نعـم. تأخـذ أمـوالي بـلا تعـب وتتنعـم هنا مـع زوجتـك الجميلـة....

أمسـك بيدهـا وسـحبها إليـه وطبـع قبلـة عـلى خدهـا. هـل تريـد شـيئا آخـر، بـارني؟ هـل ينقصـك شـيئ مـا؟ فقـد أوصـاني روجـر عليـك. بالمناسـبة مـا أخبـار روجـر لم نعـد نسـمع عنـه شـيئا؟ هـل أخـذ ابنتـك الجميلـة وهـرب؟ هـل اعتقـدت أن روجـر حـي أيهـا المسـكين! كان ذلـك مجـرد خيـال حلـم. الآن وقـد تبخـر حلمـك ولم يعـد لروجـر وجـود. مـاذا تنتظـر عزيـزي؟

عـرف بـارني أنـه جـاء لينتقـم منـه، وسـيعيده لخدمتـه مـن جديـد وسـيطالبه بـكل الأمـوال التـي أخذهـا منـه.

– تعلـم سـيدي أنـه ليـس لي مـن الأمـر شيء. لم أقبـل أن أضربـك بالسـوط لـولا أنـك أمرتنـي بذلـك!

– حسـنا بـارني. جـاء وقـت الحسـاب. لا أعتقـد أن لزوجتـك علاقـة بالأمـر ولأنهـا جميلـة سـآخذها لنفسـي عوضـا عـن أمـوالي التـي أخذتهـا بـدون وجـه حـق. أمـا أنـت فسـأنتقم منـك بنفسـي، بـارني. لقـد أضحكـت الجميـع عـليَّ.

التفـت لخدمـه وقـال: وأنتـم انقلـوا كل مـا في المنـزل لبيتـي ثـم أحرقـوه.

وإذا بأحـد الخـدم يمسـك بيـد فتـاة صغـيرة. سـيدي، أعتقـد أنهـا ابنـة بـارني.

اقترب منها وأخذ يداعب شعرها. كم عمرها، بارني؟

– سيدي إنها طفلة صغيرة لم تبلغ ١٣ عاما بعد.

– ١٣ عامـا. يـا لـك مـن ماكـر! إنهـا تبـدو في الـ ١٦ عامـا مـن العمر. انظـر كـم هـي شـهية وناضجـة. خذهـا إلى مكتبـي، بنـي. وأغلـق البـاب عليهـا جيـدا ريثـما أعـود. تأكـدت الآن أنـك وزوجتـك مشـتركان في الجريمـة، قيدهمـا.

– سـيدي. أرجـوك... سـأفعل كل مـا تريـد. فقـط لا تـؤذي ابنتنـا، إنهـا لا تـزال طفلـة، سـيدي.

- اخرس أيها الحيوان. لا أريد أن أسمع صوتك. ستدفع الثمن غاليا.

وراجت الشائعات في المدينة أن جيري أحرق بيت بارني وعذبهما حتى الموت واتخذ ابنته الصغيرة خليلة له في متجره. هناك في آخر المتجر غرفة خاصة به ينام عند التعب ويتناول طعامه وشرابه. ولم يحرك أحد ساكنا وعادت الفوضى والعربدة كما كانت وأكثر.

أيقنت ناتاشا أنها حصلت على كل ما تريد من روجر، وأنها تملك كل الأسلحة التي تمكنها من الانتقام حتى العربة السحرية. حفظت الكلمات التي تحتاجها لقيادتها. قامت ذات ليلة فزعة مضطربة وأخبرت روجر أنها رأت جيري في بيت والدها غاضبا جدا. ضحك روجر وقال:

- عزيزتي. لا يجرؤ جيري ولا أحد غيره على الاقتراب من عائلتك فقد أوصيت رئيس الحرس بهم.

- حبيبي. لم نذهب لزيارتهم منذ أكثر من شهر. وهذا سيجعل جيري يعتقد أنك شبح وانتهى كما كان يزعم فينتقم من والدي.

- تعلمين أننا كنا مشغولين في السفر، و تدريبك على أسرار القلعة والعربة، ووعد مني أننا سنذهب خلال أيام حين أتعافى فأنت تعلمين أنني منهك القوى ولم أتعافَ بعد من الوعكة الصحية التي أجبرتنا على العودة من السفر.

حلمها المتكرر أرق مضجعها وأحزن قلبها. كانت تمضي الساعات وقلبها هناك عند والديها وأسرتها، فحسمت الأمر بالذهاب

لوحدها. هي تعرف الآن قيادة العربة وكل الأسرار التي تحتاجها لمعاقبة جيري إن أصاب والدها مكروه. لذلك ومن حرصها على معاقبة كل الأسياد المتعجرفين بلا قلوب وبلا رحمة فقد أخذت معها الكرة السحرية والعصي الأربعة. أرادت أن تنقل والديها للعيش معهما في القلعة وأن تدمر المدينة انتقاما لوالدها ووالدي روجر أيضا. كتبت رسالة لروجر قالت فيها: سيدي كنت نعم الزوج وعشت معك أسعد أيام حياتي. أنت رجل نبيل وفي قلبك رحمة. سأذهب للمدينة فإن وجدت والدي بخير، عدت إليك. أما إن حدث له مكروه فأنت السبب لعدم قتل جيري ولن أعود إليك بل سأنتقم من الجميع لأنني أملك الآن القوة المناسبة لذلك. وداعا.

نزلت للطابق السفلي وجدت العربة جاهزة فركبتها ومعها الكثير من الهدايا وأمرت العربة بالتحرك وهي تردد تلك الكلمات التي كان يقولها روجر لكن العربة لم تتحرك ولم تعرف السبب. استيقظ روجر من نومه فلم يجد ناتاشا بجانبه. بحث عنها في غرفة الطعام وأطل من النوافذ فلم يجدها. انتابه شعور سيء فعاد لغرفته ليتأكد من زجاجة اكسير الحياة فوجدها في مكانها ولفت انتباهه رسالة ناتاشا، فعرف نواياها، فنزل للطابق السفلي فسمع صوتها تردد كلمات الانطلاق فتعجب لذلك وكان قد علم أنها تريد شرا بالسادة فعلم أنها ربما أخذت ما يساعدها على الانتقام فولج الغرفته الخاصة بالعتاد والأسلحة، تفقدها فلم يجد العصي الأربعة. انطلق مسرعا نحو غرفة العربة وإذا بها تجلس فيها منزعجة، وشاهد الكثير من الهدايا فعلم أنها راحلة. لكنها بادرته بابتسامة وقالت:

- عزيزي. كما أخبرتك من قبل. أنا قلقة على والدي فأحببت أن أطمئن عليهما ولا أريد إزعاجك بالأمر.

أخذ العصي والكرة وقال:

- ما حاجتك لها؟

تبسمت وقالت:

- من باب الاحتياط عزيزي. إذا وجدت أن جيري قد خان العهد ونبذ الاتفاق.

لكنها رأت من روجر غضبا شديدا يحاول إخفاءه وتذكرت أنه قال لها أنه سيكون خادما أمينا لها ولكنه حذرها من الخيانة وعدم الطاعة إذ إنه لا يرحم من يغدر به. قال:

- لك ذلك عزيزتي. لكن هذه العربة لا تستجيب إلا إذا سمعت صوتي أنا فقط أو في حال موتي فإنها تستجيب لأول صوت تسمعه. لكن هناك عربة صغيرة يمكن أن تذهبي بها إلى أهلك وتطمئني عليهم وتعودي متى تشائين. اركبي فيها وخذي هداياك معك وأيضا العصي والكرة.

أراد روجر أن يتخلص من العصي والكرة أيضا خوفا من الوقوع في يد عابثة فتقتل الأبرياء. تأملت العربة وعلمت أن روجر يدبر لها أمرا وأنه لن يرحمها ولن يقبل بها كزوجة بعد الآن فاستأذنته قائلة:

- عزيزي هناك هدية نسيتها في غرفتنا. سأجلبها ومن ثم أذهب. غابت لدقائق وجلبت الهدية وركبت تلك العربة مع هداياها وأغلقها عليها. قال لها:

- سيدتي. أحببتك حبا عظيما لكنك غدرت وخنت. ونهاية كل خائن الموت. الآن ستغرق هذه العربة في قاع البحر وتنتهي حياتك. هناك أمر واحد فقط يمكنه إنقاذك ألا وهو إكسير الحياة تلك الزجاجة التي قلت لك أنها سموم. هي كذلك لكنها سموما مفيدة لمن شربها ستجدد حياته بعد فترة من الزمن ويعيشين طويلا. انتهى أجلك سيدتي وقربت نهايتي أيضا. لن أعيش طويلا فغرق هذه الأنبوبة في البحر علامة على قرب الأجل وهدم هذه القلعة لأن الكرة التي معك ستخرج بقوة لتدمر هذه الجزيرة. الذين بنو القلعة قالوا إن ثلاثة فقط من يملكونها: الرجل الفضائي وايزاييلا وأنا. لكن لو قدر لك الخروج فإن القلعة لن تنهدم وسأموت هنا على الشاطئ فللأيام الخوالي، عزيزتي. ادفنيني بما يليق بي حينها، فإن هذه القطعة ستهوي للبحر لتقع هنا في عربتك حيث مكانها وتصعد العربة للشاطئ وتخرجين منها وستجدين عربتي بانتظارك. الكلمات التي كنت أقولها ليس لها تأثير فقط هذه الآلة تتحكم بها إذا استطعت معرفة أسرارها فستكون العربة تحت أمرك. ثم ضحك وقال: لا فائدة من كل ذلك لأنك لا تملكين ماء الحياة وانطلق بالعربة نحو الشاطئ وأخذت طريقها تهوي رويدا رويدا وناتاشا تصيح وتستغيث حتى غرقت في أعماق البحر.

جلس يبكي كطفل صغير. عاد وحيدا. الدنيا ظلام وحلمه بالسعادة تلاشى بموت ناتاشا. كان يعتقد أن كلام شونان لا أساس له من الصحة. الآن، بدأ يتحقق وساعة موته اقتربت. مر شريط حياته كفيلم سينمائي. كلها لحظات من الشقاء والألم إلا ما كان مع ناتاشا وشونان. سخط على جميع السادة الظالمين والعبيد الذين هتفوا لجوفيان وهو يقتل عائلته. وحتى الفتاة التي أحبها ثم غدرت به. مدينته تذكره بمصائب عمره. لا يوجد أحد بها يستحق العناء. مكث أياما هائما على وجهه ثم قرر التمتع بكل لحظة بقيت في حياته. ركب عربته وانطلق نحو البحر وغير اتجاه مسيره المعتاد. أسلم نفسه للنوم والمركبة تسير نحو المجهول.

روما ١٩٨٦م

كانت سيارة أجرة تقف أمام الفندق استقلتها سوزي وطلبت من سائقها الذهاب إلى كنيسة سان ماركو. شغلت نفسها بتصفح كتاب معها لكنها شعرت أن السيارة تسير ببطء، ألقت نظرة من النافذة فشاهدت متحف كوريير أمامها فتعجبت وسألت السائق:

– سيدي. لقد طلبت منك الذهاب إلى كنيسة ماركو.

– نحن ذاهبان إليها.

– هذه ليست الطريق الصحيحة. أنت ابتعدت كثيرا عنها.

– نعم. هناك أزمة سير في ذلك الشارع.

عادت تقرأ كتابها لكنها غير مطمئنة لما يجري. وصلت السيارة لبناية كبيرة وفتح باب مستودع فولجت السيارة ثم أغلق الباب. توقفت السيارة ونزل السائق وفتح الباب لسوزي فوجدت امرأة تبتسم لها: تفضلي سيدتي من هنا. نزلت الدرج فوجدت قاربا في انتظارهما، وطلبت المرأة من سوزي الصعود إليه.

– إلى أين تأخذونني؟ سألت سوزي.

– لا تقلقي سيدتي. أنت في أمان!

صعدت القارب الذي انطلق بهما حتى وصلتا إلى جزيرة صغيرة جميلة جدا. نزلتا من القارب، وكانت سيارة في انتظارهما. ركبتا وسارت بهما إلى عمارة صغيرة. دخلتا المكتب فكان حارسان على بابه. أخذا منها حقيبتها وأخرجا منها العصي ووضعوها على المكتب: تفضلي سيدتي بالجلوس. قدم لها فنجان قهوة فعرفت سوزي أنها في خطر وخمنت أن هؤلاء إحدى العصابات التي تبحث عن العصي والكرة. دخل رجل المكتب ورحب بها وقال:

- حذرتك من قبل أنك تلعبين بالنار، وأن مارتينو رجل عصابات يريد الحصول على الكرة لينتقم مني.
- لماذا سيدي؟ ما رأيت منه إلا خيرا.
- قبل خمسين عاما أسس والدانا شركة سياحية. نجحت بحمد الله وكانا دائما معا في السراء والضراء. مرض والدي وبقي شهرا في الفراش. وعندما عاد للعمل، همس له أحد الموظفين أن والد مارتينو يسرقه. لم يصدقه في بداية الأمر لكنه تابع الموضوع وفتش في الأوراق وسأل أصدقاءه المتعاملين مع الشركة فوجد اختلافا كبيرا في الأرقام، كان الموظف مخلصا لوالدي. لم يخبره أنه كشف أمره لكنه طلب فسخ الشراكة فرحب بذلك. أسس كل منهما شركته الخاصة فنجحت شركة والدي وتوسعت، ونصف هذه الجزيرة أصبح ملكه، أما شركة والده فكانت متعسرة حتى كاد أن يفلس. قبل ثلاثين عاما، تخرجنا من الجامعة أنا ومارتينو. جاءني يوما يطلب مني قرضا ويقول أن والدي كان السبب في فصل الشراكة وأنه قصد أن تخسر شركة والده.

رفضت إقراضه وأخبرته أن والدي كشف سرقة والده للشركة. أنكر ذلك فقدمت له الوثائق التي تؤكد السرقة فضحك وقال: عزيزي. والدك كان نائما في بيته عندما مرض ووالدي كان يعمل باجتهاد فهذه ليست سرقة. لكنني سأحاربك بكل قوة. وفي أحد الأيام، أرسل رسالة يتوعدني أنه حصل على إحدى العصي وسيستخدمها لتدمير جزيرتي لأعود إلى الصفر.

- حكاية غريبة سيدي. لكن ما علاقتي أنا بكل هذا؟
- لا تساعديه في الحصول على العصي والكرة.
- وقعت معه عقدا أنا وزملائي. لكنني سأساعدك بطريقة أخرى. الكرة لا تعمل إلا بوجود العصي الأربعة. لتبقى هذه العصا عندك وهكذا نحصل على المال ومارتينو لا يستطيع فعل شيء بدونها وتكون أنت في أمان.
- كلام جميل. اتفقنا.

كانت العصا مقلدة.

أمر السيد الفتاة بإعادة سوزي إلى حيث تريد فطلبت العودة لبيت أنطونيو. اتصلت بالبروفسير وطلبت منه إرسال عصا مقلدة وأخبرته أن العصا كسرت. انتظرت وصول العصا المقلدة ثم ذهبت للكنيسة.

كان راعي الكنيسة يشرح لسوزي لوحات في غاية الجمال وتماثيل مختلفة الأحجام والأشكال حتى وصل للعصا.

– ما حكاية هذه العصا، سيدي؟

– هذه من إرث ديكيوس؟

– الكلام تحتها بلغة لاتينية قديمة. هل تفسر لي ما يعني؟

– حسب ما كتبه حفيد ديكيوس أن العصا إرث عائلي متوارث منذ مئات السنين.

– هل تسمح لي برؤيتها وتصويرها عن قرب؟

وضع راعي الكنيسة العصا على الطاولة وأخذت سوزي تقلبها بين يديها تتحين الفرصة المناسبة لتبديلها، ثم التقطت عدة صور وكتبت في دفتر مذكراتها عنها أمام راعي الكنيسة لتعطيه انطباعا بصدقها. سألته:

– هل عائلة ديكيوس من البندقية؟

– لا سيدتي. جاءوا من مدينة كريمونا، قبل مئات السنين.

رن هاتف راعي الكنيسة، استأذنها وراح يرد على الهاتف، استغلت انشغاله وبدلت العصا، ثم أنهت النقاش معه وشكرته وغادرت.

أوصل أنطونيو رفاقه إلى المطار فغادر سام لأمريكا وسوزي لروما واتصلت بالبروفسير وأخبرته بحصولها على العصا الأخيرة وطلبت اجتماعا في بيت روبرتو بعيدا عن أعين الناس.

كانت فرحة الجميع كبيرة بنجاحهم في الحصول على العصي الأربعة. فتح داني العصا وأخرج منها ورقة وعندما قرأها البروفسير، ضحك وقال:

– انتهت الحلقة يا سادة. هذه الورقة تخبرنا أن العصا الأولى في بيت روبرتو.

اتصل البروفسير بمارتينو وأخبره بحصوله على العصا الرابعة وطلب منه تأمين باقي المال ولقاءهم في الفندق الذي تقيم فيه سوزي. استلم العصي منتصرا وسلمهم شيكا بالمال ودعاهم لحفلة كبيرة على متن يخته الضخم بعد يومين ابتهاجا بتحقيق هدفه في الحياة. طلبت سوزي من مارتينو كتبا حول العصي الأربعة لقراءتها ثم إعادتها له.

قسم البروفسير المال على الجميع، وأقام لهم حفلة شواء في منزله دعا لها عددا من الرفاق. عكفت سوزي على قراءة كتاب أنطونيو والكتب التي أرسلها لها مارتينو ووجدت فيها الكثير من المعلومات التي تخدم كتابة روايتها الجديدة.

مدينة سورينتو ٥٩م

أفاق روجر ووجد العربة على اليابسة وظهرت له ملامح بنايات عن بعد وعرف أنها مدينة سورينتو. في طرف البلدة، أخفى العربة وسار نحو السوق التي سبق له أن زارها برفقة ناتاشا. هي مدينة كبيرة تشبه بلدته تماما فيها السادة والظلم والعبيد. دخل مطعما وتناول طعامه وشرابه ثم سار في السوق فوجد امرأة مع مربيتها وهي تحمل عليها مالا تطيق فتذكر بارني وجيري. نظرت الفتاة لروجر نظرة استعطاف والعرق يتصبب منها وسيدتها تسمعها من الكلام أقبحه فحزن من أجلها، ورق لها قلبه فحمل لها أغراضها وسار معها لمنزل سيدتها دون أن يراه أحد. هناك جلس في مطبخها وقال لها:

– أنا هنا. لكن لا أريد أن تراني سيدتك.

أخذت الفتاة ترتب الأغراض وتقطع البصل وتعد طعام الغداء، والسيدة تقسو عليها. قال روجر للسيدة:

– ارحمي ضعفها ولا تحمليها مالا تطيق يا امرأة!

نظرت السيدة حولها فلم تجد شيئا فخيل إليها أنها تتوهم ولاحظت من الخادمة ابتسامة أغاضت السيدة فنهرتها.

– أحذرك من إهانة خادمتك .

فحملقت حولها ودارت حول نفسها وشكت أن الفتاة ملعونة. كانت الفتاة تبتسم وهي تشعر بأنفاس روجر القريب منها. حضر زوج السيدة والطعام لم يجهز بعد. غضبت على الخادمة فلطمت وجهها فوقعت على الأرض. اقتص منها روجر بسحبها من شعرها وهي تصيح فسمع سيد البيت زوجته تصرخ فوجدها على الأرض وقد نزفت دما من فمها فظن أن الخادمة ضربتها فأراد أن يعاقبها فلم يستطع وكأن أحد يقبض على يده. قالت الزوجة:

– إن هذه الفتاة ملعونة. إذ منذ رجعنا من السوق وأنا أسمع كلام رجل يهدد ويتوعد وقد سحبني من شعري وضربني بقوة على وجهي.

لم يكذب الزوج فيده ما زالت مقيدة فطردها من المنزل. خرجت مع روجر فأخذها واشترى لها ثيابا جديدة واستأجر لها منزلا وقال لها:

– استحمي وبدلي ثيابك.

سألها عن الحاكم فقالت: رجل ظالم لا يرحم.

قال لها: أمكثي هنا حتى عودتي.

قالت: سيدي. أنت رجل فاضل في مدينة البؤس هذه، وإني أناشدك الله أن تشفق على صديقتي!

– من تكون صديقتك؟

– تعمل خادمة عند أحد السادة الذي لم يرحم ضعفها.

– إذا. اذهبي ولتأتي معك. أما أنا فعندي عمل أقوم به الآن.

رجع إلى السوق وكان الوقت عصرا والجو لطيفا فرأى فتاة رشيقة تحنو على الفقراء وتعطف على النساء وتقبل الصغار ومعها فتاة كظلها لا تفارقها أبدا. كانت تلبس أجمل الثياب وشعرها الأشقر كالشلال على ظهرها لكنه أصيب بخيبة أمل عندما عرف أنها ابنة الحاكم. خاب ظنه وتغير حاله. عندما سمع العامة يدعون لها بخير ويحيونها بابتسامة، تعجب لأمرها، إذ شاهد حراس والدها يراقبونها من بعيد. سأل أحدهم عنها فقال:

– هذه الأميرة لطيفة وحنونة وتحب الفقراء وتعطف على المساكين ولا تقبل أن تمشي مع الحراس فتراهم يراقبونها من بعيد. هي تختلف مع والدها كثيرا بسبب ظلمه وجبروته.

كان المقهى الذي يجلس فيه يعج بالناس الفقراء.

– هذه صفات نبيلة قلما تجدها عند علية القوم. كلامكم عنها أوقع حبها في قلبي، وأنا عازم على الذهاب للقصر هذه الليلة لطلب يدها والزواج منها.

– هل جننت؟ أتريد حقًّا أن تموت؟

– لماذا أموت يا أخي؟

– الحاكم لا يزوجها إلا لأمير أو لسيد .

– سأطلبها للزواج الليلة وأنتم مدعوون للحفل. تذكروا ذلك.

وغادر المقهى يتبعها. لاحظ الحراس اهتمامه بها وهو يتقدم منها ويلقي التحية باحترام. ابتعدت مع مربيتها.

تأملته جيدا فهو يختلف عن البقية الذين تمر بهم دائما. ملابسه الأنيقة، بنيته القوية، ملامحه المختلفة وتواضعه. كل شيء فيه مختلف. لكنها واصلت السير وأنهت جولتها وعادت إلى عربتها التي تنتظرها خارج السوق. كان روجر بجوارها دون أن تشعر به وسمعها تقول لمربيتها:

– هذا الرجل غريب أمره. لعله من السادة والأعيان.

تبسم لمدحها له لكنه ما لبث أن تغير لونه عندما سمعها تقول من الأعيان والسادة الذين يمقتهم. تبسم ثانية لأنه عرف أنها تكره الظلم والمتعجرفين وكلهم كذلك، وتذكر أنه ليس منهم ويشاركها رأيها أيضا. وصلت العربة القصر وفتح الحراس الأبواب وولجت العربة ونزلت الأميرة منها. ولجت باب القصر وحيت والديها وصعدت إلى غرفتها وألقت بجسدها المتعب على السرير ثم تناولت طعامها وبدلت ملابسها ونزلت إلى مكانها المفضل في الحديقة الخلفية للقصر بورودها الجميلة ونباتاتها الغناء. جلست على مقعد حجري وأمامه تماثيل بديعة وجلست مربيتها بجانبها. همس في أذنها:

– اصرفي الخادمة. أريد التحدث إليك.

جالت بنظرها فلم تر شيئا. ونظرت لمربيتها علها سمعت ما سمعت لكنها كانت في عالم آخر، وسمعت الصوت مرة أخرى

فطلبت من الخادمة جلب الماء لها فغادرت على عجل. وبعدما اختفت الخادمة عن الأنظار، ظهر بجانبها فعرفته ثم اختفي من جديد وقال:

– لا أريد أن يراني أحدا قربك فابعدي الخادمة لئلا تسمع حديثنا. سيدتي الأميرة. أعجبني تواضعك ومساعدتك للفقراء والمساكين، ولما عرفت أنك ابنة الحاكم غيرت رأيي فيك لكن الناس مدحوك كثيرا وقالوا إنك ضد سياسة والدك العجفاء والمهينة للشعب فزاد إعجابي بك.

– شكرا لك سيدي. هلا عرفتني على نفسك أولا؟

– روجر غوردن.

– هل أنت من السماء أم من الجان؟ فما تفعله ليس من عمل البشر!

– سيدتي. أنا من مدينة بومبي. لكنني أملك مالا يملكه والدك الحاكم ولا حتى الإمبراطور.

– كيف ذلك؟ هلا فسرت لي؟ لأني لا أؤمن بالخرافات والأساطير.

– إنه علم خاص لا يملكه إلا قلة في العالم وأنا أملك قصرا كبيرا وجزيرة جميلة.

– هذا رائع سيدي. وكيف وصلت إلينا؟

– عندي عربة مدهشة تسير في البر والبحر بسرعة كبيرة.

– ما جاء بك إلينا، سيدي؟

– إنها قصة طويلة لكنني أبحث عن الحب. أبحث عن السعادة.

– كأنك تخطبني سيدي!

– يشرفني ذلك. أنت أميرة هنا وسأجعلك ملكة في قصري.

– هل تقدر على شروطي ؟ فوالدي لن يقبل أن يزوجني لك لأن الإمبراطور سمع عن جمالي وأخلاقي وطلبني لابن أخته. سيأتي غدا للتعرف علي والجلوس معي والتحدث في أمر الزواج.

– إن كان هذا ما تريدينه فلك الخيار. ما يهمني سعادتك أيتها الأميرة.

– أنا لا أحب السادة أبدا فحياتهم كلها مجاملات كاذبة وكبر وتعجرف ومقيدة بتقاليد أكرهها. أحب البساطة والحرية فسعادتي تكمن فيها.

– وماذا ستفعلين إذا طلبك قريب الإمبراطور؟

– سأرفض بالطبع!

– هل يقبل والدك ذلك؟

– لا. سيحاول إقناعي وإن رفضت سيرغمني على الزواج منه؛ فمصالحه فوق كل اعتبار.

– سأكون هنا إلى جانبك. لن أسمح لأحد أن يسلبك سعادتك.

– حقًّا ما تقول؟ حتى الإمبراطور؟

– أجل أيتها الأميرة. أنا رهن إشارتك.

– شكرا لك. أنتظرك غدا فموكب الأمير سيكون هنا بعد الظهر على الأرجح.

عاد روجر لفتاته. وجدها أحضرت صديقتها وهما في غاية الوداعة والشقاء الذي حل بهما منذ أن تفتحت أعينهما على الحياة. تناولوا طعاما أحضره روجر من المطعم ونام الجميع تلك الليلة بهناء ولأول مرة في حياتهما تشعر الفتاتان بإنسانيتهما وتنامان على أسرة وفراش وفير.

انتشرت الشرطة والجيش في كل مكان ومنع الناس من الاقتراب من القصر والشوارع المحيطة به. كان الحاكم وزوجته وابنته في مقدمة المستقبلين بساحة القصر. وكانت الأميرة تتلألأ كجوهرة تحت أشعة الشمس. وصل الموكب وترجل الأمير من العربة يختال كالطاووس فحيا الحاكم ومن معه وتأمل الأميرة فحيته ودخل الجميع قاعة القصر. كانت ثمة مأدبة ضخمة بانتظارهم فأكل الحضور وشربوا ثم انفرد الحاكم بالضيف ومن معه في مكان خاص. لكن الأميرة رأت في الضيف سذاجة وأنه غير مثقف بما يليق بها لأنه انصرف للهو والمتعة. كان الحاكم وزوجته مبتهجين ومسرورين بهذا النسب وأنهما سيكونان مقربين من الإمبراطور، لكن الأميرة رفضت وأصر الوالد على إتمام الزفاف. همس روجر للأميرة بأن يلتقيا في غرفتها. أخبرها أنه سيتقدم لخطبتها الليلة لكنها رأت أن الأمر لن ينجح في وجود الأمير فقال:

– إذا سأخلصك منه الليلة.

أخذ روجر يمسك بأذن الأمير تارة وبأنفه تارة أخرى فيرد الأمير بيديه حتى اعتقد من حوله أنه غير سوي. ولاحت على شفتي الأميرة ابتسامة لكن الأمير استأذن للنوم وذهب لجناح خاص به. وهناك لم يهدأ له بال حيث أن روجر يتلاعب به، فشك الأمير أن قصر الحاكم مسكون. فلم يستطع النوم أو الجلوس فأمر بالرحيل وعاد من حيث أتى. فرحت الأميرة وغضب الحاكم ولزمت الأم الصمت.

في الصباح، أخبرت الأميرة والدها أن هناك خاطبا سيأتي الليلة لطلب يدها. نظر الحاكم لابنته بتعجب، وتساءل في نفسه، عن سر التوقيت الذي رافق مغادرة ابن أخت الإمبراطور، وكيف تعرفه وتتواصل معه دون علمه، سأل زوجته عنه الأمر فأنكرت معرفتها بالموضوع، قال لابنته: هل أعرفه و هل هو من أبناء الأعيان والسادة الأغنياء؟ أجابت: عندما يحضر تتعرف عليه. بقي يفكر في أمر العريس القادم واهتمام ابنته به لدرجة أنها تعلن صراحة موافقتها عليه، في المساء وصلت عربة روجر يقودها حصانان أبيضان فدهش الحاكم من جمالها وروعة العربة وأناقة روجر ووسامته فحياه واستقبله بفرح عارم، وكانت معه الهدايا الثمينة التي أدهشت الحاكم كثيرا وزوجته. جلسا والأميرة مع روجر ليتعرفوا عليه وتحدثوا في أمور تهم الأميرة ثم انتقلوا لقاعة الطعام ووافق على الزواج وإقامة حفل كبير في القصر بعد أسبوع. تعهد روجر بكل ما يلزم وغادر القصر. وجه الحاكم دعوات للكثير من رجالات المدينة وأمضى روجر تلك الأيام بعيدا عن القصر وأصاب الحاكم ارتباك وقلق لعدم إنهاء ترتيبات الزواج، واعتقد

أن روجر يتلاعب به ليحرجه أمام الناس لكن الأميرة كانت مطمئنة وتهدئ من روع والديها. وفي مساء اليوم الأخير، حضر روجر وحيدا واستقبله الحاكم سائلا بغضب:

– أين كنت بحق السماء؟ غدا الحفل ولم تفعل شيئا!

– اطمئن سيدي. كنت أجهز للحفل وسيكون كل شيء كما تريد.

– كيف أهدأ وتجهيز الساحة الرئيسية بحاجة لأيام. وترتيب الطعام والشراب والورود لن يتم بين ليلة وضحاها.

– أؤكد لك سيدي أن كل شيء أخذ بالحسبان. لن أخذلك.

– هل لكم من طلبات محددة حتى تؤخذ بعين الاعتبار سيدي؟

أخذ الحاكم يفند لروجر ما عليه فعله من ترتيبات وطعام، وأخبره أن رجالات البلدة سيحضرون الحفل وأراد منه أن يكون على قدر المسئولية.

غادر روجر وبقي الحاكم مضطربا يفكر في روجر إذا ما كان صادقا أم غبيا.

كان ينظر للساحة بين الفينة والأخرى ينتظر حدثا ما أو معجزة من السماء، لكن لا شيء على الإطلاق فنام مهموما ومغموما.

قبل شروق الشمس بساعة، أفاقت الخادمة وأسرعت للأميرة ناتالا مبهورة كأن السماء سقطت على الأرض ونهضت الأميرة فزعة على صراخها وكانت تشير للساحة. أطلت الأميرة فرقص قلبها فرحا وأسرعت لغرفة والديها ترقص وتدندن سعيدة فقام الحاكم

وجلا، ورأى السعادة على وجه الأميرة فانفرجت أساريره وركض نحو النافذة فرأى سحرا. الساحة مزينة بأنوار مختلفة الألوان والأشكال والورود والكراسي والطاولات والستائر والمظلات فبهت ولم يجد ما يقول.

– أرأيت والدي أن السيد روجر صادق وقادر على فعل كل ما تريد منه!

– متى فعل كل ذلك بحق السماء؟! ونحن لم نخلد للنوم إلا في ساعة متأخرة من الليل؟

– إنه روجر أبتي. وعدني بالسعادة وسيتوجني ملكة في قصره حتى أنه اتفق مع فتاتين لتكونان في خدمتي في قصره.

بدأ المدعوون بالوصول وامتلأت الساحة والكل معجب بما يشاهد من خيال خلاق. الحاكم قلق على تأخر روجر والطعام. لا دليل على وجوده، لكن ما رآه في الصباح جعله أكثر هدوءًا من الأمس. وصلت عربة روجر ونزل منها كأمير وبجانبه الفتاتان كالحوريات واستقبله الحاكم بسرور. همس في أذنه:

– أين الطعام والشراب؟

– لا تقلق سيدي. انظر للخلف ستجد كوخا يعد فيه الشراب والطعام ففغر فاه ولم يكن قد رآه قبل ساعة من الآن. صعدت الفتاتان للأميرة لتجهيزها وبدأ الحفل بموسيقى ساحرة لا أحد يعرف مصدرها كأنها تأتي من السماء. ما هي إلا لحظات حتى ظهرت فتيات كملائكة الرحمة – الممرضات – أو الراهبات في

ثيابهن البيض وهن يقدمن الطعام على المدعوين. طعام لم يسبق لهم أن تذوقوه من قبل. أراد الحاكم أن يعرف سر روجر وهؤلاء الفتيات والطعام فأرسل أحد مساعديه الذي ذهب لمكان إعداد الطعام فوجد طباخين وقدورا راسيات وسدور عليها ما تشتهي الأنفس وفتيات لا حصر لهن يخرجن من الخيمة ولم يعرف لذلك سرًّا وعاد كمن يفسر الماء بالماء.

نزلت الأميرة تتقدم الفتاتين وخلفها والدتها في موكب مهيب وحولها فتيات راقصات أذهلن الحضور. وقف الحاكم وأخبر المدعوين بزواج ابنته الأميرة من السيد روجر فكان الحضور بين مؤيد ومعارض؛ فلا أحد يعرف عن العريس شيئا والكثير منهم كان يتحين الفرصة المناسبة لطلب يدها والجميع في هرج ومرج. ما كاد يسمع أحد الحضور باسم روجر حتى وقع أرضا يتمتم بكلام غير مفهوم فساعده صديقه بالجلوس قائلا:

– يبدو أنك أسرفت في الشراب، صديقي العزيز.

– لا. سيدي. أنا أعرف العريس جيدا.

– ماذا تقول؟ أتعرفه جيدا؟

– نعم. إنه من مدينتنا. لكنه مات منذ سنوات.

– أتهذي يا عزيزي! ألا تراه أمامك كالأمير!

همس في أذنه: هذا جني روجر. روجر مات كما قلت لك. كنت شاهدا على قتله.

وأخذ يقص عليه حكايته. ثم قال له :

– أرجوك. إن كنت تحب الأميرة حقًّا فأخبر الحاكم بأمره.

– لا أستطيع. كلامك لا يصدقه أحد.

– إذا. خذني للحاكم وعرفه بي وأنا سأتولى الموضوع.

– لك ذلك. هيا بنا.

همس الرجل في أذن الحاكم فتبعه إلى مكان قريب وعرفه بموري وأخبره بقصة روجر. لم يكذب الحاكم ما سمع فما شاهده من عجائب لا أحد من البشر يصدقها. أخفى الحاكم الخبر عن الجميع وطلب من الحرس إخفاء الكاهن لئلا يتم عقد القران. عرف روجر بخبر موري وشاهده مع الحاكم لكنه لم يهتم بأمره وانتهى الحفل وتفرق كل إلى منزله واختفت كل مظاهر الاحتفال.

– سيد روجر. بما أنك ستكون زوج ابنتي، أرجو أن تخبرنا بما يجري!

ابتسم روجر وقال: سيدي لم أكذب عليكم. أنا من عامة الشعب من مدينة بومبي. لكنني أكره السادة والظلمة وأعيش في جزيرتي و يشرفني أن تزورنا قريبا.

– لكني سمعت أمرا آخر.

ضحك روجر وقال: رأيتك سيدي مع موري وهو تاجر من بلدتنا وأعتقد أنه أخبرك أنني ميت وأنني جني. لكن أؤكد لك أنني حي وأجلس معكم.

– أثبت ذلك، سيد روجر!

– ماذا تريد مني سيدي؟ أنا رهن أمرك.

– سأدعو الكاهن ليتعرف عليك فإن كنت من الأنس سأبارك هذا الزواج وإلا أمرت الكاهن بحرقك فقد سبق أن فعل ذلك.

– أنا في شوق للقاء الكاهن، سيدي.

أرسل الحاكم في طلب الكاهن وأخذ يتلو عليه من الكتاب المقدس ويرش عليه من الماء المقدس وروجر صامت يبتسم فهمس الكاهن في أذن الحاكم فقال له: لك ذلك.

قال الكاهن: سيد روجر. لقد نسيت قلادتي الكهنوتية في الكنسية، أرجوك أحضرها في الحال.

فضحك روجر وقال: سيدي الكاهن. قلادتك في عنقك تحت ملابسك.

انتفض الكاهن وقال: إنه ملعون. اقتلوه!

أمر الحاكم الحرس بقتله لكن روجر اختفى من أمامهم. قال الكاهن:

– سيدي. رأيت حلما قبل أن يوقظني خادمي أن المدينة تحترق وأن الناس هربوا إلى البحر. أرجوك احترس وشدد الحراسة على القصر وعلى الكنيسة بيت الرب.

غادر الكاهن القصر وما كاد يدخل الكنيسة حتى رأى روجر في انتظاره.

– لما تكذب أيها الكاهن؟

– أنت ملعون ولست من البشر.

– اسمعني جيدا. سأعود للقصر وسأحضر الأميرة لتبارك زواجي منها. قم بالتجهيزات اللازمة أيها الكاهن حتى عودتي.

عاد روجر للقصر وفوجئ الحاكم به فارتعدت فرائصه وصاح بالحرس فوجدهم مكبلين بالحديد.

– سيدي الحاكم. أنا لم أخفِ حقيقتي عنكم وليكن الخيار للأميرة. إن رفضت فسأخرج حالا ولن أعود لمدينتكم أبدا، وإن وافقت سنخرج معًا. وللعلم فإن جزيرتي تقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام من الشاطئ نحو الشرق. تشرفني زيارتكم.

كان الجميع يرقب الأميرة وقرارها وأحس الحاكم بالنصر وأن ابنته لن تخذله أبدا.

– سأذهب معك روجر. قالت الأميرة.

كأن سيفا هوى على الحاكم فصرخ:

– أنت تذهبين معه إلى التهلكة.

– لقد عقدت اتفاقا معه. إذا لم أجد مبتغاي فسأرجع إلى هنا.

– بعد أن تفقدي كرامتك وعذريتك؟

– لن يمسني روجر قبل أن أقرر البقاء معه أو الرحيل، سيدي الحاكم.

– لن أسمح لكما بمغادرة القصر.

– سيدي. نحن سنغادر الآن وسنذهب للكنيسة ليبارك الكاهن زواجنا.

أمسك روجر بيد ناتالا واختفيا عن الأنظار. وهاج الحاكم غاضبا وكأن القصر في حالة طوارئ وذهب مع الحراس للكنسية فلم يستطع دخولها حتى غادر روجر والفتيات الثلاثة. انقض الحاكم على الكاهن يأخذ بلحيته ورأسه وهو يجره إليه.

– ماذا فعلت أيها الكاهن؟

– أرغمني روجر، سيدي.

– إذا. باركت زواجهما ؟

– نعم سيدي.

– عليك اللعنة. لماذا فعلت ذلك؟

– كاد يقتلني سيدي. الأمر ليس بيدي.

أمر الجند بالبحث عنهما في المدينة. أما الأميرة ناتالا فكانت متوترة تخشى أن يقبض عليهما الجند وهم منتشرون في كل مكان حتى خرجت العربة من المدينة وتوجهت نحو الشاطئ ثم تحولت لقارب جميل والفتيات منبهرات مما يجري حتى وصلوا القلعة.

– آيتها الآنسات الجميلات. هنا حرية مطلقة. تفعلن ما يحلو لكن. لا يوجد أحد هنا غيرنا. الشاطئ قريب والجزيرة كبيرة.

ولجـوا القلعـة وروجـر يـشرح لهـن كل شيء إلى أن وصلـوا قاعـة الطعـام.

– الطعام موجود هنا دائما. من تشعر بالجوع لا تنتظر أحد.

ثم عرفت كل واحدة غرفتها.

أمـر الحاكـم بتجهيـز جيـش واللحـاق بروجـر إلى الجزيـرة في ثـلاث سـفن تحمـل مئـة رجـل مـن خـيرة الفرسـان والرمـاة. كان الرجـال فرحـين يغنـون كأنهـم في رحلـة صيـد فالعـدو رجـل واحـد خطـف الأمـيرة. وجـدت الأمـيرة في الجزيـرة مبتغاهـا وكانـت الفتاتـان في خدمتهـا بالرغـم أنهـا قالـت نحـن هنـا أخـوات نعيـش بحريـة وسـلام. تزوجـت الأمـيرة مـن روجـر ووافقـت عـلى العيـش في الجزيـرة. علـم روجـر بجيـش الحاكـم وأخـبر الأمـيرة بأمرهـم فطلبـت مقابلتهـم في البحـر قبـل وصولهـم إلى القلعـة. أرسـلت لهـم رسـالة تطلـب منهـم القـدوم كضيـوف أو العـودة للمدينـة. رفـض الجنـد إلا القتـال، كانـت السـهام الملتهبـة تسـقط بكثافـة حـول سـفنهم، اعتقـدوا أن روجـر يملـك جيشـا فأشـار أحدهـم بالرجـوع لكـن القائـد أصر عـلى المعركـة حتـى النهايـة. استسـلم القائـد أخـيرا كتبـت الأمـيرة للحاكـم رسـالة قالـت إنهـا تعيـش بسـعادة، وأخبرتـه أن لا يقلـق عليهـا وأنهـا سـتقوم بزيارتهـم قريبـا. عـاد الجيـش للحاكـم.

– ما وراءك أيها الضابط؟

– سـيدي. إنـه أمـر لا يصـدق كأننـا نقاتـل جيشـا. السـهام كالأمطـار تتسـاقط علينـا. طلـب منـا إمـا أن نكـون ضيوفـا أعـزاء أو نعـود من

حيث جئنا فرفضت وطلبت منه تسليم الأميرة والاستسلام لكنه رفض. قاتلناه، كانت سهامنا لا تصل إليهم وسهامهم تنزل حولنا كأنه يحذرنا لنعود، وعندما تقدمنا كانت النيران تتساقط علينا من كل حدب وصوب لكنها كانت تقع حولنا فعرفنا أنه لا يريد قتلنا فاستسلمنا له وسلمنا رسالة الأميرة. واعلم سيدي أن لا قبل لنا بجيشه.

قرأ الحاكم الرسالة وعرف خط ابنته وختمها. تعجب أشد العجب مما يجري وتقبل الأمر بذل.

حملت الأميرة وفرح روجر. سيكون له ابن وذكرا يخلده. كان الجميع يعيش بمرح وفرح وسعادة، والوقت يمضي مسرعا دون حساب، كانت الفتاتان تمرحان على الشاطيء والأميرة مسترخية تحت ظل الأشجار بعد أن كبر بطنها وقلت حركتها، طلبت الأميرة شرابا تأمل روجر الفتاتين والسعادة تنطق على وجوههن، فقرر الصعود للقلعة وإحضار الشراب للجميع، عندما وصل باب غرفة الطعام توقف فجأة وخالجه شعور رهيب، ألقى نظرة نحو باب غرفته ثم دخلها عابس الوجه فتح خزانته الخاصة فوجد زجاجة إكسير الحياة مكانها، تنهد وجلس على الأرض ثم تناولها وتأملها جيدا ثم صرخ صوتا مزلزلا فهرعت الأميرة والفتاتان مسرعات، كانت الزجاجة مملوءة بالماء، عرف حينها أن ناتاشا أخذت إكسير الحياة بذكاء، تحلقت الفتيات حوله والأميرة تحتضنه بحنان.

تجمد فرحه وغم عليه وعلم أن نهايته قاب قوسين أو أدنى. - يا لها من فتاة ذكية عرفت كيف تخدعني - كان يتمتم:

إذا ستعود قريبا وستنتقم مني، فحار في أمره وتغير حاله وفكر في أمر ابنه الذي شارف على القدوم وفي فتياته اللواتي عشقن الحياة فقرر اصطحاب الأميرة والفتاتان لزيارة والدها الحاكم. سرت الأميرة وفرحت الفتاتان فأخذ الهدايا الغالية الثمن وانطلق الجميع في رحلة. لم تعلم الأميرة أنها لن تعود للقلعة من جديد. وفوجئ الحاكم بالزيارة لكنه سر بها ورحب بهم وأكرم وفادتهم وبذل روجر جهدا كبيرا حتى لا يعلم أحد بأمره ويترك السعادة تخيم على الأميرة في قصرها. بعد أيام أخبر روجر الحاكم بما سيؤول إليه أمره ولم يخفِ عنه شيئا. أخبره أنه سيعود للجزيرة وحيدا وأوصاه بابنه. حزن الحاكم لأمره وعرف أنه رجل نبيل وصادق وأخفى حزنه بابتسامة توحي بالسعادة عندما علم أن ابنته ستبقى في رعايته وأنها ربما ستلد غلاما يرث حكمه. ودع روجر الجميع بعد أن أخبر الأميرة أنه ذاهب لزيارة مدينته ليطمئن على أصدقائه الذين كانوا خير عون له. عاد للقلعة وحيدا يائسا. تذكر ماضيه وسيطر الأسى عليه وأسلم نفسه وروحه للقدر.

روما ١٩٨٦

في بهو الفندق كان مارتينو منتشيا تماما وهو يتسلم العصي الأربعة من البروفسور. دعا عددا كبيرا لمرافقته في رحلة بحرية ابتهاجا بالنصر المبين. وضع العصي في خزانته المحكمة التي لا تفتح إلا ببصمة إصبعه وعينه معا لكنه إثناء الاستعداد للرحلة والجميع في هرج ومرج كان يخفي أمرا جللا عن الجميع. استقلوا حافلة خاصة وتوجهوا إلى البحر وركبوا اليخت الذي أثار إعجاب سوزي لفخامته واتساعه. انطلق اليخت يشق عباب البحر في جو من المتعة والمرح؛ والخدم يطوفون عليهم بما لذ وطاب من شراب وفاكهة. طلب مارتينو من الجميع التجمع على سطح اليخت واحتاط للأمر حيث طلب من الحراس الوقوف في أماكن محددة لمراقبة الجميع تحسبا من ردة فعلهم. أخبرهم أن هناك مفاجأة لم يتوقعها أحد. ظن الكثير منهم أنه سيقدم لهم شيئا ذا قيمة بمناسبة حصوله على العصي الأربعة وتحقيق حلم طالما سعى إليه. أحضر خادمه صندوقا والجميع يراقبه باهتمام كبير. في وسط البحر وعلى سطح القارب الضخم، الكل مهتم بما في الصندوق يراقبه بعيني صقر. يتكهن البعض أنه سيوزع عليهم هدايا ثمينة من ساعات أو هواتف أو أوسمة ما. عندما فتح الصندوق وأخرج العصي منه،

بهت البروفسير وفريقه. - ما عساه يفعل بها ولماذا أحضرها معه- يتمتم الفريق. سأله البروفسور عن نيته فضحك مارتينو وأمسك بالعصي الواحدة بعد الأخرى يركبها فاستشاط البروفسير غضبا: تريد أن تقتلنا يا رجل؟

قهقه مارتينو: سيدي البروفسير انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر لسنوات طويلة . أنفقت الكثير من المال للحصول على الكرة الذهبية. هل تعتقد بروفسور أن كل ذلك من أجل وضع عصي خشبية في قصري! ما الجدوى من ذلك بالله عليك؟

- مارتينو. أنت لا تفهم! لن تحصل على الكرة الذهبية بهذه الطريقة. أنت ستقتل الجميع. ستحدث الكرة دمارا هائلا لن تعيش أبدا لتراها سيدي.
- لكن الأسطورة تقول إن الكرة والعصي كانت معًا مع روجر وناتاشا. أليس كذلك بروفسير؟
- بلى سيدي!
- إذا. سأحصل على الكرة الآن؟
- أرجوك سيدي. ليس بهذه الطريقة. أنت تعلم بأنها مدمرة!
- إذا. لديك طريقة أخرى بروفسير؟ هلا أخبرتنا من فضلك؟
- أيها الوغد- يتمتم البروفسير- لنجلس ونتحدث مارتينو!

تنفس الجميع الصعداء. كان مارتينو مبتهجا حيث نجحت خطته بالتهديد بتركيب العصي. أمر الخدم بتقديم الشراب لتلطيف

الأجـواء. الجميـع ينتظـرون أن يتحـدث البروفسـور ويفصـح عـن خطتـه. في الواقـع فوجـئ البروفسـور تمامـا بـما أقـدم عليـه مارتينـو ولم يكـن يعلـم عـن نواياه الخبيثـة. الآن هـو في موقـف حـرج ليـس لديـه ما يقولـه، ولم يتوقـع أن يطلـب منـه مارتينـو الحصـول عـلى الكـرة الذهبيـة. الآن، علـم أن مارتينـو خدعـه وأنـه كالآخريـن يريـد الانتقـام أو بيعهـا لجهـات أخـرى. بالتأكيـد لمـن يدفـع أكثـر.

– ماذا لديك صديقي العزيز؟

– مارتينـو. لم نتفـق عـلى الكـرة مـن قبـل. أنـت تعلـم أنـك طلبـت العـصي الأربعـة وهـي بحوزتـك الآن. الكـرة تحتـاج لاتفـاق جديـد.

– طلباتك بروفسير!

الأمر يحتاج لاجتماع مع باقي الفريق سيدي.

ضحكته الصفراوية سبقت لسانه المعسول :

– إذا. اليخت تحت أمركم يا سادة. تمتعوا!

نظر لمساعده : الشراب للبروفسور وفريقه.

تقـدم مـن البرفوسـور حتـى همـس في أذنـه: لـن نعـود حتـى تتفقـوا عـلى خطـة مقنعـة وأطلـع عليهـا. هـل كلامـي واضـح؟

كان البروفسـور مكفهـرا. قلبـه يعتـصر غضبـا – يـا لـه مـن ماكـر، ويـا لي مـن مغفـل! صدقـت أنـه حريـص عـلى ألا تقـع الكـرة في يـد الأشرار لكنـه أحدهـم أو كبيرهـم. هكـذا كان يحـدث البروفسـور نفسـه ويفكـر في طريقـة للخـروج مـن المـأزق الجديـد. طلـب مـن فريقـه

التجمع في آخر مكان على ظهر اليخت خشية أن يكون مارتينو وضع أجهزة تنصت.

اليخت يجوب مياه البحر الأبيض المتوسط ومارتينو يجلس في مكتبه الخاص يراقب عبر الكاميرات اجتماع الفريق. كان هذا الأخير في حيرة كبرى والآخرون في عالم آخر يستمتعون فيما الحراس يراقبون البروفسور وفريقه كصقر يتربص بفريسته.

– يا له من ماكر. ذهب إلى آخر اليخت حتى لا أسمع ما يقولون! لكن على من تلعب أيها البروفسير؟!

وضغط على جرس فجاءه خادمه على عجل. طلب منه أن يحضر أحد الحراس على عجل. وعندما حضر الحارس قال له: قف على رأس البروفسور واسمع ما يقولون جيدا.

شك البروفسير في وجود الحارس بالقرب منه وعرف نوايا مارتينو وطلب من الفريق التحدث باللغة الإنجليزية.

– البروفسور: ماذا نفعل بهذ الحيوان؟ يريد الكرة الذهبية بأي ثمن!

– والكرة لا تظهر إلا إذا جمعت العصي الأربعة.

– وهذا يعني أن الدمار سيحل في كل مكان.

– ماذا تقترحون. هددني بعدم المغادرة إلا إذا كانت لدينا خطة للعثور على الكرة أو أنه سيركب العصي الأربعة.

صمتت سوزي وكأنها في عالم آخر. عرفت أن من أرسل لها رسالة في الفندق صادق ويعلم نوايا مارتينو الخبيثة، لكنها تبسمت وكأنها تملك مفتاح مغارة علي بابا. شعر البروفسور أنها ليست معهم فبادرها بسؤال حول رأيها في الموضوع. رأت الجميع وقد تملكهم الخوف. تبسمت وقالت: لدي خطة يا سادة!

بهت الجميع وهم يتأملون ابتسامتها الرقيقة ولا يبدو عليها الخوف مثلهم. والجميع يعلم أنها هي من عثرت على العصي الثلاث بذكائها وحصلت عليها، وأن هناك من يساعدها فاطمأنوا لها وأنصتوا لكلامها.

– هات ما عندك سيدتي. لعلنا نغادر هذا اليخت اللعين بسلام.

– هل تعلمون كيف عرفت بأمر صديقي الذي سرقنا العصا منه؟ ستعجبون بالتأكيد.

بدأت سوزي تقص عليهم حكايتها مع سام وكل ما جرى حتى التقت بهم وسط ذهول وتعجب من الآخرين.

– أعلم أنكم لا تصدقون هذه الأساطير لكنها الحقيقة. والرواية موجودة في المكتبات لمن أحب أن يقرأها.

– ما الخطة سيدتي؟ هذا ما يهمنا الآن؟

– سنقنع مارتينو أن زوجي يستطيع التواصل مع العالم الآخر وسيطلب منهم المساعدة في العثور عليها.

– هذا رائع، لكن مارتينو ليس بهذا الغباء ليصدق الحكاية.

– ليس لدينا خيار آخر.

للعلم يا سادة وصلتني قبل أيام رسالة من مجهول، تخبرني أن ألا أتعاون مع مارتينو ، ويبدو أنه ينتمي لحركة سرية تسعى جاهدة للعثور على هذا السلاح لتسلطه على رقاب العالم ولتتحكم فيه.

– نعم سمعت الكثير عن حركات مماثلة، منها فرسان الهيكل والمستنيرون، والمافيا الروسية والماسونية العالمية وغيرها.

– إذا فلتتحدثي معه سيدتي لأنه يرتاح مع السيدات ويصدقهن غالبا.

طلب البروفسور من الحارس أن يخبر مارتينو بالحضور.

– ماذا سمعت منهم؟

– لم أفهم شيئا سيدي. كانوا يتحدثون الإنجليزية.

– يا لغبائي. نسيت أن البروفسور ذكي وماكر. استطاع التغلب عليَّ. لكن الجولة القادمة ستكون لي.

وطلب من الحارس أن يلحق به ومعه أفخر الشراب.

– ماذا لديك سيدي البروفسور؟

– ستخبرك االسيدة سوزي بالخطة.

أنصت باهتمام بالغ لسوزي وحملق مارتينو مندهشا ومنتشيا بين مصدق ومكذب وهو يحاور سوزي محاولا التأكد من كلامها.

- أنتم معشر الأمريكيين مولعون بالخيال وأنا أحب مشاهدة أفلامكم. هل تعلمين أنني شاهدت فيلم مئة عام في الفضاء؟ كان رائعا حقًّا ولم أصدق ما كتب. إن أحداث هذا الفيلم حقيقية. الآن، وأنت أمامي أصبح لدي بعض اليقين حول ذلك. يا سادة! أنا أصدق السيدة سوزي. لنبدأ العمل. سنعود للعاصمة الآن.

انفرجت أسارير البروفسير، وبدا الارتياح على الجميع وتم الاتفاق على المبلغ المطلوب للحصول على الكرة.

- هلا أخبرتنا سيدتي ما العمل الآن؟ وكيف سنحصل على الكرة؟

- من قال إنا أملك عصا سحرية، كل ما في الأمر أردت فرصة للتخلص من هذا الغبي لئلا يقدم على عمل متهور. لا أخفي عليكم. الأمر يحتاج لمعجزة.

- هل أصدقاء سام مهتمون بالموضوع؟

- سنترك الأمر للأيام القادمة. سأعود لأمريكا غدا وفي حال حصلت على المساعدة سأتصل بكم بالتأكيد.

بومبي- ٧٨م

ساءت صحة الصغيرة أكتافيا ابنة بارني وخليلة جيري. كانت ترجو الخدم إطلاق سراحها فيرفضون خوفا وجبنا. حضر جيري متعبا من العمل فتناول طعامه وكلف الحارس بمهمة وأسرف في الشرب حتى ثمل فرأت الفتاة فرصة للهرب. أخذت ما تبقى من طعام وخرجت بكل هدوء وحالفها الحظ حيث أن العمال يتناولون طعامهم فلم يرها أحد. تخفت جيدا وذهبت لصديقتها فيفيان تسأل عن والديها، ولما عرفت بأمرهم نصحتها فيفيان بالهرب للغابة المجاورة لأن فيها كهفا يمكن الاختباء فيه. ولحقت بها تحمل لها فراشا وماء ووعدتها بالمساعدة. كانت في غفلة من الأهل تأخذ ما تستطيع من طعام وماء كلما سنحت لها الظروف.

عندما أفاق جيري من سكرته ولم يجد الفتاة جن وطار صوابه وتوعد من ساعدها بعقاب أليم، ثم أعلن عن حرية من يدل عليها ومنحه مكافأة كبيرة. نشط الجميع بعد العمل يبحثون عنها في كل مكان. لاحظ والد فيفيان خروج ابنته المتكرر مساء فتعجب من أمرها، وكان يعلم أنها كانت صديقة لابنة بارني فشك في أمرها و لحق بها فشاهد الفتاة تختبئ في الكهف. طمع بحريته والمكافاة فأخبر جيري بأمرها. ذهب جيري من فوره

فوجدهـا كقطـة صغـيرة ترتعـب. أمـر الخـدم بإعادتهـا إلى وكـره.

– كيف عرفت بأمرها عزيزي؟

– صدفة سيدي.

– لم أفهم. اشرح لي.

– لاحظـت ابنتـي الصغـيرة تخـرج مـن المنـزل هـذا المسـاء عـلى غـير العـادة ومعهـا بعـض الطعـام. لحقـت بهـا وعرفـت بأمرهـا فأخبرتـك عـلى الفـور.

– اذهب للبيت وأحضر ابنتك حتى نكافئها عزيزي.

غـادر الرجـل مسرعـا وقـد اقـترب مـن نيـل الحريـة والمكافـأة وحتـى ابنتـه الصغـيرة سـتحظى بجائـزة فـكان فرحـا.

– أهذه ابنتك عزيزي؟

– نعم سيدي.

– أيها الوغد الحقير. كيف تخفي عني هذا الجمال؟

– سيدي! وعدتني بالجائزة والـ ....

– هههههه... ضحك جيري بسخرية.

– مـن قـال لـك إن جـيري يلتـزم بكلمتـه؟ أنـت. (أشـار لأحـد الخـدم) خـذ الفتـاة وضعهـا في الغرفـة وهـات ابنـة بـارني. علقهـا في السـارية واجعـل رأسـها للأسـفل ليعلـم الجميـع أن مـن تسـول لـه نفسـه خيانتـي سـتكون هـذه نهايتـه. وامنعـوا عنهـا المـاء والطعـام.

– سيدي أرجوك...

– كنت سأعاقبك على فعل ابنتك. لكنني سأكتفي بها. عد للعمل أيها الوغد.

بقي جيري يتحكم في عماله وينتقم من الجميع، وبعد أيام جاءه موري على عجل غاضبا من فعلته وذكره بقتله لوالديها. ضحك جيري بملء فيه.

– أراك خائفا عزيزي. روجر مات منذ زمن. الذي جاء كان جنيه فقط. أتى لينتقم من جوفيان ويفضحه ويعيده عبدا إلى أصله.

غضب موري قال بصوت مرتفع:

– اسمه إدوارد وهو ليس عبدا.

– كيف ذلك عزيزي؟ أراك تدافع عن العبيد ما حكايتك موري؟

– لا شيء. لا شيء.

تركه غاضبا وانصرف.

كان روجر مستلقيا على الشاطئ ولمع في ذهنه حب البقاء والحياة والتمتع مع زوجته وابنه وصمم على تغيير مجرى الأمور التي تكهن بها شونان تلك اللحظة. تذكر أصدقاء إيزابيلا وقدرتهم الخارقة على فعل ما يريد. صعد للقلعة وتناول جهاز الإرسال وطلبهم فكانوا حوله.

– أمرك سيدي.

– في قاع البحر ثمة أنبوبة فضائية. أريد منكم تدميرها حالا.

– أمرك سيدي.

اختفوا جميعا وغاصوا في قاع البحر يبحثون عنها. وجدها أحدهم وفوجئ بوجود امرأة فيها. تجمعوا حولها وتعجبوا من أمرها. كانوا يعلمون أن خاطف سيدتهم إيزابيلا أحضرها معه من الكوكب. أخرجوا الأنبوبة إلى مكان بعيد عن القلعة بعيدا عن عيني روجر، حتى يكتشفوا أمرها فوجدوا جهاز التحكم غير موجود مكانه فانطلق أحدهم للقلعة يبحث عنه فوجده في غرفة المخزون فأخذه وعاد مسرعا وأخرجوا المرأة منها وعندما استنشقت الهواء استعادت وعيها.

– من أنت سيدتي؟

نظرت لهم كتائه في وسط الصحراء فأغمي عليها. حاولوا إيقاظها ففتحت عينيها من جديد كثملة وقالت: أنا ناتاشا!

نظر بعضهم لبعض: من ناتاشا؟

– كنت زوجة روجر!

– سيدنا روجر؟

– سيدكم؟

فكرت للحظة وعرفت أنهم سر قوته.

– لماذا تخدمونه؟

– لأنه قتل شونان الذي قتل سيدتنا إيزابيلا.

إذا هكذا الحكاية سيد روجر! قتلت ايزابيلا وتكذب عليهم وتخلصت مني وتعيش الآن في نعيم-

تمتمت ثم ضحكت ساخرة وأرادت أن تكشف الحقيقة علهم يقتلوه ويخدموها فتملك تلك القوة وتتحكم في السادة وتفعل ما تشاء:

– لماذا تضحكين؟

– لأنكم أغبياء. شونان كان سجينا ولا يستطيع قتل سيدتكم.

بهت الجميع وعرفوا أنهم كانوا مغفلين فعلا.

– صدقت سيدتي.

ما كادت تسمع سيدتي حتى زادتها قوة وسحرا، وأحست أنها ستكسبهم لجانبها.

– روجر هو الذي أخرج شونان من السجن وساعده ليقتل سيدتكم!

غضبوا وصاحوا صيحة عظيمة كشفت عن شخصيتهم الحقيقة المرعبة ففقدت ناتاشا وعيها خوفا وانطلقوا نحو الشاطئ وفتكوا بروجر وقتلوه ومزقوا جسده انتقاما لروح سيدتهم، وعادوا لناتاشا وأيقظوها فتململت للحظة ورأت أشخاص لطفاء مرة أخرى.

– سيدتي نحن في خدمتك؟

- أين روجر؟

- لقى جزاؤه سيدتي. قتلناه.

أخذوها إلى الشاطئ فرأته قطعا متناثرة وتذكرت طلبه بدفنه فأمرتهم ليدفنوه، ثم سلموها جهاز التحكم الذي يحضرهم عند الحاجة وعلموها كيفية استخدامه وكيفية قيادة العربة ثم غادروا. شعرت بخدر في جسمها فنزلت للبحر تسبح حتى نشطت ثم صعدت القلعة لتريح جسدها المنهك وأسلمت نفسها للنوم.

قامت من نومها منهكة متكدرة وهي لا تعلم كم من الوقت لبثت. كانت جائعة فضغطت على زر جهاز الإرسال فمثلوا بين يديها ومعهم أشهى الطعام والشراب فأكلت حتى ثملت وأخبرتهم بمهمتها وطلبت منهم المساعدة ومرافقتها إلى حيث تذهب. ركبت العربة وانطلقت مسرعة يحدوها الشوق للقاء أسرتها على أمل أنهم يعيشون في الجنة كما تركتهم. ما كادت تصل لمنزلهم حتى تجمد الدم في عروقها وهالها رؤية آثار منزلهم المحروق فخارت قواها وجلست على الأرض تبكي وتلعن روجر الذي لم يلبِ طلبها حينما رأت حلمها المزعج. واستشاطت غضبا وحقدا على جيري، وأقسمت أن تنتقم منه شر انتقام. ذهبت لصديقة لها وسألتها عما تعرفه عن أهلها فكان الجواب مدمرا فصرخت بصوت أفقدها وعيها. عرفت أن جيري قتل والديها بعد تعذيبهما واتخذ أختها الصغرى خليلة له. عندما أفاقت من كبوتها توجهت لجيري.

الشمس تتربع كبد السماء. الجو خانق والساحة خالية تماما. كان جيري يستمتع في صومعته بالطعام وبجواره الفتاة الصغيرة فيفيان.

سمع صوتا كالرعد زلزل المكان. أطل من النافذة المواجهة للساحة فلم ير شيئا. خرج يستطلع الأمر فشاهد ناتاشا تقف بكبرياء لكنها غاضبة جدا. أصابه الوجوم وارتعدت فرائصه. جال بعينيه هنا وهناك. خشي أن روجر في المنطقة فلم ير غيرها. استجمع قواه وخرج بعنجهيته المعتادة.

– فتاة جميلة! أعتقد أنني رأيتك من قبل. أخذ يفرك لحيته بين أصابعه ويهمهم.

– نعم .. نعم .. أنت زوجة روجر ذلك اللعين. بالمناسبة أين هو؟ لم نسمع عنه خبرا منذ شهور طويلة.

كان يتكلم وناتاشا صامتة تجهز لعقابه وخدمها ينتظرون الأوامر. تجمع الخدم وعمال جيري وأطلت فيفيان من النافذة فرأت ناتاشا فعرفتها واستنجدت بها تصيح. رأتها ناتاشا فظنت أنها أختها وذهبت لنجدتها. اعترضها جيري وتحلق حوله خدمه.

– إلى أين عزيزتي؟ أوه إلى غرفتي... تستحقينها... فأنت بارعة الجمال. هيا بنا.

ما كاد ينهي كلامه حتى كان الخدم يتجندلون من حوله ككرات ورق. تغير لونه وعلم أن هذا ليس منها وشك أن روجر كعادته ينتقم دون أن يراه أحد.

– يا لك من شقية! كيف فعلت ذلك؟

ما كاد ينهي كلامه وإذا به بين السماء والأرض. دخلت ناتاشا صومعته فوجدت فيفيان شبه عارية فأمرت لها بثوب ثم

خرجت بها واستجوبتها وعرفت حقيقة أختها فصاحت بجيري:

- أيها الوغد الحقير. ستندم أشد الندم. سأعاقبك حتى الموت، فسقط مكبلا على الأرض، ثم أمرت بتعليقه كما فعل بأختها وهو يتوسل ويصرخ. أمرت بإحضار موري فكان بين يديها في الحال.

سمع الناس والسادة ما حل بجيري فتملكهم الخوف وأخذ رئيس الحرس جودعان يراقب من بعيد خوفا من انتقام روجر له. امتلأت الساحة بالسادة والعبيد وجيري معلق من قدميه يصرخ ويطلب الرحمة من ناتاشا ومن السادة مساعدته ويتوسل للناس أن يخبروا رئيس الحرس بأمره لينجده وناتاشا تضحك بغضب.

- أيها القوم! جاء وقت الحساب والعقاب. قتل والدا روجر وأنتم تضحكون وتؤيدون، وقتل روجر ولا أحد وقف مع الحق ومع الضعيف. قتل هذا الحيوان والدي بدم بارد ولم يردعه أحد. اتخذ أختي الصغيرة خليلة له في وكره وعندما هربت من شدة الألم والمعاناة قتلها وتركها تموت دون رحمة أمام أعين الجميع، ثم اتخذ هذه الفتاة الصغيرة خليلة له وهي تبكي وتنتحب، ولا أحد مد لها يد العون ووالدها هنا يشاهد قرة عينه تغتصب أمام عينه ولم يجرؤ على عمل شيء مع هذا الخنزير. منتهى الألم والقسوة. أين ضمائركم؟ ألم يفكر أحدكم لو كانت هذه الصغيرة ابنته هل يقبل بذلك؟ كيف تسمحون لوغد حقير كهذا يفعل ما يشاء؟ ماذا يفعل الجند هنا أليس لحماية الناس؟

تقدمت من موري قائلة: أنت كنت كفيلا لهذا الحيوان. كيف تتركه يفعل بعائلتي ما يشاء؟

– سيدتي ..

– اخرس ولا تتكلم! لم أكمل حديثي بعد. أريد من الجميع إيصال رسالتي للحاكم ورئيس الحرس. سأنتقم من الجميع بلا استثناء الكبير والصغير، السيد والعبد، المرأة والرجل سيعاقب الجميع على فعلتهم وعدم الوقوف مع الحق. موري، أنت خنت العهد ولم تكن أهلا للثقة.

– سيدتي. لم أعلم بما جرى إلا بعد فوات الأوان. أقسم على ذلك!

– لكنك عرفت أنه يضاجع صغيرتي ولم تهتم للأمر!

– لم يبق لأختك أحد وقلت إنه سيتعهدها بدلا من أن تضيع.

– كاذب. أنت كاذب. (ردت عليه بغضب). كلكم تعلمون أمرها ولم تحركوا ساكنا أيها الأغبياء. قسما بالسماء لن ينجوا أحد منكم. سأعاقبكم جميعا و سأحيل هذه البلدة إلى حطام.

توجهت نحو جيري تحمل سكينا: جيري. كيف قتلت والدي وأختي أهكذا؟ وهي تلوح بالسكين أمام عينيه.

– سيدتي. ارحمي كبر سني. سأعطيك كل ما تريدين. فقط اغفري زلتي! أمسكت يده اليمنى وقطعت إصبعا منها وأخذ يصيح. حاول السادة إنقاذه لكنهم فوجئوا بحاجز يصدهم دون أن يروه. كان الخوف سيد الموقف حتى بدأ الناس يهربون

واحـدا تلـو الآخـر، ثـم أمسـكت يـده اليـسرى وقطعـت إصبعـا آخـر وفقـد جـيري وعيـه والـدم ينـزف منـه وتفـرق الجميـع مـن حولـه إلا خدمـه وعبيـده.

– أنت!

أشـارت لوالـد الفتـاة وقالـت لـه: خـذ ابنتـك. أنـت الآن المسـئول عـن تجارتـه وزعهـا عـلى الفقـراء وانتبـه لنفسـك.

قبـل يدهـا وضـم ابنتـه وهـو يبكـي. طعنـت جـيري في قلبـه واختفت بعـد أن أيقنـت أنـه مـات وانتهـى أمـره. مضـت ناتاشـا في جولـة في البلـدة متخفيـة تراقـب مـا يجـري، فـكان كل شيء كـما تركتـه لم يتغـير.

عاشـت كاثـي سـعيدة مـع زوجهـا الجديـد وتعـاون الـزوج مـع صديقـه في إدارة أعـمال كاثـي بإخـلاص وأمانـة. تنبهـت كاثـي لصندوق كان والدهـا يسـتخدمه فوجـدت فيـه أوراقـا مختلفـة تخـص تجارتـه وكشـفت عـن ورقـة فيهـا مذكـرات والدهـا وهـو في ريعـان الشـباب فقرأتهـا وعرفـت سر أبيهـا، وكيـف تـزوج بأمهـا وأن حبيبتـه الجميلـة تزوجهـا صديقـه مـوري والنـدم الـذي صاحبـه بعـد ذلـك. لكنهـا حملقـت وهـي تقـرأ تلـك المذكـرات التـي كشـفت عـن سر جوفيـان. عرفـت أن مـوري اتخـذ خليلـة لـه مـن خـدم والدهـا كانـت ذات حسـن وجمـال، وكيـف كشـف والدهـا سره وأنجبـت منـه إدوارد الـذي سـمته فيـما بعـد جوفيـان. عرفـت الآن لمـاذا ذهـب والدهـا لمـوري قبـل الـزواج حتـى يقنعـه بنسـب إدوارد لـه أمـام الحاكـم حتـى تتـزوج بسـيد. عرفـت لمـاذا أشـفق مـوري عـلى إدوارد وأخـذه ليعمـل عنـده. غضبـت في تلـك اللحظـة وذهبـت لمـوري تحملـه مسـئولية مـوت والدهـا.

– أهـلا ابنتـي. كيـف حالـك كاثـي؟ مالـذي جـاء بـك إلينـا في هـذه السـاعة؟

– سيد موري. أنت قتلت والدي.

– لقـد مـات همـا بعـد أن طـرده الحاكـم بسـببك. مـا ذنبـي أنـا بحـق السـماء؟

– من شابه أباه فما ظلم سيد موري.

– ماذا تقصدين بقولك هذا كاثي؟

– لم أعلم أنك زير نساء وتعشق الخدم سيد موري!

– لن أسمح لك بذلك؟

– كشـفت أمـرك سـيد مـوري. عرفـت انـك كنـت تعشـق خادمـة أبي وأنجبـت منهـا إدوارد. مـا كان أبي ليسـمح بهـذا الـزواج لـو لم يعلـم أنـه ابنـك سـيد مـوري لكنـك خذلتـه ولم تلحقـه بنسـبك!

– ابنتـي. كانـت تلـك زلـة أيـام الشـباب. مـا كنـت أسـتطيع ذلـك. لم يكـن الحاكـم ليسـمح لي بهـذا الأمـر. أنـت تعلمـين جيـدا أنـه أمـر مرفـوض!

– لـن أسـامحك عـلى فعلتـك تلك مـوري. والـدي مـات قهرا بسـببك.

تركتـه وانصرفـت. جلـس مـوري مهمومـا. ناتاشـا سـتعاقبه وكاثـي تتوعـده. كان ينظـر إلى إدوارد بشـفقة .. مـا ذنبـه ليعيـش عبـدا وخادمـا؟ إدوارد ولـد ليكـون سـيدا، وقـد أثبـت ذلـك مـع كاثـي لـولا فعلتـه الشـنعاء تلـك وتهـوره بقتـل عائلـة روجـر. فكـر في الذهـاب للحاكـم

والتوسل إليه ليلحق إدوارد باسمه. كان يخشى عاقبة الأمور وأن يلحق بمورغان وينتهي أمره، فعدل عن تلك الفكرة.

جلست ناتاشا في حديقة منزلهم الخرب تنتحب. ثم ذهبت لبيتهم القديم تستذكر تلك اللحظات منذ كانت طفلة وترعرعت في أحضانه. تذكرت عندما وقفت تراقب روجر يذل جيري وهي منتشية. تذكرت أختها الصغرى وهي تلاعبها حيث تجلس... كم كانت تحبها. الآن، بقيت وحيدة بالرغم من قوتها وقدرتها. سمعت باجتماع لمجلس الشيوخ في المدينة غدا لبحث عودة روجر، كما اعتقد البعض، وما حصل لجيري. كانت تنتظر تلك اللحظة بشغف. تذكرت أربعة صبية كانت تحبهم وتلعب معهم في الحي. تذكرت والدهم كالاهاني الذي كان يكيد لوالدها عند جيري. طالما حدثها والدها بأمره. أخبرها أن جيري كان يذله كلما سمع من كالاهاني الافتراءات عنه وكان يبتسم فرحا.

في صبيحة اليوم التالي كان جميع الشيوخ والسادة في قاعة المجلس، أمر رئيس المجلس بإغلاق القاعة بإحكام وطلب من رئيس الحرس حراسة مشددة على المبنى، وافتتح الجلسة قائلا:

- إن الحاكم طلب من المجلس حلا لمشكلة روجر حتى يعود الأمن والاستقرار للمدينة. وطلب من الجميع إبداء الرأي وطرح الأفكار للنيل من روجر ومعرفة سر قوته.

منهم من اقترح إحراقه ومنهم من قال تسميمه، ومن قال بضربه بالسيوف حال ظهوره. وكانت النقاشات على أشدها. وقف موري قائلا:

- أقترح أن نجتمع معه ونحاوره ونسمع منه ونعرف مطالبه علنا نجنب المدينة المزيد من التوتر والخوف.

أعجب الرئيس بما طرحه موري لكن البعض شكك في نوايا روجر وقال أن بقاءه حيا يعني أن المدينة ستبقى تحت رحمته. كان الجميع في هرج ومرج وبين مؤيد ومعارض حتى سمعوا صوت ناتاشا تقهقه. حملق كل من في القاعة فيها وبهت آخرون. قالت:

- أنا ناتاشا. ابنة بارني وزوجة روجر لمن لا يعرف. أقيم حفل زفافنا خلف هذه القاعة في ساحة القصر وجميعكم حضر الحفل. أريد أن أبشركم بأن روجر قد مات.

صعق الرئيس والسادة الأعضاء كيف دخلت القاعة والباب مغلق والحرس حول المكان، وانتاب البعض فرحة مشوبة بالخوف ولم يصدق آخرون ذلك. وأضافت:

- أنا من قتل روجر. أتعلمون يا سادة لما قتلته؟ قتلته لأنه رفض طلبي. رفض معاقبتكم. رفض الانتقام للفقراء والضعفاء. لهذا قتلته... وأنا هنا لمعاقبتكم جميعا. جميعكم سمع عما حل بجيري ذلك الحيوان جزاء ما فعله بعائلتي. السيد موري كان كفيلا لجيري لئلا ينقض الاتفاق الذي تعهد به مع روجر لوالدي. تعال هنا موري. أخذ موري يلتفت حوله وينظر للرئيس ليقول لها كلمة أو يدافع عنه لكن لم يسمع إلا همسا. صاحت به مرة أخرى تعال هنا موري!

وقف وقال: قلت لك...

وإذا بـه ينطلـق كالـبرق نحوهـا حتـى مثـل بـين يديهـا كجلمـود صخـر.

– لا أريـد أن أسـمع مبرراتـك السـخيفة مـوري. سـأقول لـك أمـرا. مـاذا تقـترح لإنهـاء المشـكلة؟

– أحسـنت ناتاشـا.. قالهـا وهـو يتلعثـم مـن الخـوف ...هـذا مـا طرحتـه عـلى المجلـس قبـل قليـل أن نتحـاور ونتفـق. مـا هـو طلبـك سـيدتي حتـى نناقـش الأمـر اليـوم..

قالها مبتسما:

– طلب واحد سيد موري. أن تعيد عائلتي لبيتها معززة مكرمة!

تجمد في مكانه.. وحار في أمره.

– سيدتي تعلمين أن هذا مستحيل.

– نعـم. صدقـت مـوري وأنـا يسـتحيل أن أترككـم وشـأنكم تعيثـون في الأرض فسـادا. اجلـس مـوري. أنـت أيهـا الرئيـس، اختـار ثلاثـة مـن هـؤلاء الأوغـاد. ثلاثـة فقـط وعليـك قتلهـم بنفسـك. سـأترككم لبعـض الوقـت وإن عـدت ولم تفعـل سـأختارهم بنفـسي وسـتكون أنـت منهـم. أفهمـت؟

اختفـت ناتاشـا وحاولـوا فتـح الأبـواب والهـرب فلـم يسـتطيعوا واسـتنجدوا بالجنـد فلـم يفلحـوا. تعالـت الأصـوات وتجمعـوا خلـف الأبـواب، لكـن لا حيـاة لمـن تنـادي، خـاف الرئيـس أن تـأتي ويكـون هـو أول القتـلى.

ذهبت ناتاشا للحاكم وأخبرته أن هناك مؤامرة تحاك ضده وأن قائد الجند يقتل الشيوخ في قاعة المجلس لأنهم رفضوا التصويت عليه ليكون حاكما بدلا منه. غادرت ناتاشا قصر الحاكم الذي اعتقد أنها مكيدة تدبرها لكنه أحب أن يحتاط فأرسل قائد الحرس مع عدد من الجند ليكتشف حقيقة الأمر. لكن ناتاشا أخبرت قائد الجند أن الرئيس يقتل الشيوخ في مؤامرة ضد الحاكم ليستولي على الحكم. دخلت القاعة فتجمد الدم في عروق الحاضرين والكل يخشى أن يقع عليه الاختيار.

– ماذا قررت أيها الرئيس؟

– نعم سيدتي. هاك الأسماء.

قرأتها وقالت ضاحكة:

– أحسنت الاختيار. عليك قتلهم بنفسك، لكن قبل ذلك سأضع عصابات على عيون الجميع.

أطل قائد الجند من النافذة فوجد الرئيس يحمل سيفا والجميع معصوبي الأعين وأن ثلاثة منهم يقفون أمام القاعة فبهت، ورأى الرئيس يقتل الشيوخ ففتحت الأبواب ودخل القاعة وألقى القبض على الرئيس الذي حاول الدفاع عن نفسه لكنه قتله. وإذا بقائد الحرس مع جنوده يدخلون القاعة وشاهد رئيس الجند يقتل الرئيس وتبدأ ملحمة من القتل وانتهت بقتل رئيس الجند وعدد من جنوده. كانت ناتاشا منتشية وهي ترى جثث السادة مجندلة في الدماء. عاد قائد الحرس إلى الحاكم وأخبره بما شاهده وما آلت

إليه الأمور وخاصة مقتل رئيس الجند وأن روجر مات مقتولا بيد زوجته وأنها هي من تعيث في المدينة فسادا.

أرسل الحاكم رسالة على عجل للإمبراطور تايتوس واعتقد أنه أفضل من سابقه نيرون الذي أحرق روما وقتل الكثير من المقربين. طلب الإمبراطور من المجلس الرأي في أمر مدينة بومبي، فأشاروا عليه بإرسال الجيش لتأديب ناتاشا وإعادة الأمن للمدينة. لكن الإمبراطور لم يأخذ برأي المجلس ولم يهتم بالأمر لاعتقاده أن المدينة ملعونة ويسكنها الشياطين، فأرسل أمرا للحاكم بمغادرة المدينة لعام كامل حتى ينتهي العقاب الرباني لهم وبقي الوضع مأساويا ويزداد سوءا.

اجتمع رجال الفضاء لتنفيذ أوامر ناتاشا لتأليب المواطنين فيما بينهم لنشر الفوضى في البلاد. اختفوا بين الناس كأنهم منهم بعد أن اتفقوا على خطة ونفذوها بكل سرية وبسرعة كبيرة.

نجحت الخطة واعتاد الرجال على الكسل وكسدت الحياة بكل مجالاتها وناتاشا لا تجد جهدا إلا وظفته في سفك دماء الأغنياء والجند انتقاما منهم. وزرعت بذور الفتنة بين علية القوم وعامة الناس في ملهاة وكأنهم في عالم آخر. كان الحاكم محبطا من الأخبار التي تصله عن الناس والجند، وفي حيرة من أمرهم. لم يستطع السيطرة على الموقف وارتأى، بعد أن يئس من مساعدة الإمبراطور الذي قدم له النصيحة بإخلاء المدينة على أن يغادرها مع عائلته ويسلم مقاليد الحكم لقائد الحرس حتى يستتب الأمن..

سادت فوضى عارمة في المدينة وأصبح القتل سيد الموقف والسلب والنهب أمر عادي، الأمر الذي أزعج الجميع حتى أن المرء ليخاف على أبنائه من الخروج وحدهم. وانتشرت الأمراض والقمامة في كل مكان وكثرت الحشرات والقوارض وأصبحت الحياة لا تطاق.

اختارت ناتاشا كالاهاني ذلك الماكر الذي كان يسبب لوالدها أذى نفسيا كبيرا لتعاقبه بطريقة غريبة. كان للرجل أربعة أبناء أعمارهم ما بين ١٢ و ١٨ عاما. وكان الرجل قد أغلق على أبنائه المنزل ومنعهم من الخروج خوفا عليهم. ذهبت إليه فتجمد الدم في عروقه وخاف أن تنتقم منه، لكنها طمأنته بأنها تريد لهم الخير. أخبرته أنها ستنقلهم إلى الجزيرة حتى تنتهي الفوضى في المدينة. وفرت لهم كل ما يحتاجونه، الأمر الذي فاجأ الرجل. لكنها أخبرته بأنها تحترم أبناءه لأنهم كانوا خير عون لأهلها قبل ظهور روجر.

بعد أن يئس من السيطرة على المدينة قرر الحاكم مغادرة القصر وأمر رئيس الحرس بإدارة شؤون المدينة. لكن ناتاشا تريد عقابا جماعيا أليما وسريعا فطلبت من خدمها المساعدة في البحث عن وسيلة للعقاب. أشاروا عليها بأنها ستجد ما تريد في مدينة البندقية فسافرت إليها على جناح السرعة لتستشير رجل دين يهودي فهو يعرف جيدا كيف يحل غضب الله على الناس.

اجتمعت برجل الدين اليهودي، وكان يبدو عليه الثراء:

– طلباتك سيدتي!

- قتل جميع أهلي على يد رجل ماكر ومخادع ولئيم، أريد الانتقام من الجميع لتحل عليهم اللعنة الأبدية.

- من تقصدين بالجميع بنيتي؟

- جميع الناس في المدينة، لا تبقي ولا تذر!

- فهمت، هذا سيكلفك الكثير من المال؟

- طلباتك سيدي؟

- خمسون ديناريوس.

- حالا سيدي.

فوجئ اليهودي بصندوق مال بين يديه، نظر لناتاشا فاغرا فاه عيناه جاحظتان، وهو يتحسس المال كأنه يشك في أنه مال حقيقي.

- بنيتي، سأدلك على خطة ستحيل المدينة لركام، سيحل بهم ما حل بقوم لوط، هل سمعت بهم بنيتي؟

- لا سيدي؟

- غير مهم، لكن تأكدي أنك لن تتعرفي على المدينة بعد زمن ليس ببعيد، ستختفي بأهلها عن وجه الأرض، ستجعل البلدة تتعرض لعقاب إلهي أليم.

وأخبرها بخطته.

في اليوم الثاني سمع اليهودي عن سرقة صندوق كبير من المال، وأن الشرطة تبحث عنه في المدينة، خرج مسرعا نحو المعبد وعندما تأكد

مـن الخـبر، وعـرف أنه لا توجـد دلائل اقتحـام أو تخريـب، علـم أن الفتاة ليسـت مـن البـشر، وأخبرهـم بـما جرى معـه: يـا لغبائـي قـال اليهودي.

منـذ أن رأيـت الصنـدوق عرفت أنه يشـبه صندوقـي المـودع في المعبد.

فرحـت ناتاشـا وطلبـت مـن الخـدم تطبيـق الخطـة. تخفـوا بـين القـوم وبـدؤوا بأنفسـهم وقلدهـم الآخـرون وكانـت ناتاشـا تراقب النـاس ولا تعلـم كيـف سـتكون العاقبـة، لكـن الخـدم نصحوهـا بمغـادرة المدينـة بـأسرع مـا يمكـن. ولـذا بقيـت في الجزيـرة مـع كالاهـاني وأبنائـه حتـى أتاهـا الخـبر اليقـين بعـد أيـام، فطلبـت مشـاهدة المدينـة حتـى تطمئـن ورأت عجبـا. غيومـا صفراء...حمراء...تتجـه نحـو المدينـة، قادمـة مـن قمـة جبـل فحولـت المدينـة لصحـراء حارقـة حتـى اختفـت تمامـا ولم تـر أثـرا لهـا بعـد ذلـك.

سـألت خدمهـا عـن الأمـر، فأخبروهـا بـأن بركانـا عظيـما في قمـة الجبـل أحـدث صاعقـة قويـة محملـة بالنـار والحديـد هـوى بحممـه عـلى البلـدة محمـلا بـما في المنجـم مـن كبريـت كالسـحب العظيمـة فظللـت المدينـة غـازات سـامة أحرقـت الشـجر والحجـر، وأحالـت النـاس إلى تماثيـل حجريـة، وأنهـا لم تبـق ولم تـذر حتـى أتـت عـلى كل حـي فيهـا واختفـت المدينـة تحـت الـركام الحـارق وأصبحـت نسـيا منسـيا.

صاحـت مبتهجـة وغنـت ورقصـت فرحـا وبكـت، جلسـت عـلى الأرض في حالـة هسـتيرية وسـط تعجـب كالاهـاني وأبنـاءه، نظـرت إليهـم وعيناهـا حمـراوان ووجههـا يشـتاط غضبـا، ثـم تبسـمت، قامـت تترنـح كراقصـة متعبـة وقالـت: انتهـى كل شيء المدينـة اختفـت. طلبـت مـن الخـدم إخفـاء الكـرة في مـكان لا يخطـر عـلى بـال بـشر.

ترنتون أمريكا ١٩٩٦م

كانت الكرة تسيطر على فكر سوزي ليل نهار. وعلمت أن لا أحد يعرف عنها إلا رجال الفضاء الذين أخفوها حتى عن ناتاشا. كانت تتمنى أن تحصل على المساعدة من رجال الفضاء للحصول عليها. كانت لديها خطة للتعامل مع مارتينو عندما تسلمه الكرة وتتسلم المال، ثم تذكرت رسالة الرجل الذي يراقبها دون علمها وتساءلت إذا كان لا يزال يراقبها وفيما إذا كان صادقا معها أم لا، وفيما إذا كان قد اكتفى بالعصي ليبعد الشر دون أية مصلحة.

أرادت أن تبتعد عن كل ما يعكر صفوها، وأن تبدأ بكتابة روايتها الجديدة عن الأساطير بعد أن جمعت الكثير من الأخبار والحكايات عنها .

بعد أيام من الخلوة التي عكفت فيها سوزي على الكتابة في شقتها، أخبرها سام أنه حصل على إجازة وأراد الابتعاد عن الروتين اليومي والذهاب في رحلة إلى سان ديغو مع شركة سياحية لمدة ثلاثة أيام.

كانت وجهتها الأولى بعد أن وصلا إلى المدينة واستراحا قليلا في الفندق حديقة الحيوانات. بعد التجوال فيها لمدة طويلة، توجها إلى

جاسلام لتناول طعام الغداء ثم إلى شواطئ المدينة الساحرة حيث اختارا شاطئ المحيط الهادي. أمضيا سحابة ذلك اليوم هناك. فيما كان سام مستلقيا مستمتعا، سأل سوزي:

– هل زرت المغارة الزرقاء؟

– لا. لما تسأل؟

– خيل إليَّ أنني هناك ورأيت شعاعا يخرج من السقف ينيرها.

صمتت سوزي وتساءلت لمَ الآن! سام لم يسمع عنها من قبل. هل كان يحلم أم أن رجال الفضاء نقلوه إليها؟ سألت سام:

– هل المغارة واسعة؟

– أجل. إنها كبيرة جدا.

– هل تستطيع تحديد مصدر الضوء؟

– ربما في منتصفها. كان هناك ثمة تجاويف كثيرة متقاربة يخرج منها الضوء.

اتصلت على الفور بالبروفسير وأخبرته بتكهنها بوجود الكرة السحرية.

اتصل البروفسير بفريقه وغادروا روما إلى جزيرة كابري وركبوا قاربا سياحيا نقلهم إلى المغارة. أعطى البروفسير كلا من رفاقه بدلة خاصة بعلماء الآثار لدى الجامعة. أخبرهم بأنهم فريق بحث من الجامعة حتى لا يشك بهم أحد من المواجدين هناك ويثير حولهم المتاعب.

كان الفريق يراقب سقف المغارة وثمة عدد كبير من القوارب تجوب بها، وتتمتع بمنظرها الخلاب حيث تعكس زرقة الماء اللون الجميل لسقفها، وكان كل منهم يحمل مصباحا يراقب التجاويف في كل مكان منها. شك البروفسير في وجودها في مكان مرتفع وكان بحاجة لقارب كبير وبه سلالم ليستطيع بلوغ السقف فاتصل صاحب القارب بأحدهم ممن يملك القارب المطلوب وانتقلوا إليه. كان روبرتو يجلس فوق رافعة خاصة ويتأمل التجاويف حتى ظهر له نور ساطع بألوان مختلفة يخرج من مكان في أعلى المغارة. أخرجه بلطف، سلمه للبروفسير فأزال الغبار المتراكم عليه فأنار المغارة كلها، وبدا أشبه بكشافات ملاعب كرة القدم، لكن تلك الألوان أبهرتهم جميعا. عاد الفريق لروما منتصرا.

رأت سوزي أن القلعة محور الحكاية ومركزها لما فيها من أسرار وحياة غامضة وأنها كانت تمتلىء بالحياة لمدة طويلة، ولذا فكرت أن «أسرار القلعة» عنوان مناسب لروايتها.

رحلة بحرية ٧٩م

بكت حتى الموت وضحكت حتى البكاء ولا تدري أهي مجنونة أم بها مس من الجان؟! أم هناك من يتحكم بها؟!

لكنها نفذت رغبتها وانتقمت من الجميع، ثم عادت للجزيرة حيث كالاهاني وأبناؤه فوجدتهم في أحسن حال، ثم أخبرتهم أن وجودهم هناك خطر داهم وأن عليهم أن يتفرقوا حتى تنتهي اللعنة التي لحقت بالمدينة. أبقت بليني الصغير في الجزيرة وكان صديقا لها ولروجر منذ الطفولة. أخبرته أنها ستعود إليه في القريب العاجل وأنه سيكون له شأن و حياة سعيدة تنتظره، ثم اصطحبت الرجل والثلاثة أبناء في عربتها وانطلقت بهم إلى البحر في وسط ذهول كالاهاني وأبنائه. راحت العربة تمخر عباب البحر إلى أن وصلوا مدينة ساليرنو ومكثوا فيها أياما. اشترت منزلا، وأبقت شابا منهم وأعطته عصا وقالت: احرص عليها كحياتك وورثها أبناءك وأوصهم بالمحافظة عليها ففي ذلك السعادة الدائمة فإن كسرها أو فقدانها وبالا عليهم. اولياو هو اسم عائلتك للأبد، ثم غادرت المدينة مع الأب والابنين المتبقيين حتى وصلت مدينة فينيسيا واشترت منزلا وأبقت أحد الأبناء وأعطته عصا وأوصته بما أوصت به الأخ السابق وقالت له: كورنيليوس هو اسم عائلتك للأبد، ثم غادرت المدينة مع كالاهاني والابن الرابع حتى وصلت مدينة

كريمونا واشترت منزلا وأوصت الابن بما أوصت به الأخوين السابقين وقالت: ديكيوس هو اسم عائلتك للأبد. ثم غادرت المدينة مع كالاهاني عائدة للجزيرة، وفي وسط البحر قالت للرجل:

– أتذكر والدي بارني وما كنت تفعل به؟

أحس الرجل بأنها خدعته وأن مصيره في مهب الريح.

– سيدتي. أرجوك. لقد ذهب كل شيء وندمت على الماضي. لكن ليس بيدي ما أفعله لك الآن. كنت أريد أن أشكرك على إنقاذ أبنائي وما فعلته من أجلنا!

– أنت كنت أنانيا. وكنت تؤذي والدي كثيرا. ما فعلته من أجل أبنائك كان لأنهم يستحقون الحياة. أما أنت فلقد كنت وغدا حقيرا، كنت تتلذذ بإهانة والدي أمام الجميع، وكان أبناؤك يتألمون لما تفعل. كانوا حقًّا أصدقاء أوفياء لهذا أنا أنقذتهم. جاء وقت الحساب فاختر طريقة الموت التي تحبها!

– أرجوك سيدتي. ابني الصغير بحاجة إليَّ.

– لا. أنت عار عليه ستدمره بأنانيتك. دعه يعش بسلام.

كانت تحوم حول القارب أسماك قرش متعطشة للدماء وكان يرتعد خوفا، فقالت له: – إما أن تقفز أو سأنتقم منك بطريقتي!

توسل إليها وقبل قدمها وبكى وتألم لكنها أمرت خدمها بتقييده في القارب ورميه في البحر، انقضت عليه الأسماك والتهمه بعنف حتى صار نسيا منسيا، تنفست الصعداء ونامت قريرة العين.

عرفت ناتاشا أن روجر تزوج بأميرة قبل موته وأنجب منها غلاما، فأحبت رؤية الأميرة وابنها وقررت زيارتهما. كان الابن يبلغ من العمر خمس سنوات. أسمته أمه قسطنطين. شاهدته يلعب في حديقة القصر وأمه تجلس قريبا منه والخادمة تراقبه بحب. تأملته وندمت على تسرعها ومحاولتها الهرب دون علم روجر. قالت تحدث نفسها: كان يجب أن يكون هذا ابني وأنا وروجر نستمتع في القصر بمداعبة الصغير. راقبته بعينين دامعتين وقلب حنون وأحبته كما أحبت روجر من قبل وتمنت لو أنها تستطيع العيش هنا مع الأميرة وابنها. طلبت من الحراس الإذن بالدخول لمقابلة الأميرة وأخبرتهما أنها من أقرباء روجر فاندهشت الأميرة وتملكها شعور بالحزن وحب للقاء تلك المرأة.

حملت ناتاشا الصغير تداعبه وتقبله بحنان، وسألتها الأميرة عن علاقتها بروجر، تنهدت ودمعت عينيها، تأملت الحديقة الغناء ونظرت لها حزينة وأخبرتها الحقيقة، صعقت الأميرة وركضت نحو ابنها تضمه لصدرها خوفا ورعبا. لكن ناتاشا طمأنتها وقالت لها بأنها كانت تحب روجر وأنها تحب ابنه الآن، ولا تريد له إلا كل خير وأنها ستنسحب قريبا ولن تعود مرة أخرى.

– لماذا قتلت روجر؟

– قتله خدم إيزابيلا انتقاما لسيدتهم.

لكن كان ذلك بإيعاز منك. لا تنكري ذلك؟

– انتهى أجله. هكذا تقول الأسطورة التي أخبرني بها روجر.

– أنت كاذبة حقيرة! أنا لا أؤمن بالأساطير والخرافات.

– وجودي أمامك الآن، جزء من الأسطورة. ألم يقتلني روجر؟ ألم يخبرك بذلك؟

صمتت الأميرة، وقالت:

– أرجوك. ارحلي من هنا!

تأملتها ناتاشا وقالت: اسمحي لي بوداع الصغير.

أخذته منها وقبلته بحرارة وهي تضمه إلى صدرها وتبكي. قالت للأميرة قبل مغادرتها :

– الأسطورة تقول إنك ستتزوجين من شاب كان صديقا لروجر. هو سيتولى تربية ابنكما وسيكون ساعد والدك الأيمن وسيحافظ على الحكم حتى يكبر قسطنطين ويتولى الحكم بعد جده.

– من أخبرك باسم ابني؟

– روجر قبل أن يتزوجك! قال أنه يحلم بغلام اسمه قسطنطين. قريبا سيكون الشاب بالقرب منكم. سيتقدم لخطبتك فساعديه على ذلك، وهو الآن يملك الجزيرة. لكنه لا يملك قوة روجر التي أملكها أنا الآن، والتي ستختفي بموتي. هناك قصر في المدينة اشتريته له وهو خال الآن. اسمه بليني الصغير. اطلبي من الجند مراقبة القصر، وعندما تدب فيه الحياة اعلمي أنه قد وصل للمدينة.

اختفت ناتاشا و تنهدت الأميرة ودخلت القصر خوفا من عودتها، ثم فكرت مطولا في كلامها والشاب الذي سيأتي لخطبتها. تذكرت أنه عندما كانا على شاطئ البحر يستمتعان

بالسباحة وكانت حاملا بأن روجر أخبرها باسم ابنه.

عادت ناتاشا للجزيرة للاطمئنان على بليني الصغير والاستعداد للفصل الأخير من حياتها حسب الأسطورة. استقبلها بليني الصغير بحرارة وأخذ يقبل يديها ووجنتيها كطفل في أحضان أمه. فوجدت حلاوة تلك القبل في أعماقها ووجدانها ففكرت في الزواج به. لمَ لا تحاول تغيير مسار الأسطورة وتعيش حياتها؟

حزنت وعدلت عن فكرة الزواج من شاب.

- أين والدي وإخوتي؟
- لا تقلق. إنهم بخير! المدينة لا تصلح للسكن بعد اليوم. أصبحت تحت الركام. دمرت تماما. لكن لديك مفاجأة جميلة. ستعيش في قصر حاكم مدينة سورنيتو وستتزوج الأميرة ابنته. وأن هناك نفرا من الناس سيأتون إلى الجزيرة بعد أيام معدودة. رافقهم إلى المدينة.

قالت له ذلك بعدما أعطته عقدا لقصر اشترته له في المدينة وأخبرته عن مال كثير خبأته له فيه. حرصت على وصيتها له بالزواج من الأميرة والعيش بسعادة معها. كما أنها شرحت له ما سيكون من أمره بعد ذلك وودعته واختفت.

حزن الشاب على فراق والده وإخوته وعلى دمار المدينة. جلس يبكي وحيدا كأنه في حلم. فكر في وعدها وفي الأميرة وفي القصر. نظر في الأفق الشاسع أمامه. مد البصر وعلم أنه لا سبيل له إلا الانتظار.

روما ـ جزيرة الزجاج

بعد أن حصل مارتينو على الكرة التي أدهشته بجمال ألوانها، وتتساءل: كيف لهذا الجمال أن يكون مدمرا؟! كان يخطط لرحلة إلى جزيرة الزجاج فطلب مارتينو من البروفسير مرافقته ليشهد حدثا مميزا. عندما وصل الجميع إلى جزيرة الزجاج التي يملك نصفها كارلو، أرسل مجموعة من الموظفين في قارب كسائحين ومعهم البروفسير. والتف من الجهة الأخرى مع عدد آخر من الموظفين ونزلوا الشاطئ وتوجهوا نحو قصر كارلو فيما استقبل الحراس السائحيين ورافقوهم في جولة داخل الجزيرة. كان مارتينو أمام القصر. أخرج مكبر الصوت ونادى بأعلى صوته على كارلو عندما أطل من شرفة القصر سمع مارتينو يقهقه ساخرا ويحمل العصي الأربعة وأشار إلى أنه وضع الكرة تحت القصر وقال:

- جاء وقت الحساب.
- سيد مارتينو. إذا جئت زائرا أو سائحا أو ضيفا... فأهلا بكم جميعا وإلا فانصرف من جزيرتي.
- أنا من يتكلم اليوم. وعليك أن تسمع وتطيع. إن أحببت أن تسدد ما سرقه جدك وأبوك مع الفوائد فدعنا نتحدث، وإلا

سيكون قصرك وجزيرتك في السماء خلال لحظات.

كان يركب العصي وبقيت واحدة.

– موظفوك في قبضتي الآن. هل تريد أن تقتلهم؟

– لا يهمني أحد، حتى البروفسير. كل ما يهم الآن هو المال، عزيزي.

استدعى كارلو البروفسير. ولما شاهد العصا الأخيرة وهو يلوح بتركيبها، صرخ البروفسير:

– أيها الوغد الحقير ستقتلنا جميعا! لم نتفق على ذلك.

همس كارلو في أذنه:

– لا تهتم عزيزي. دعه يفعل ما يريد.

أجابه البروفسير:

– أنت لا تفهم. أنا أعلم مدى خطورتها.

– لا بأس بروفسير. عرفت معدنه منذ زمن وأنا توقعت منه ذلك.

– عليك تحديد موقفك الآن. أنتظر خمس دقائق فقط.

بدأ يحسب ويراقب على ساعته ويتراجع حتى لا يتأثر من الانفجار المتوقع. لكن كارلو غير مبالٍ. كان يهم بأن يقول له أن العصا معي لكنه خاف أن تقع سوزي ورفاقها في المشاكل مع مارتينو ظانا أن العصا الأصلية معه، غضب مارتينو وعندما تأكد من أنه بعيد عن الخطر، ركب العصا الأخيرة ورمى بنفسه على الأرض هو ومن معه.

لم يحدث شيء. ضحك كارلو كثيرا.

قال له كارلو: انصرف الآن من جزيرتي وإلا قتلتكم جميعا. ولتعلم أني أفضل منك ولن أرد عليك. وكما أخبرتك من قبل... كلام جدك وأبيك لا أساس له من الصحة.

- بروفسور. قال بصوت عال، أنت ضحكت عليَّ وجعلتني في موقف محرج. أريد تفسيرا لما يجري؟

- لا أعلم. كل ما طلبته مني حققته لك وأقسم على ذلك. ربما تلفت مع الزمن ولم تعد تجدي نفعا أو أن رجال الفضاء أبطلوا مفعولها.

- سيد مارتينو. أدعوك لفتح صفحة جديدة. أنت مدعو لتناول الطعام مع رجالك وسننسى الماضي.

فكر مارتينو طويلا ودخل القصر ومد يده وصافح كارلو وأغلقت صفحة طويلة من العداء. وعندما غادر مارتينو ورجاله الجزيرة قال للبروفسور:

- بالرغم من المال الكثير الذي أنفقته فأنا أشكرك بروفسور، فلقد عرفت أن هناك ما هو أهم من المال. فتحت عيني على أن عمري الذي أفنيته في العداء ذهب أدراج الرياح. هذه اللحظات مع السيد كارلو، هذا الرجل النبيل، كانت رائعة وتساوي المال الكثير.

كان مارتينو قد كلف أحد موظفيه لتصوير لحظة تركيب العصي فأرسلها البروفسور لسوزي.

بومبي - إيطاليا - جزيرة كاربي

انتهى فصل الشتاء وحل الربيع في الجزيرة، وبدا الجو لطيفا نهارا. وعادت الحياة مبتهجة وأينعت الأزهار والأشجار وطابت ظلالها. شعر بليني الصغير بنشوة كبرى على أمل أن يتحقق حلمه الذي وعدته به ناتاشا...السفر لمدينة سورنيتو والزواج من الأميرة. كان يمضي معظم يومه على الشاطئ ينتظر قدوم أحدهم، كما أخبرته ناتاشا.

كان البحر هادئا والأزهار تتلألأ بشتى الألوان والطيور تغرد بصوتها الخلاب فيما كان بليني الصغير يسبح في البحر الدافئ، والشمس تتربع وسط السماء حنونة أشعتها وقد يئس من الوحدة وخاب أمله. هو على حافة التأكد من أنه سيمضي حياته هنا وحيدا، ولذا قرر صنع قارب والإبحار فيه إلى حيث تأخذه الرياح والأقدار.

بدأ العمل وجمع جذوع الأشجار اليابسة وشذبها حتى جهز ما يكفي لقارب صغير. أيام مضت وأخذ يجمع الأخشاب مع بعضها حتى قاربت الشمس منتصف النهار فأخذ قسطا من الراحة، وإذا به يشاهد سارية قارب يقترب رويدا رويدا. خالجه شعور بالسعادة ورقص قلبه فرحا.

وصل القارب فشاهد عائلة منهكة القوى يظهر عليهم الجوع والتعب من خمسة أفراد فيها فتاة في ريعان الشباب و صبيان صغيران. استقبلهم بكل حفاوة وأخذهم إلى القلعة وأعد لهم طعاما من صيد كان عنده ثم خلد الجميع للنوم.

عاشوا أياما جميلة في القلعة، وأحب فرانشيسكو الفتى بليني الصغير كثيرا. أخبرهم بليني الصغير أنه كان في انتظارهم ليرافقوه إلى مدينة سورنيتو. وبعد أيام من الإبحار، وصلوا إلى شاطئ البحر، وكان ثمة عربات خيول هناك. استأجروا واحدة وتوجهوا نحو المدينة وطلب بليني الصغير من سائقها التوجه نحو منزله الذي اشترته له ناتاشا. لم يصدق فرانشيسكو أنه يعيش في قصر، وأن هذا الشاب الصغير يملك الكثير من المال أيضا. كان يأمل أن يتوج سعادته بزواج ابنته من الشاب الفاحش الثراء.

ذات صباح، أفاق الجميع على أصوات مزلزلة وحركات قوية. أطل بليني الصغير من شرفة منزله ليجد الشوارع تعب بالجند الذين يتفقدون المنازل والحارات. أحاطوا بالمنزل من كل جانب بعد أن أخبرهم أحد الجيران أن هناك أناسا استولوا على منزل مهجور. خرج إليهم بليني الصغير وأخذوه إلى قائدهم فاستجوبه: من أنت، بني؟

– بليني الصغير، سيدي!

– هلا شرحت لي كيف وصلتم إلى هنا؟

قص عليه بليني الصغير حكاية مدينة بومبي وما حل بها وبه حتى وصل إلى هنا قبل أيام.

– الحاكم يطلبك. هيء نفسك بسرعة!

لبس أفخر الثياب وقابل الحاكم فوجده ذكيا شجاعا فقربه إليه وتعرف على الأميرة التي انبهرت به وبخلقه ومنطقه وذكرها بروجر حبيب الأمس فسرت لذلك كثيرا وقدمت له ابنها قسطنطين فبكى الشاب عندما وجده شبيها بأبيه.

– بني. أنت موضع ترحيب لدينا. سأعهد إلى قائد الحرس الخاص بنا ليؤهلك لتكون مرافقا خاصا لنا.

– شكرا سيدي الحاكم، أنا كنت جنديا ومصارعا في مدينتي قبل دمارها. لكن لا بأس يشرفني ذلك.

شكر بليني الصغير الحاكم وخضع لتدريب قاس وطويل بين الحرس الخاص حتى قدمه قائد الحرس للحاكم كجندي متمرس. في تلك الفترة، كانت الأميرة تقوم بزيارة خاطفة له بين الفينة والأخرى حتى تختبر أهليته للزواج منها إلى أن اتسلم وظيفته الجديدة في قصر الحاكم وكان تحت نظر الأميرة باستمرار.

وجد فيه الحاكم ما يبحث عنه ليكون زوجا لابنته. وفي حفل كبير، تم الزواج وعاشت الأميرة في سعادة وهناء، وأنجبت له بنين وبنات، كبر قسطنطين وألحقه جده بالجيش وعهد به إلى كبار العلماء لتربيته وتأديبه وتعليمه وشب قويا شجاعا ذا عقل راجح وعلم نافع وكان مؤهلا ليخلف الحاكم بعد موته.

قلعة كابري ٨٠م

جلست تحت الأشجار تنظر للقلعة الشامخة في السماء وتذكرت عندما وصلتها أول مرة بثوب زفافها. نشط عقلها الباطني وعادت تتدفق لها ذكرياتها الجميلة في كل مكان من الجزيرة، وشعرت بالجوع وطلبت الطعام فلم يستجيب لها أحد، وكررت الطلب مرات ومرات، وعلمت أنها النهاية لا محالة.

خيل إليها روجر مستلقيا على الشاطئ فقامت تختال بخفة ودلال تتهادى نحوه واستلقت بجانبه تستشعر أنفاسه الدافئة. مر شريط حياتها كفيلم سينمائي أمامها وأسلمت نفسها للنوم.

ها هو روجر يظهر لها من جديد بصورة مفاجئة...أنت حي روجر، رأيت الغرباء.... ثم سكتت وضمته لصدرها بحنان.

- أنا في انتظارك منذ زمن. تأخرت كثيرا عزيزتي. هيا بنا فوالديك في انتظارك!

- والدي؟ هل أنا في حلم...

ورافقته حتى وصلت مكانا غريبا، وجدت والديها في استقبالها وكانت أختها هناك تقفز كضبي صغير. فرحت بلقائهم وحاولت معرفة ما يجري، وكيف وصلت إلى هناك. كان الكثير من الناس يحومون حولها كخيال في وضح النهار. أدركت أنها مخدرة، حاولت النهوض فلم تستطع فأيقنت أنها في العالم الآخر.

روما ١٩٨٦م

أفاق سام نشيطا فيما كانت سوزي في عالم آخر. نظر لها سام نظرة حب وقال في نفسه: أعتقد أنك سعيدة حبيبتي، فحركات شفاهك تدل على ذلك. يا لي من رجل محظوظ!

أرسل البروفسور لسوزي فيلم اقتحام الجزيرة وعندما شاهدته، كانت ترتجف خوفا ورعبا... هذه جزيرة الزجاج! ما عساه يفعل مارتينو هناك؟ تذكرت كارلو عندما أخبرها أن مارتينو يبحث عن الكرة لينتقم منه. يا إلهي...ولما أمسك العصا الأخيرة وركبها، صرخت بأعلى صوتها: مجنووووووووون...

كانت تصرخ، وحاولت النهوض لتهرب خوفا من الانفجار المرتقب، تلقفها سام ليضمها إلى صدره قائلا: لا بأس عزيزتي. أنت بأمان الآن.

كانت تلهث كعداء، وتتمتم: الإنفجار .... الإنفجار.

– حبيبتي. أنت بخير ... أنت معي. أنت تحلمين.

نظرت حولها. كانت على شاطئ البحر مستلقية والشمس تميل إلى الغروب.

عادا للوطن، كانا مرهقين تماما، بعد يومين من النوم والاسترخاء في المنزل عاد سام لعمله، وعكفت سوزي على تدون ملاحظات عن حلمها، لكنها عندما كتبت عن انطونيو صديق سام، توقفت، وفكرت هل يعلم سام الموضوع؟

عاد سام من عمله، طبع قبلة على رأسها ، تناولا الطعام معا ثم جلسا يحتسيان الشاي في شرفة الشقة، هل تعرف شخصا اسمه انطونيو؟ سألت سوزي.

حملق سام للحظة ثم تأملها جيدا، لم أعلم أنك عرافة من قبل؟

– ماذا تقصد؟

– ليس لي أصدقاء بهذا الأسم عزيزتي، لكن رأيت حلما عندما كنا في روما تعرفت على رجل اسمه أنطونيو، كان ذلك مجرد حلم!

بهتت سوزي حائرة، - أكنا معا في ذلك الحلم أم أننا عشنا تلك الفترة حقيقة. قام سام من مكانه وغادر الشرفة للحظات وعاد يحمل رسالة، تفضلي، رسالة لك كانت في صندوق البريد! قال سام.

قلبت الرسالة بين يديها، لا يوجد أسم للمرسل ولا حتى عنوان.

– يبدو أنها وضعت باليد.

فتحت الرسالة، قرأت بنهم جائع، عينيها تدوران على كل سطر وكلمة، نظرت لسام الذي يراقبها، تابعت –

٠٠٣٩٦٨٦٣٢٨٧٣ مارتينو

٠٠٣٩٦٩٥٨٤٥٥٧ د. ميشيل

٠٠٣٤٧٥٣٤٩٨٢٦ روبرتو

٠٠٣٩٤٨٥٣٩٧٨٤ دانتي

٠٠٣٩ «.

– يا الهي، أكاد أصاب بالجنون سام، شيء لا يصدق!

– ما بك عزيزتي؟

لكنها تناولت هاتفها النقال واتصلت – ٠٠٣٩٠٦٩٥٨٤٥٥٧

انتظرت وقلبها يخفق بشدة، رن الهاتف في الجهة المقابلة من العالم، آلوا، معكم د. ميشيل. وتوقف العالم أمامها، حارت بما سترد؟ بما ستجيب د. ميشيل؟

أعاد الرد: آلو من معي.

– أنا سوزي د. ميشيل.

– سوزي، أين أنت بحق السماء، منذ غادرتي وهاتفك مغلق.

جلست مرتبكة: هل تحلم، سام، أرجوك اصفعني!

نظر لها سام بتعجب: لا تتردد اصفعني من فضلك، اقترب

منهـا وصفعهـا عـلى وجههـا، إذا أنـا لسـت في حلـم، كل مـا رأيتـه كان حقيقيـا، كان د. ميشـيل ينتظـر جوابـا مـن سـوزي، سـوزي في دوامـة تمامـا، اسـتعادت بعـض حيويتهـا، ردت: نعـم برفوسـور، قبـل مغـادرتي رومـا سـقط هاتفـي وتحطـم.

– كان عليـك أن تتصـلي بنـا، نحـن بانتظاركـما فقد قـرر السـيد مارتينوا والسـيد كارلـو دعوتنـا لحفـل عشـاء فاخـر في فندق خمـس نجوم.

– متى الحفل برفوسير؟

– الخميـس القـادم التاسـعة مسـاءً في فيـلا سـبالايتي تريفـلي، حجـز مارتينـو لكـما تلـك الليلـة فـلا تقلقـا.

– شكرا بروفسير سنكون هناك في الموعد تماما.

كان سـام يسـمع مندهشـا، لم يفهـم مـا يـدور حولـه، أغلقـت سـوزي هاتفهـا، احتضنـت سـام بقـوة، سـعيدة جدا.

– أعتقد أنه يتوجب عليك تفسيرا لما يجري عزيزتي.

– لم تصـدق سـام، الحلـم الـذي أزعجنـي في رومـا، والحيـاة التـي عشـتها في الحلـم كان حقيقيـا تمامـا!

– لم أفهم سوزي، فسري لي ذلك؟

– في الرسـالة أرقـام هواتـف مـن عشـت معهـم في حلمـي، الـذي اتصلـت بـه قبـل قليـل كان أحدهـم، هـل تعلـم أنـه كان يتصـل عـلى هاتفـي الـذي تحطـم، كان سـيخبرني أن السـيدين مارتينـو و كارلـو سـيقيمان حفـلا كبـيرا احتفـاء بالصلـح بينهـما بعـد عـداء

سنوات، كان ذلك بفضل البحث عن العصي والكرة الذهبية.

– أيا ما يكون ذلك عزيزتي فليس الوقت مناسبا، لقد عدنا من روما قبل أسبوعين فقط.

– ما المانع عزيزي من رحلة أخرى مدفوعة التكاليف.

ثم تركت سام ودخلت لغرفتها، فتشت في حقيبتها التي كانت معها في روما، فصرخت: سام، تعال بسرعة:

حضر سام مسرعا فوجد في يدها عصا مقوسه قليلا، ما هذه سوزي. سأل سام؟

– كنز حقيقي حبيبي، هذه العصا تعود لألفي عام مضت، أتصدق هذا!

– نعم، أخفيتها في حقيبتي ووضعت بدلا منها عصا مزيفة، كل شيء يقول أنا عشت شهرا كاملا في مغامرة كبيرة مع الأصدقاء، لكن كل هذا كان في حلم ساعة، هل من تفسير لي لذلك؟

– سأذهب معك إلى روما لنعرف الحقيقة!

وصل سام وسوزي فيلا سبالايتي تريفلي، كانا متعبين من الرحلة الطويلة كانت ثمة سيارة في استقبالهما في المطار أوصلتهما الفندق، استراحا تلك الليلة في جناح عريق وأثاث فاخر، كل شيء فيه يوحي بالعظمة، في الموعد كان الجميع في استقبالها في بهو الفندق، توقفت سوزي تستعرض الوجوه وتتأملهم، يا إلهي كلهم اعرفهم؟ كان حال الجميع يقول، رأيتهم من قبل، لكن أين ومتى؟ الله

أعلم! تقدمت وألقت التحية وعرفتهم بزوجها سام، ولج الجميع لجناح فخم، كانت ثمة موسيقى رومانسية، كانت القاعة كصالة ملوكية، الأنوار تتلألأ، والجميع تغمرهم السعادة، دخل رجلان أحدهما يحمل حقيبة جلدية فاخرة، توجها نحو المنصة الرئيسة، أمسك أحدهم الميكرفون، قال:

أيتها السيدات والسادة، مرحبا بكم جميعا، معكم البروفسير فيليب، عالم في التخاطر والتحكم بالعقل عن بعد. لا شك أنكم عشتم مغامرة رائعة، أردنا اليوم أن نحتفل بانتهاء المهمة بحفل بهي.

كان الجميع فاغرا فاه، لا يصدق ما يسمع، والكل يحاول الاستفسار عن الأمر، لكن البروفسير تابع قائلا: كلفني صديق لا حاجة لذكر اسمه أن أجعل سوزي تعيش مغامرات تساعدها في كتابة روايتها الجديدة، وبمساعدة أصدقاء استطعنا أن نجمعكم مع سوزي و سام في الواقع الافتراضي بعملية معقدة تكللت بالنجاح، أو ما يسمى أفكار عبر الفضاء –**Space Thoughts Through** – وهو أيضا اسم لكتاب بهذا الخصوص، وكان يحمل الكتاب بيده اليمنى، واستعمال تقنية تدعى – **GVS** – ففي نفس اللحظة كان جميعكم مسترخيا، ونائما، وتم التواصل بينكم لتعيشوا معا تلك المغامرات التي يعتقد البعض منكم أنه عاشها بالفعل.

قام البروفسير ميشيل، قال: سيدي، بالرغم أننا استمتعنا بتلك المغامرات وسعدنا بهذا اللقاء إلا أنه لا يحق لك التلاعب بالبشر دون إذن مسبق!

- قام الرجل الأخر الذي يحمل الحقيبة بتوزيع أوراق عليهم، تأملوا تلك الأوراق وكل ينظر للآخر متعجبًا، متى حصل ذلك سيدي، قالت سوزي؟

- التاريخ واضح سيدتي على التعهد الذي بين يديك.

قرأت التاريخ، قالت لسام، في هذا اليوم كنا في فندق جميرا؟

- عزيزتي هذا تاريخ اليوم أيضا، نحن ما زلنا في شهر العسل، ما زلنا في روما!

حملقت بعينين ناريتين:

- أرجوك لا تتلاعب بأعصابي سام؟ أمس حضرنا من أمريكا ونمنا الليلة في هذا الفندق!

لكن ليس هذي اسمي سيدي، قال دانتي!

- ليس مهما الآن، ستكتشف الحقيقة بعد قليل.

- لكن ما رأيك بالعصي التي حصلنا عليها وأنا أحتفظ في بيتي بواحدة منها! قالت سوزي.

اندهش مارتينو من كلام سوزي، وقال: لهذا لم تنفجر الكرة عندما ركبت العصي، أنت نقضت الاتفاق سيدتي ولهذا أرجو إعادة أموالي كلها.

ضحك البروفسير فيليب وقال: سيد مارتينو كما قلت لكم كان ذلك حلما، لا أحد يملك عصي ولا كرة، وفي حقيقة الأمر أنت لم تدفع مالا لأحد.

- أمتأكد من ذلك بروفسير؟

- طبعا سيدي وأنا مسئول عن ذلك.

- إذا كان الأمر كذلك فلا بأس، واسمحوا لي أن أرحب بالجميع، وأشكر فريق البحث وأن أثنى كثيرا على سوزي، تفضل سيد كارلو قل كلمة.

- شكرا سيد مارتينو، شكرا بروفسير فيليب، اسمحو لي أن أعبر عن سعادتي بهذا اليوم واعتبرها لحظة فارقة في حياتي، وأتمنى للجميع وقتا ممتعا، وقال البروفسير فيليب: أرجوكم استمتعوا فكل شيء هنا من أجلكم.

أشهى الطعام والشراب وما لذ وطاب من الفاكهة المتنوعة، في جو عائلي رغيد أمضى الجميع سحابة ذلك اليوم في متعة كبيرة، انتهى الحفل، قدم البروفسير فيليب هدايا تذكارية للجميع، وهي عبارة عن ساعات سويسرية أنيقة وقال هذه من صديقي المجهول، الذي يتمنا السعادة للجميع وتبادل الجميع التهاني وقبلات الوداع.

كانت ثمة سيارة بيضاء مكشوفة تقل سوزي و سام للمطار، همس البروفسير في أذن سوزي: صديقك المخرج من وكلني في القضية، أصبح لديك الآن قصة جديدة لروايتك!

همست سوزي في أذنه: ما زلت أعتقد أن المغامرة حقيقية. وأنا أملك تلك العصا في منزلي، ركبت السيارة وانطلقت بهما مسرعة إلى المطار، تأمل البروفسير كل من مارتينو وكارلو، كانا سعيدين حقا، ضحك البروفسير بصوت مرتفع، تمتم في نفسه وهو يشاهد السيارة تختفي عن الأنظار: يا لك من فتاة قوية!!

أرجو من الجميع العودة للقاعة فهناك ثمة أمر أخير، قال البروفسير فيليب، أخذ كل منهم مقعدا ينتظرون الفصل الأخير مما يخفيه البروفسير فيليب.

- أرجوكم استرخوا جميعا أغمضوا أعينكم، كل يتذكر لحظة جميلة عاشها، قام الرجل الآخر بتشغيل جهاز يصدر ذبذبات موجهة لهم، غادر الرجلان القاعة، استقلا سيارتهما واختفيا.

أفاقت من نومها تعلو شفتيها ابتسامة جميلة، كانت ما تزال على الشاطيء، فركت عينيها بذهول، سام يطالع صحفية.

- أين نحن عزيزي؟

- نحن في روما!

إلتفتت حولها بتعجب: مندهشة : أيعقل أنني عشت سنوات في لحظة نوم؟! يا له من حلم! كانت مغامرات جميلة. أخيرا وجدت ما أبحث عنه. سأبدأ كتابة روايتي الجديدة «أسرار القلعة».

بعد نصف ساعة توقف الجهاز عن البث، أفاق كل منهم متكاسلا ينظر حوله كأنه في حلم، فتح مغلف أمامه، كانت ثمة ورقة ممهورة بتوقيعه ومبلغا من المال:

- غادروا الفندق، لا أحد يعرف الآخر.

(تمت بحمد الله)

رياض حلا بقه

١/ ٩/ ٢٠١٧م

للتواصل مع الكاتب الروائي

رياض حلايقه

00962797554417

Riadh1956@yahoo.com

/https://web.facebook.com

/https://www.linkedin.com/feed

https://twitter.com